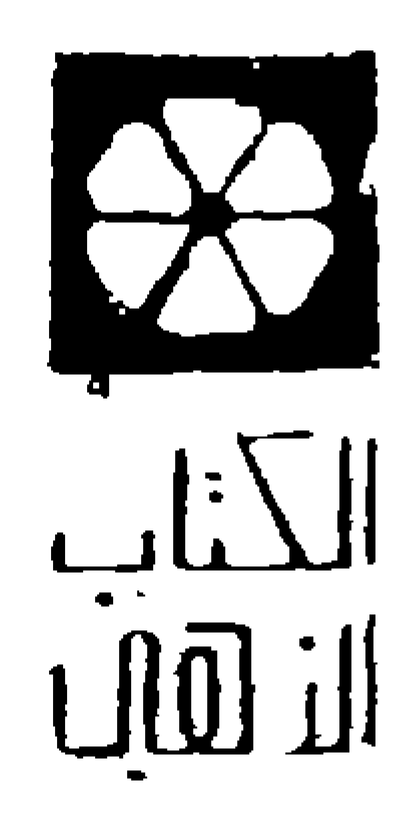
الكتاب الذهبى

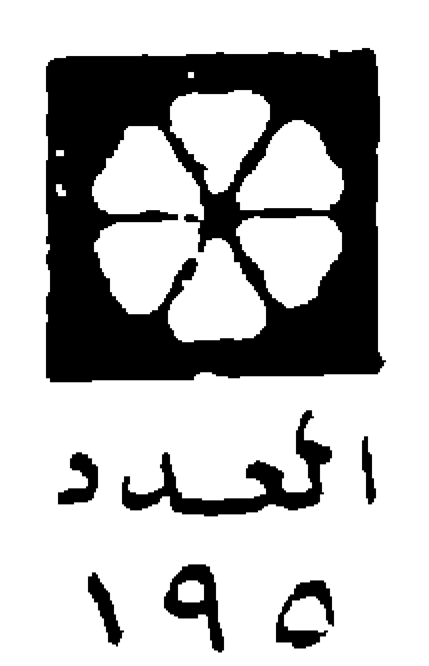
محمد التابعى

أسرار الساسة والسياسة

مصر ما قبل الثورة

صفحات مجهولة ومثيرة
تروى قصص الصراع حول
المناصب وعلاقات احمد ماهر
واحمد حسنين والملكة نازلى
ومكرم عبيد ومصطفى النحاس وغيرهم


الكتاب
الذهبي


العدد
١٩٥


اكتوبر
١٩٧٢

أسرار
الساسة والسياسة
مصر ما قبل الثورة

الامانة الصحفية
وسر المهنة

اقترح علي كثـــيرون من الاصـــدقاء ان اكتب مذكراتي عن الساسة والزعماء والنساء والرجال الذين عرفتهم في حيـاتي وعن الحوادث والازمات .. الى آخره .

ورفضت .. وكانت حجتي انني لم ادون مذكراتي الا في فترات متقطعة .. متباعدة .. فالتسلسل مفقود والسـياق مضطرب والدقة في الرواية غير مأمونة او مضمونة .

ثم شيء آخر وهو الأهم عندي .. من الذي يستطيع دائما أن يقول الحق .. كل الحق ولا شيء غير الحق .

واذا نشرت مذكراتي فهل اقول فيهـا كل ما أعرف ، وكل ما سمعت ، وكل ما رايت .. وبين الذين سوف تتناولهم هذه المذكرات اشخاص قد انتقلوا الى رحمـة الله ، ونحن اليـــوم نحيطهم بهالة من الاجلال والاكبار .

وبينهم من لايزال على قيد الحياة ومن هو معـدود من الأعلام والصفوة الممتازة في هذا البلد .. هل اقول كل ما اعرف عن هؤلاء وهؤلاء ؟ .

هل اروى مثلا حديث الزعيم فلان عن الزعيم فلان ؟ وهــو حديث مملوء غيرة وحقدا .. ؟ وهل اروى مثلا واصف صــور الضعف والاستهتار .. صــور الخنوع والذل والاستمساك بالحكم بأى ثمن ؟ .. وصــور الطمع والجشع والنفـاق وعدم الوفاء ؟ .. وقصص الخلاعة والمجون وابطالها زعمـاء وساسة مبــرزون .. ؟

ثم مسالة اخرى ٠٠ ما هو الحد الفاصل بين ما يجوز نشره وما لايجوز نشره ؟ ٠٠ والأمانة الصحفية وسر المهنة ؟ ٠٠٠ ما هي حدود هذه الامانة وهذه السرية ٠ ؟

لقد اشتغلت بالصحافة ثلاثين عاما ، وعرفت فيها عشرات وعشرات من الزعماء والساسة وربطتني ببعضهم اواصر الصداقة والثقة ، وبوحي هذه الصداقة والثقة افضى الى بعضهم باسرار كثيرة ٠٠ وكشف امامي بعضهم عن مكنون صدره بل وعن خفايا ضعفه ٠٠ فهل اروى اليوم كل ما سمعت او بعض ماسمعت ٠ ؟

ورواية الكل قد تنفع المجموع ، وتؤذى الفرد ، ورواية البعض قد لاتفيد المجموع ولا تؤذى الفرد ، اى الزعيم المروى عنه ٠٠ واذن ما الفائدة وما الغاية من نشر رواية ناقصة او مبتورة ٠ ؟

وفى نشر الرواية كلها فضيحة او خيانة للأمانة ٠

وفى خلال هذه الثلاثين عاما التى اشتغلت فيها بالصحافة قابلت كثيرين من الساسة وقادة الرأى العام فى مصر وفى بلاد غير مصر ، بل وقابلت رؤساء دول ورؤساء حكومات ، وكثيرا ما تحدث الى الواحد منهم واطال الحديث ثم قال :

ــ تستطيع ان تنشر كذا وكذا ٠٠ ولكن لا تنشر كيت وكيت ٠

وبعض هذه الأحاديث قد مر عليها عشر سنوات او عشرون سنة ٠٠ وأتساءل اليوم : هل « حظر النشر » لايزال قائما ؟

هل « سرية المهنة » سرية مطلقة مؤبدة ٠٠ ام موقوتة بفترة من الزمن ٠٠ وما طول هذه الفترة ؟ هل تكفى مثلا العشرة اعوام او العشرون عاما لكى تحل الصحفى من وعده بعدم النشر ، هل استطيع ان انشره دون ان يتهمنى احد بخيانة الأمانة والخروج عن مبدأ سرية المهنة وهو المبدأ الذى تقدسه الصحافة ويحترمه الصحفيون ؟

* * *

ثم اعتراض رابع او خامس ٠٠ هل يستطيع الصحفى ان يقدم دائما واجب المهنة على كل اعتبار ؟ هل يستطيع ان يذكر دائما انه صحفى ٠٠ وينسى دائما انه انسان ؟

لقد قابلت مثلا ملك الأفغان الأسبق الملك أمان الله ، قابلته مرتين .. في سويسرا في مدينتي مونتريه وزيوريخ .. وكان أمان الله في المقابلتين رجلا كسير الخاطر محطم الآمال .. كان يمشي تحت وابل المطر .. يتسكع ـ كما قال هو نفسه ـ ليقتل الوقت .

وكتبت عنه في المرتين ورويت الحديث الذي دار بيننا .. الا جزءا منه .. الا جزءا خاصا بزوجته السابقة الملكة ثريا .. لقد ابقيته حتى اليوم في صدري . هذا الجزء من حديث الرجل الكسير الخاطر المحطم الامال .. كتمته ولم انشره لانني لم أستطع ان انسى انني ـ قبل ان أكون صحفيا ـ .. انسان .

* * *

وفاروق الطاغية .. فاروق هذا نفسه لا أستطيع ان اكتب واروى عنه كل ما اعرف لانني .. انسان .

ولقد قاومت طغيانه وحاربته قدر ما استطعت .. وهو ملك وحاكم بامره .. فكتبت مثلا مقالا عنوانه : «يحيا الظلم» في مجلة « آخر ساعة » عدد ١١ اكتوبر سنة ١٩٥٠ ، قلت فيه بين ما قلت :

نعم .. « يحيا الظلم » .. ظلم كل جبار عاتية معتز بسلطانه وسطوته يدوس القوانين ولا يبالى ، وظلم كل كبير فاسق وكل عظيم فاجر يسرق ولا يبالى ويختلس ولا يبالى .. يثام الاعراض ولا يبالى .. ويهدر الكرامات ودم الوطن ويجعل من مصر امثولة السوء وبصقة كريهة في فم الزمن .

نعم .. « يحيا الظلم » .. ظلم كل مطالب باحترام القانون ولا يحترمه .. وكل قادر على حماية القانون ولا يحميه .. وظلم كل عابث ماجن اباحي مستهتر يضرب للناس اسوأ الأمثال .

نعم .. « يحيا الظلم » .. لانه خير مرب للنفوس .. ونفوس المصريين تجيش اليوم بمعنى واحد : لقد صبرنا طويلا ولن نصبر بعد اليوم .. وتحملنا كثيرا ولن نتحمل بعد اليوم .

* * *

وقرا فاروق المقال ، واشر بالقلم على هذه العبارة ثم سأل بعض رجال ديوانه « الملكي » ـ ولا داعي لذكر اسمائهم ـ سالهم : «من العظيم الفاجر الذي يسرق ويعتدى على الأعراض؟»

وسكتوا عن الرد .. وعاد يســـألهم : « من الذى يعنيــه التابعى ؟ » ولم يجب احد منهم .. وابتسم فاروق ابتســامة صـــفراء لأنه عرف بكل تاكيد من سكوت رجال حاشيته .. انه هو المقصود .

* * *

وكتبت عن فاروق بعد خلعه وطرده .. كتبت ولم ارحمه ، واسهبت فى سرد قصص مخازيه وفضائحه ، ومع ذلك فاننى لم انس فى كل ما كتبت أننى انســان .. فلم اذكر مثلا لماذا بكى ذات يوم فى دار صغيرة فى حى جناكليس برمل الاسكندرية فى صيف عام ١٩٣٧ ؟

وكان فاروق يومئـــذ لا يزال الملك المأمول .. لم تفســـده الدنيا ، ولم ينس ربه ودينه .. بكى كالطفل الصـــغير حتى بلل الدمع خديه .

لم أكتب ولم اذكر التفاصيل ، لان فاروق بكى ســـاعتئذ كانســـان .. لا كملك .. ولأننى لا أســـتطيع ان انسى دائما اننى انسان .

* * *

الذكريات كثـــيرة .. وما أعرفه كثير .. وما وقع لى فى حياتى مختلف الالوان .. والصعوبة فى الاختيار .. ايها أصلح للنشر .. وايها لايصلح ؟

ايها يجوز نشره ؟ وايها لا يجوز ؟ وأيها يرضى أصـــحابه واشخاصه وابطاله .. او يسكتون عن نشره .. وايهـــا الذى لا يرضيهم نشره ؟ هل اروى مثلا ما سمعته من الدكتور محمد صلاح الدين ايام اشتداد الخلاف بين رئيس الوفد مصـــطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد ؟

ومن هم الذين سعوا مخلصين لتسوية اسباب الخلاف والابقاء على وحدة الوفد .. ومن هم الذين سعوا وعملوا على توســيع شقة الخلاف بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ؟

وهؤلاء وهؤلاء من اعضاء الوفد او من كبار الوفديين .

وهل استطيع مثلا أن اروى تفاصيل حديث دار فى مســكنى ذات مساء فى شهر مايو او يونية علم ١٩٤٢ ، بين فؤاد سراج

الدين وبيني عن مكرم عبيد ؟ وهل من الصواب فصله الآن من الوفد او الانتظار .. والاسباب « الوجيهه » التى ابداها الاستاذ فؤاد سراج الدين لتعجيل بفصل الأستاذ مكرم عبيد ؟

وهل اذكر الحديث الذى دار بالتليفون بين مصطفى النحاس وكان فى فندق مينا هاوس ، ومكرم عبيد وكان فى المنيا ذات مساء ابان الاستعداد للانتخابات التى جرت بعد قيام وزارة ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ؟

وهل اروى ما سمعته من فم رئيس الوفد ورئيس الوزارة مصطفى النحاس عن «الملك فاروق» وموقف الوزارة منه ومن الانجليز ؟

وهل من الأمانة الصحفية أن أروى حديثا أو كلاما لم يقله مصطفى النحاس أمامي الا وهو مطمئن الى وواثق منى ؟!

وهل استطيع ان اروى كل ما أعرف وكل ما سمعته من صديق راحل كريم هو أحمد محمد حسنين ، وللصداقة حقوق ، وعليها واجبات ؟

وهل مما يستقيم مع حقوق الصديق ولا يتنافى مع واجبات الصداقة ان اروى واذكر كل ما عرفت وكل ما سمعت ؟

* * *

هذه هى الصعوبة ، بل هذا هو الصراع بين الصحفى والأمانة الصحفية .. وبينه وبين سرية المهنة .. ثم الصراع بين الصحفى والانسان .

الكتاب الأول :

أحمد محمد حسنين
فى الحياة الخاصـة

هذا الرجل الغامض ..

هل هو بطل ؟ .. هل هو خائن ؟

قلت فى المقدمة أننى لا أكتب هنا « مذكرات » بالمعنى المعروف ، بل هى صور وقصص من حياتى وحياة الآخرين .. صور وقصص بلا تسلسل أو ترتيب .

وقد اخترت ان ابدأ بصورة للمرحوم احمد حسنين باشا ، لا لسبب الا لأن شخصيته كانت موضوع خلاف بين الذين عرفوه .

هل هو بطل ؟ ومصرى وطنى مخلص يقدم مصلحة بلاده على كل ما عداها ؟ ام هو خائن وصنيعة للانجليز ؟ ولا بأس من أن يضحى بمصلحة مصر فى سبيل مصلحة ذاتيه يحققها له الاستعمار ؟ هل هو السبب المباشر فى فساد الحكم وفساد فاروق ؟ وفساد الأسرة المالكة ؟ والفضائح التى وقعت فى السنوات القليلة السابقة على قيام الثورة ؟

تباينت الآراء واختلفت فى هذا الرجل .. أحمد محمد حسنين .

وأحمد محمد حسنين ابن الشيخ الأزهرى محمد حسنين .. ومع ذلك ! ومع ذلك فهو خريج جامعة اكسفورد .. وصهر الأسرة المالكة !

ولقد عدوها أعجوبة من عجائب العصر يوم تزوج سعد زغلول الأزهرى النشأة وابن الفلاح المصرى من ابنة مصطفى فهمى باشا التركى الاصل ، ورئيس الوزارة المصرية

وهاهو ذا مصرى آخر وابن فلاح وشيخ أزهرى يتزوج من ابنة الأميرة شويكار مطلقة الملك فؤاد وحفيدة محمد على مؤسس الأسرة المالكة !

انها اذن أعجوبة العجائب ! وكانت أعجوبة اخرى أن هذا المصرى ـ ابن الفلاح ـ يطلق فيما بعد طواعية واختيارا زوجته

هده لطفيه ابنة الاميرة شـــويكار التى كان مقدرا لها أن ترث الملايين ·· وهو الفقير المعدم الغارق فى الديون !

كيف كان هذا ؟ ولماذا ؟

هل طلق حسنين زوجته كرها فيها ؟ وحبا فى نازلى ملكة مصر ؟ ام انه طلقها وهو يبكى وقلبه يقطر دماء ؟ ولماذا طلقها اذن ؟

* * *

أحمد محمد حسنين خريج جامعات انجلترا ، والمفتش بوزارة الداخلية ابان الحرب العالميه الاولى ، والسكرتير بسفارة مصر فى واشنجطون ، والامين الثانى للملك فؤاد ·

ورائد صاحب السمو الملكى الأمير فاروق ولى العهـــد وأمير الصعيد ·

والأمـين الأول لجـــلالة الملك ، ثم رئيس ديوان جـــلالة الملك فاروق ·

والرجل الذى كان يمسك بخيوط السياسه المصرية فى فترة حرجه حالكة فى تاريخ مصر ما بين عام ١٩٤٠ ، وعام ١٩٤٦ ·

الرجل الذى كان يقيم الوزارات ويسقط الوزارات ، وهو فى نفس الوقت حريص على أن يبدو فى تصرفاته واقواله كرجل لا يعرف شيئا مما يقع فى البلد ! ولا يد له فى أى أمر يقع · بل ويؤكد لمعارفه أنه لا يفهم شيئا فى السياسة !

* * *

كان فى وقت ما بطل مصر فى « الشـــيش » أو المبـــاراة بالسيف ، ونازل أبطال هذه اللعبـــة فى أوروبا وانتصر على كثيرين منهم ·

وحاول فى يوم ما أن يكون أول مصرى يقود طائرته الخاصة بمفرده من أوروبا الى مصر ·· وسقطت به الطائرة مرتين فى فرنسا ، وايطاليا ·· ونجا من الموت مرتين · وأصـلح عطب الطائرة واستئناف طيرانه ·· لولا ان الملك فؤاد ارسل اليه برقية يأمره فيها بالعدول عن الطيران الى مصر والعودة بأول باخره ·

وجاب مجاهل الصـــحراء الغربية مع الرحالة الانجليـزية السيدة روزيتافوربس ، وكان حسنين صاحب الفكرة ومنظم الرحلة وعقلها المدبر وقائدها ·· وقد تســـتر على زميلتـــه

الانجليزية فزعم أنها مسلمة وأنها زوجته ، وألبسها ثيابا عربية واسدل على وجهها حجابا كثيفا .. والا لما سمح زعماء القبائل لهذه المسيحية الأجنبيه بالتوغل فى مجال سلطانهم والتعرف على أسرار الصحراء .

وعاش احمد حسنين مع روزيتافوربس اسابيع عديدة فى مجاهل الصحراء . وكانا ينامان فى خيمه واحدة .. ولكنه لم يحاول أن ينال منها .. أما هى فقد حاولت .. ولكنه أبى واعرض .

وسألته مرة :

– وهل قدت قميصك من دبر !

وضحك رحمه الله وقال :

– كلا .. فان المسألة لم تصل الى هذا الحد .

قلت : لكننى لا أفهم ! .. لقد كنت يومئذ فى عنفوان شبابك .. وروزيتا امرأة جميلة تشتهى .. وكنتما فى الصحراء أسابيع عديدة .. ووحدكما عشرات الليالى فى خيمة واحدة .. وكان مرافقوك من البدو يعتقدون انها زوجتك .. وما انت دائما بولى الله أو قديس .. ماذا اذن ؟

وضحك مرة اخرى وقال :

– لأن الازهر انتصر فى هذه المرة على اكسفورد .. !

وكان أبوه الشيخ محمد حسنين من علماء الأزهر الاجلاء .. والمعنى الذى أراده حسنين هو ان النشأة الدينية فى دار أبيه وما ورثه فى دمه من ابيه العالم الأزهرى المتمسك بأحكام دينه الحنيف .. كل هذا انتصر على عوامل التحرر أو التحلل التى تركتها فى نفسه دراسته فى جامعة اكسفورد .

سألته :

– وهل انتصر الأزهر دائما فى جميع المعارك الشبيهة التى نازلت فيها امرأة او تحدتك فيها امرأة ؟

قال : كلا .. ولكننى فى هذه المرة كنت حريصا على رضاء ربى ورحمته ، فقد كنا فى صحراء مجهولة .. وأسباب الهلاك تحيط بنا من كل جانب . وكنت أعد نفسى مسئولا عن سلامة القافلة ونجاة افرادها .

وضحكت بدورى وقلت :
ـ اذن فقد تابيت وأعرضت لا زهدا فى روزيتا ٠٠ وانمـا خوفا من أن يحل بك غضب الله وأنت فى جوف الصحراء ؟
قال : نعم ٠٠

قلت : ولولا هذا ؟
قال : لاتكن لحوحا !
وعادت روزيتا الى انجلترا ووضـعت كتابا عن الرحلة ، واشارت فيه اشارة عابرة ـ فى سطور ـ الى أحمد حسـنين وكتبت انه كان اجيرها ومترجما لها اثنـاءالرحلة المذكورة ٠٠ وانه لم يكن يعنى الا ببيجامات نومه الحريرية وزجاجات الكولونيا التى حملها معه فى رحلته عبر الصحراء !

وانها هى كانت كل شىء وصاحبة الفضل فى كل شىء وهـو لا شىء ! واخذت بروايتها صحف عديدة فى انجلترا وأوروبا وامريكا ٠٠ وهكذا غلب كبرياء المرأة ٠٠ فضيلة الصدق !
والح بعض كبراء الانجليز من أصدقاء حسنين الذين كانوا يعرفون حقائق الرحلة وان حسنين هو صاحب الدور الرئيسى وصاحب الفضل الأول والاخير فيها ٠٠ الحوا عليـه أن يرد على روزيتافوربس ويفند مزاعمها ولكنه رفض ٠
رفض ان ينازل امرأة ٠٠ او «يقد قميصها من قبل!» سكت اذن ونفسه مملوءة ألما وحزنا ومرارة ٠

ولكنه قام فى العام التالى ـ وبمفرده ـ برحلة ثانيـه فى جوف الصحراء واكتشف واحة الكفرة ٠٠ وكان لاكتشافه الخطير دوى كبير فى جميع أنحاء العالم ٠٠ واجتمعت الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن ومنحته ميداليتها الذهبيه وهى أسمى وسـام يمكن للجمعية ان تقدمه لكبار المكتشفين ٠
وانهالت عليه الأوسمة والنياشين من مختلف الدول تقديرا لهذا الاكتشاف ٠ ومنها وسـام سان لازار الذى أنعمت به عليه حكومة ايطاليا وهو من ارفع الأوسمة شأنا فى ايطاليا ٠
وفى حفلة ساهرة اقيمت فى روما التقى أحمد محمد حسنين مع روزيتافوربس ٠٠ وكان يعلق على صدر سترته وسام سان لازار الرفيع الشأن ٠

واقتربت منه روزيتا وحيته ثم سألته ساخرة :
ـ هذا وسام سان لازار ؟ ·· ترى اى عمل استحققت عليه هذا الوسام ؟·
واجاب حسنين ، بالانجليزية طبعا :
For my Chastiy Rosita
أى استحققته بفضل طهارتى يا روزيتا !
وامتقع لون روزيت‌هوريس ·· وولته ظهرها ، فقد كانت الغمزة صريحة مكشوفة مفهومة !
وقال لى حسنين :
ـ نعم ·· لقد ثارت لنفسى ، ولكنه كان انتقاما خسيســـا ندمت عليه فيما بعد ·· بل ان العبارة لم تكد تخـرج من بين شفتى حتى ادركت اننى تصرفت بخسة وفظاظة ·· وندمت وفكرت فى أن اعتذر اليها ولكنى اشفقت من ان اعتذارى قد يزيد فى جروحها والمها ·

* * *

وســافر الى واشنجطون ليتولى منصبه فى ســـفارة مصر وعرضت عليه احدى الهيئات أن يقوم برحلة يطوف فيها ببعض المدن الامريكيـــة الكبيرة ويلقى فيها محاضرات عن رحلته فى الصحراء ·
وعرضـــوا عليه مبلغ خمســـة وعشرين الف دولار وكانت تساوى وقتئذ خمسة آلاف جنيه مصرى ، وفى مقـابل اثنتى عشرة محاضرة ·
واشترطوا عليه‌ان يلقى هذه المحاضرات وهو يرتدى الثياب البدوية التى كان يرتديها فى الصحراء أثناء رحلة الاستكشاف·
ورفض احمد حسنين هذا العرض ·
وكان يومئذ ـ كما كان دائما ـ فقيرا ومدينا لأحد زملائه فى السفارة بمبلغ خمسين دولارا !
ولكنه رفض أن يكون « اراجوز » كما قال لى ·· لكى يرضى فضول الامريكان ويكسب خمسة آلاف جنيه ·
وارتداء ثياب البدو فى الصحراء شىء ·· والظهور بها على مسرح فى مدن أمريكا شىء آخر ·

* * *

هذه لمحات خاطفة ـ وتائهة ربما ـ من حياة حسنين ·
واذا كنت قد وقفت عندها بعض الوقت فما ذلك الا لأنهـــا

ـ فى رأيى ـ تنفى شيئا من اضواء على خلق حسنين وعقليته ونفسيته ومذهبه فى الحياة ٠

يرفض امرأة ويتأبى عليها ٠٠ لأنه يخاف غضب الله في وقت كان فيه أحوج ما يكون الى استرضاء الله ، واستجلاء عطفه ورحمته ٠٠ والا ٠٠ !

يرفض أن ينازل امرأة او يهاجمها او يكذبها علنا ٠٠ ولكنه ـ فيما بينها وبينه ـ يجرحها ـ كما يقول هو نفسه ـ بخسة وفظاظة لأنه ذكرها بانها عرضت جسدها عليه ولكنه رفض وظل طاهرا ٠

ويرفض ـ وهو الفقير المدين ـ يرفض خمسة آلاف جنيه لانه يأبى ان يظهر على المسرح في ثياب قد تثير ضحك الأمريكان ٠

* * *

لمحات خاطفة ، وربما تافهة ، ولكنها تساعد على رسم صورة لاحمد حسنين الذى اختلفت فيه آراء الناس وتعددت الصور التي يرسمونها له ٠

الذين عرفوه وأحبوه ٠٠ رسموا له صورة بطل ! وبعض الذين لم يعرفوه رسموا له صورة كريهة قاتمة ٠٠ صورة صنيعة الانجليز ٠٠ الخائن الذى يخدم مصلحة خصوم بلاده من المستعمرين !

وبعض الذين عرفوه وكرهوه ٠٠ أو لم يحبوه جعلوا منه شيطانا رجيما ٠٠ ومنافقا لئيما ٠٠ ونفعيا وصوليا نهازا للفرص !

وغير هؤلاء وهؤلاء ٠٠ فريق من الساسة والصحفيين رسموا لاحمد محمد حسنين صورة الرجل العادى ٠٠ الكسول ٠٠ الذى يحب العيش الهنىء ٠٠ والذى لم يؤت من الذكاء والعلم الا قليلا ، ولايفهم فى السياسة شيئا ٠٠ بل سار فى دروبها ليخبط خبط عشواء ٠

وهذه الصورة هى الصورة التى كان حسنين باشا نفسه يحرص على أن يطبعها فى نفوس جميع الذين كان يلقاهم من الساسة والزعماء !

كان رحمة الله يحب أن يعتقد الناس فيه الغباء بل «الهبل» ! وانه رجل لا يخشى شره ! ٠٠ أو طرطورا ! أو ساعى بريد

ينقل اليهم « الاوامر السامية » من جلالة الملك ·· او « يرفع » آراءهم ونصائحهم الى « السدة العلية الكريمة » ·· ومن غير ان يكون له هو رأى او مشورة فى الموضوع ·

وصدقه بعضهم فى اول الامر · ثم اكتشفوا الحقيقة · وعرفوه ·· وكرهوه !

وآخرون عرفوا الحقيقة عندما عرفوه ·· فأحبوه ! وغير هؤلاء فريق من الساسة الذين « كشفهم » حسنين باشا أمام فاروق ·· وكشف عن الاعيبهم ومناوراتهم واطماعهم وأكاذيبهم · كشفهم وأضاع عليهم نفوذهم عند فاروق ·· وفوت عليهم فرص الفوز بمقاعد الحكم وجاه السلطان ·

ويبقى السؤال قائما ·· هل كان احمد محمد حسنين بطلا ومصريا وطنيا وخادما أمينا لبلاده ·· ؟

ام كان خائنا وصنيعة أو ذنبا من اذناب الاستعمار ؟ الرأى عندى انه ــ رحمه الله ــ لم يكن هذا ولا ذاك ·

لم يكن بطلا ·· ولم يكن خائنا لبلاده ·· وانما كان رجلا ذا مطامع واسعة كثيرا ما أفلح فى اخفائها وراء قناع من الزهد فى المناصب ·· والجهل بالسياسة وأسرارها ·

كان يطمع فى أن يكون رئيس الوزارة والرجل الأول فى الدولة · ولكنه لم يمض الى هذا الهدف مباشرة وفى خط مستقيم ·· كلا ·· فان هذه لم تكن سياسة أحمد محمد حسنين الذى كتب عنه مرة زميله فى الدراسة وصديقه حفنى محمود فقال : « انه فاجاه مرة وهو يقرأ كتابا ما · »

وحاول حسنين أن يخفى الكتاب عن صديقه حفنى محمود · ولكن حفنى استطاع ان يقرأ عنوان الكتاب ·

وكان الكتاب هو « الأمير » لمؤلفه السياسى الداهية « ماكيافيللى » ! الذى وضع كتابه على أساس أن الغاية تبرر اتخاذ كل وسيلة ! وهكذا لخص حفنى محمود سياسة صديقه حسنين « السياسة الماكيافيلليه ! » سياسة الخبث واللف والدوران ·· وكل وسيلة مشروعة فى سبيل تحقيق الغرض والوصول الى الهدف !

وكل غرض شريف مادام فى خدمة الأمير ·· أى الحاكم · وكان الأمير يومئذ هو الدولة ·· والدولة هى الأمير ·

قصة نازلى
ملكة مصر سابقا
وأحمد محمـد حسنين

قلت أن حسنين باشا لم يكن بطلا معدودا من أبطال الوطنية المصرية ·· ولم يكن خائنا لبلاده أو صنيعة للاستعمار كما اتهمه بعض خصومه ، وبعض الذين لم يعرفوه ·· أو الذين عـرفوه ولم يحبوه ·

ولكنه كان رجلا ذا مطامع واسعة ، وكان كل نجاح يلقـاه يغريه بالتماس نجاح آخر ·· وكل منصب يرقى اليـه يغريه بالسعي وراء منصب آخر يفوقه سلطة ونفوذا ·

وكانت خطواته مطردة دائما الى الامام ، لم يتعثر مرة واحدة ، ولم يقف او يتقهقر او يرتد الى الوراء مرة واحدة · دائما الى ما هو اعلى واقوى واوسع نفوذا ·

كانت حياته سلسلة من الانتصارات ·· ولم يعرف الهزيمة سوى مرة واحدة ·· وكان ذلك في حادث ٤ فبراير سـنة ١٩٤٢ ، ولكنه استطاع ان يثأر لنفسـه بعد عامين يوم دبر اقالة وزارة مصطفى النحاس في ٨ اكتوبر سنة ١٩٤٤ ·

وهكذا رد اللطمة للسفير البريطاني سومايلز لامبسـون أو لورد اوف كيلرن ·· كما ردها مضـاعفة للسيد مصـطفى النحاس ·

وكان أحمد محمد حسنين يضع خططه بدقة واحكام وينفذها بكياسة ومهارة وحذر ، ولا يضيق صدره ولا يخونه صبره مهما طال الأجل ·· أو لاقى من صعوبات ·

وكانت الخطة الاولى أو الخطوة الاولى الواسـعة في طريق تحقيق مطامعه هي مصاهرة الأسرة المالكة ·

ولقد استطاع الشاب النحيل القامة الوسيم الطلعة الأنيـق في ملبسه ·· الساحر في حديثه ·· الرشيق في حركاته ·· الرياضي البطل في دنيا الرياضة والمغامرات ·· والرحالة الذي جاب

مجاهل الصحراء وواجه الموت مرارا فى رمالها المحرقه وفيافيها الجدباء والذى اغدقت عليه صحف العالم من الثناء والاعجاب مالم تغدق مثله الا على قليلين من كبار المتشفين ٠

* * *

استطاع هذا الشـــاب احمد محمد حسنين - ابن الشيخ محمـــد حسنين المدرس بصحن الازهر الشريف اســـتطاع ان يفتن ويخلب لب الفتاة لطفيـــة كريمة صـــاحبة السمو الاميرة شويكار مطلقه الملك احمد فؤاد وام ابنته صـــاحبة الســـمو الملكى الاميرة فوقيه ٠

وتزوج حسنين من لطفية وأصبح من اصهار الاسره المالكة وزوجا لاخت الاميرة فوقية كريمة الملك فؤاد ٠

وكان فؤاد قد تصـــالح قبل ذلك بســـنوات مع مطلقته شويكار ٠

وهكذا عزز حسنين مركزه وثبت قدمه على اولى درجـــات السلطة فى دنيا المناصب والجاه والنفوذ ٠٠ والا فأى رئيس او وزير ، وأى امير كان يجسر يومئذ انيتجاهل هذا الشاب احمد محمد حسنين - صهر العرش والتاج ؟

كانت هذه هى الخطة أو الخطوة الاولى ٠

وقد اسميتها خطة أو خطوة لأنها كانت مرســـومة ، ولأن الزواج لم يكن مقصودا لذاته بل كان وسيلة للوصول الى غرض او هدف مقصود فى طريق النجاح وتحقيق المطامـــع الواسعة ٠

والدليل الذى لايحتاج معه او بعده الىدليل آخر انحسنين يوم تزوج من المغفور لها السيدة لطفية لم يكن يحبها ٠

لقد استطاع انيفتنها ويخلبلبها ويوقعها فىحبه ٠ اماقلبه هو فكان خاليا من اى حب لها ٠

صحيح انه لم يكن يكرهها ٠٠ كلا ٠٠ ولكنه لم يكن يحبها يوم خطبها ويوم تزوج منها ٠٠ وبعد الزواج - لا قبله - وبعـــد المعاشرة او « العشرة » وبعـــد ان انجبت له اولاده ٠٠ احبها حسنين ٠٠ او كما قال لى هو نفسه « ان لطفية كريمة رقيقة حنون تستحق كل حب وهى أم مثالية ٠٠ ولقداحببتها بعد الزواج كما لم احب امرأة اخرى »

والآن وقد عرفنا كيف ولماذا تزوج حسنين من لطفية ابنة الاميرة شيويكار .. يبقى ان نعرف لماذا طلقها مع انه — باعترافه — كان يحبها كما لم يحب امرأة سواها ؟

كان زواجه منها خطوة فى سبيل تحقيق مطامعه الواسعة وكان طلاقه لها خطوة اخرى فى نفس الطريق .. وساذكر الطريق فيما بعد .

ونعود الآن الى يوم توفى الملك احمد فؤاد فى ٢٦ ابريل عام ١٩٣٦ .

لم تمض اسابيع قليلة على وفاته حتى كثر الهمس بين موظفى القصر وفى الاوساط الخاصة المتصلة به ان «السجينة» قد حطمت قيودها ، وانطلقت — وهى لاتزال بعد ترتدى ثياب الحداد — انطلقت تمرح وتحاول ان تعوض مافاتها وتنهل من عيون الحياة وينابيعها .

وكانت «السجينة» المذكورة هى الملكة نازلى .. وهى نفسها التى كانت تقول لكل من يقابلها وتأمن جانبه « انا سجينة الملك فؤاد »

ولقد تعددت الروايات واختلفت عن زواج « السلطان » احمد فؤاد من نازلى كريمة المرحوم عبد الرحيم صبرى باشا . ولكن الذى سمعته من رواة ثقات من اقاربها هو انها ارغمت على هذا الزواج .. وانها كانت تحب شابا من أقربائها واكتفى بذكر الحروف الاولى من اسمه ، « ش . ش » لانه لايزال بيننا على قيد الحياة .

كانت نازلى تحب قريبها الشاب وكان املها فى الزواج منه كبيرا الى ان خطبها «عظمة السلطان» احمد فؤاد من ابيها .

وفى اليوم المحدد لعقد القران هربت نازلى — فى الصباح الباكر — من قصر ابيها ولجأت الى حبيبها « ش . ش » .

وراح الفتى يتنقل — وهى معه — طول اليوم من دار صديق الى دار صديق .. خوفا من مطارديه فقد انطلق الاقارب وسلطات الدولة كلها تبحث فى كل مكان عن خطيبة « عظمة السلطان » .

وأخيرا أدرك الفتى ! ولعله كذلك خاف مما قد يصيبه من بطش « السلطان » فأركبها عربة حنطور واعادها الى قصر ابيها .. فى المساء .

وعقد القران ٠٠واصبحت نازلى صاحب «العظمة السلطانة سلطانة ٠٠ ولكنها حبيسةفى القصر ٠٠ عليها فى كل ردهة وكل رواق وغرفة عيون وأرصاد ولا تغادر القصر الا باذن ٠٠ ولا تزور ولا تزار الا باذن ٠٠ فقد كان أحمد فؤاد شـــديد الغيرة على زوجته الشابة الجميلة ٠

ولقد اصاب نازلى من فؤاد عدة امـراض ليس اقلهـا شأنا تقيح اللثة او « البيورى » ٠

قال لى الدكتور ستانكيفتش طبيب الاسنان ، وهو روسى الاصل وكان متزوجـــا من اميرة بولونية ٠٠ وكان طبيب الاسنان الخاص للملك فؤاد وأسرته ٠٠ قال لى مرة بعد وفاة الملك فؤاد ان فى فم الملكة نازلى تســع اسنان « عايمــة » او « ملخلخة » بسبب تقيح اللثة ٠٠ ولما كان يعرف ان الملك فؤاد عنده نفس الداء « تقيحاللثه » فقد سألها ذات يوم لكى يتأكد من اصل العدوى وسببها ٠٠ سألها :

ــ هل جلالة الملك يقبلك فى فمك ؟

وضاقت عيناها قليلا وقد بدا فيهما حقد وسخط وقالت :

ــ يقبلنى فى فمى ؟ ٠٠ انه لايكتفى بمجرد التقبيل !

وكانت عيناها وصوتها وقسمات وجهها تنطق بالاشمئزاز والكراهية ٠٠

هذه روايه دكتور ستانكيفتش وقد ايدتها مصادر اخرى وهى ان نازلى لم تكن تحب زوجها أحمد فؤاد ٠

وبقيت نازلى سجينة القصر او فى «قفص من ذهب» سبعة عشر عاما هى الربيع وخير ما فى العمر وسنوات الصـــبا والشباب ٠

وأخيرا تحررت يوم مات « سجانها » الملك أحمد فؤاد ٠ وكان ربيع عمرها ولى ومن بعدهالصيف اوشك كذلك أو يكاد٠

وانطلقت نازلى ــ بشراهة ونهم ــ تنهل من عيون الحيـاة وتطفىء نار الظمأ الذى احرق احشاءها السنوات الطوال !

وكثر الهمس وذكرت أسماء بعض ضباط الحرس وموظفى القصر ثم تركزت الاشاعاتحول اسمين اثنين وهما احمد محمد حسنين والياور « البكباشى يومئذ » عمر فتحى ٠

وما من شك فى ان ملكة مصر يومئذ ــ نازلى ــ كانت تريد

ان تلهو بالرجلين وان تضرب او تضارب احدهما بالاخر وان تثير الغيرة في صدر هذا ضد ذاك وان تتلذذ بمشاهدة الغيرة والمنافسة بين رجل الحاشية الوسيم وضابط الحرس الرشيق وان تعبث وتلهو ٠

ولقد سمعت من حسنين هذه الحكاية : طلبت منه الملكة نازلي ذات يوم ان يمر عليها في الساعة كذا لكي يصحبها الى حفلة ما في المساء ٠

وذهب حسنين في الموعد المحدد ووقف ينتظر ٠٠ واخيرا سأل عن جلالة الملكة ٠٠ وطلب من احدى الوصيفات ان تذكر صاحبة الجلاله بموعد الحفلة وان حسنين في الانتظار ! ٠٠

وقالت الوصيفة «ولكن جلاله الملكة غادرت القصر منذ ساعة وذهبت فعلا الى الحفلة » ٠

وسألها حسنين :

ـ ذهبت وحدها ؟

قالت الوصيفه :

ـ كلا ٠٠ فقد صحبها عمر فتحي بك !

روى لي حسنين هذه الواقعه وقال :

ـ لقد سألت الوصيفه عما اذا كانت جلالة الملكة خرجت وحدها وانا اعرف مقدما ان الجواب سيكون : انها خرجت مع عمر فتحي ٠٠ فلم تكن تلك اول مرة تحاول فيها ان توقع بيني وبين صديقي عمر فتحي ٠

ومن ذلك ايضا انها دعت مرة عمر فتحي لكي يصحبها الى « المكس » لتتناول طعام العشاء في مطعم هناك اشتهر بطهي اصناف السمك ٠

واعتذر عمر فتحي من عدم تلبية طلبها لان جلالة الملك متوعك المزاج وان عليه ـ على عمر فتحي ـ ان يلازمه هذا المساء ٠

وهزت نازلي كتفيها برشاقة ونظرت الى الياور عمر فتحي بطرف عينيها وقالت :

ـ على كيفك ! ٠٠ اذا كنت مش فاضي ٠٠ حسنين دايما فاضي علشاني !

ولكن لعبتها لم تطل لان احد الرجلين ـ عمر فتحي ـ لم يكن له مطامع ولانه طول خدمته في القصر كان حريصا دائما على ان يكون في « حاله » وان يؤدي واجبات منصبه فقط ٠٠ ومن ثم فقد انسحب باختياره وترك الميدان خاليا امام حسنين٠
هذا من جهه ٠٠ ومن جهة اخرى فان احمد محمد حسنين كان ادهى بكثير مما قدرت نازلي ملكة مصر ٠
لقد كان في قصر « كنري هاوس » بلندن في معية صاحب السمو الملكي التلميذ الامير فاروق ولي العهد وأمير الصعيد يوم جاءهم نبأ وفاة الملك فؤاد والمناداة بفاروق ملكا على مصر ٠
وعاد حسنين في صحبة الملك الجديد الى مصر وفي رأسه خطة مدروسة مرسومة محكمة التفاصيل ٠
كان يعرف عن نازلي اكثر مما يعرف اى موظف آخر من موظفي القصر ٠٠ كان يعرف الكثير عن « سجنها » وعذابها وغيره زوجها الملك فؤاد وحسرتها وتلهفها على الحياة المرحة الطليقة ٠
ومن هنا عاد الى مصر ـ والى القصر ـ وقد قرر في نفسه امرا ٠٠ ان يتركها ـ يترك نازلي ـ تشده وتصده ٠٠وتعرض وتقبل ٠٠ وتروح وتعود ٠٠ وان تغازل هذا و « تستلطف » ذاك ٠٠ وهو دائما هادىء يبتسم ٠٠ لا يغار ولا يثور ٠
وان يمد لها في حبال الصبر كما يمد الصياد الماهر المجرب في خيط الصنارة ٠٠ التي علقت بها سمكة عنيدة ٠
السمكة تشد وتجذب وتقفز ٠٠ وتغوص وتطفو ٠ وتقاوم والصياد يرخي من خيط الصنارة حينا ٠٠ ويشده حينا ٠٠ وهكذا الى ان تخور قوى السمكة وتستسلم ٠
وهكذا فعل حسنين ٠٠
الى ان تعبت نازلي واستسلمت أو اسلمت قيادها لاحمد حسنين ٠٠ وبدأت هي التي تغار والتي تحاسب حسنين أين كان ! ومع من ؟ وماذا فعل ؟ وكيف أمضى سهرته ! ٠٠
الى آخر ماتفعله المرأة التي تحب بعد ان تكون قد جاوزت سن الشباب ٠
وهو ؟ ٠٠ هل كان يحب نازلي ؟

كلا .. ولكنه كان حريصا على استرضاء « ملكة مصر » .. ام ملك مصر .. وصاحبة النفوذالاعلى عند ابنها فاروق ، فقد كان فاروق يومئذ يحب أمه ويحترمها بل ويخشاها ويخشى غضبها ويعمل لها حسابا ولايخالف لها امرا .. وكان حسنين يعرف هذا كله ..ويدرك ان الذى يسيطر على نازلى يستطيع عن طريقها – أن يسيطر فى نفس الوقت على الملك فاروق .

***

عاد فاروق من انجلترا – حيث كان بدا دراسته – عاد فى الاسبوع الاول من شهر مايو عام ١٩٣٦ .

وكان هناك مجلس وصاية على العرش مؤلف من صاحب السمو الملكى الامير محمد على توفيق وصاحبى المقام الرفيع عبد العزيز عزت باشا ومحمد شريف صبرى باشا خال فاروق ..

وكانت الوزارة يومئذ وفدية برئاسة «صاحب المقام الرفيع» مصطفى النحاس « باشا » .

واقترح الامير محمد على – وهذه شهادة حق اقررها للتاريخ – اقترح رفع سن الرشد للملك الى سن ٢٥ سنة وان يعود فاروق الى انجلترا ليكمل دراسته .

ولكن الوزارة رفضت هذا الاقتراح واعلن السيد مصطفى النحاس ان وزارته تحترم وتتمسك بأحكام الشريعة والقانون والدستور .. وان هذه جميعها تقرر ان سن الثامنة عشرة هلالية هى سن الرشدوالبلوغ . وان جلالةالملك يتولىويمارس سلطاته الدستورية والحالة هذه فىيوم٢٨ يولية عام١٩٣٧ .

ولم يكن الاستمساك بأحكام الشريعة والقانون والدستور سوى ذريعة او حجة . والحقيقة انزعماءالوفد كانوا يعتقدون بعد ان أراحهم الموت من خصمهم العنيد احمد فؤاد – كانوا يعتقدون أن فى امكانهم ان يضعوا فاروق الملك الشاب فى «جيوبهم» وان يسيروه ويوجهوه كما يريدون .

ماحاجتهم الان بمجلس وصاية يمارس سلطات الملك سبع سنوات ؟ ما حاجتهم الى هذا المجلس الذى يرأسه امير من الطراز التركى القديم ؟ .. امير كثير الطلبات .. كثير المعارضة .. يخرف حينا .. ويثرثر حينا .. ولا يمل

الحديث عن اجداده العظام .. واذا ذكرت حقوق الشعب امامه تململ او هز كتفيه استخفافا !

كلا .. سن الرشد هي الثامنة عشرة .. وهلالية لاميلادية .. ويتولى فاروق سلطانه كملك دستورى بعد عشرة شهور لا سبعة اعوام .

وهنا رؤى ان يقوم الملك الشاب نصف الامي والذى لم يكمل دراسته ولم يحصل من العلم الا اقل القليل .. رؤى ان يقوم برحلة طويلة الى اوروبا لعل الرحلة تزيد فى تجاربه ومعلوماته ولو قليلا .

وتقرر ان يصحبه في هذه الرحلة امه الملكة نازلى وشقيقاته الأميرات فوزية وفايزة وفايقة وفتحية ، ومعهن المربيتان الانجليزيتان وأستاذهن للغة العربيه الرجل الطيب الاستاذ أحمد يوسف ومستر فورد مدرس التاريخ والجغرافيا للملك الشاب .

والسيدة الجليلة زينب ذو الفقار بصفتها « السيدة المرافقة » للملكة نازلى ، وكريمتها الانسة صافيناز ذو الفقار .

وخال الملك فاروق حسين باشا صبرى والسيدة الكريمة زوجته شهيرة الدرملى .

وعلى رأس الحاشيه « رائد الملك » أحمد محمد حسنين ومعه ياور الملك الخاص عمر فتحى « وقد انعم عليه برتبه القائمقام المحليه » وطبيب الخاصة الملكية دكتور عباس الكفراوى والامين الثالث على رشيد « وهو اليوم كبير الامناء » ودكتور حسين حسنى مساعد السكرتير الخاص للملك .

وأوفدت وزارة الداخلية اثنين من ضباط البوليس ليكونا فى حراسة الملك .. وهما اليوزباشى احمد الطاهر ، واليوزباشى احمد كامل الذى أصبح فيما بعد الاميرالاى وقائد قوات بوليس السراى . وتحدد يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٣٧ للسفر من بور سعيد على ظهر الباخرة «فايسروى اوف انديا » .

وكانت ثورة قد قامت فى بيت احمد محمد حسنين

***

كان قد ترامى الى سمع زوجته الرقيقة الطيبه التى تحبه ، اشاعات واخبار وروايات وحكايات عما بين ملكة مصر نازلى ، وبين زوجها احمد حسنين .

وطلبت لطفية من حسنين ان تسافر معه فى هـذه الرحلة ووعدها حسنين بعرض الامر على فاروق .

ولكنه لم يعرض الامر على فاروق . بل تحدث فيه مع نازلى .. ورفضت نازلى طبعا . وعاد حسنين وابلغ زوجته ان جلاله الملك لايوافق على سفرها لان الرحلة شبه رسميه ولا مكان فيها لزوجات الموظفين من رجال الحاشيه .

ولكن لطفية ـ رحمها الله ـ لم تقتنع ، وذهبت تسأل وتستقصى الى ان علمت وتأكدت ان زوجها لم يحدث فاروق فى امرها وان فاروق خالى الذهن تماما من هذا الموضوع .

هنا أدركت ان نازلى هى التى تعارض فى سفرها ! او لعله هو ـ حسنين ـ الذى لايريد ان تسافر معه .. مراعاة لخاطر الملكة !

والاشاعات اذن صحيحة .. ونشبت الثورة .. وعلا الصراخ والبكاء فى بيت احمد محمد حسنين وانفجرت الزوجة الرقيقة االطيبة القلب .

وكان احمد محمد حسنين ـ كما قلت فى فصل سابق ـ يحب زوجته لطفية حبا اكيدا .. ولكنه كان يحب السلطة والمجد اكثر مما يحب زوجته . ولقد عرفت حسنين اثنتى عشرة سنة واختلطت به عن قرب وكثيرا ما رفعنا « الكلفة » فى مناسبات عديدة وفتح كل منا قلبه لصاحبه .. واستطيع اليوم ان اقول ان حسنين باشا رحمه الله لم يكن الرجل الذى يلبى نداء قلبه ويعرض عن حكم العقل ! كلا .

كان العقل عنده دائما مقدما على القلب .

والخطه التى درسها ورسم خيوطها لابد ان تنجح ولو كان الثمن على حساب حبه وحب زوجته .

ومن اجل ان تنجح هذه الخطة كان لابد ان تبقى زوجته لطفية فى مصر .. بل لو ان الملكه نازلى نفسها كانت طلبت من حسنين ان تصحبه زوجته فى هذه الرحلة ولو من باب التعمية وذر الرماد فى العيون لكان حسنين رفض طلب نازلى واصر على ان تبقى زوجته فى مصر . ذلك لانه كان يعرف زوجته حق المعرفة ويعرف مقدار حبها له وغيرتها عليه وانها وهى ابنة الاميرة شويكار ومن افراد البيت المالك ـ لن تبالى اذا اضطرمت نار غيرتها ان تقذف بالاتهام فى وجه نازلى ملكة

مصر . وبعـــد . . من تكون نازلى هـذه ؟ ابنـة عبـد الرحيم باشا صبرى المدير السابق لمديرية المنوفية . اما هى لطفيه ـ فانها ابنه شويكار وحفيدة محمد على !..

وهذا كلام سبق ان سمعه حسنين من فم زوجته لطفية ! ماذا يحدث اذن لو انه سمح لها بالسفر معه الى اوروبا .. ولاحظت هى ـ باحســاس الغيرة المـرهف وعينى الزوجـة المفتوحتين ـ ماذا يحدث لو لاحظت ما هنالك أو بعض ماهنالك بين نازلى وحسنين ؟

سوف تكون فضيحة ومشهدا مثيرا وتفشل الخطة التى رسمها ليحقق مطامعه وهى ان يصبح الرجل الاول فى الدولة بعد الملك ، وان يسيطر على الملك فاروق عن طريق امه نازلى..

كلا ، لابد ان تبقى لطفية فى مصر .

وهكذا كان .. وخرج حسنين من داره فى يوم ٢٧ فبراير عام ١٩٣٧ ليرافق الملك فى القطار الخاص الى بورسعيد .. والباخرة .. واوروبا .. وترك وراءه زوجة ثائرة تسب وتشتم وتهدد وتتوعد بانها لن تسكت على نازلى .. كلا .. ولا ألف مثل نازلى !

***

وكان الوزراء ورئيسهم « رفعة » مصطفى النحاس باشـــا قد رافقوا فاروق فى القطار الخاص الى بور سعيد ثم صـعدوا الى ظهر الباخرة وودعوه .

وفوجىء النحاس باشا ومكرم باشا برؤيتى على ظهر الباخرة مع افراد الحاشية التى ترافق فاروق فى رحلته الى اوروبا .

وصاح النحاس باشا بلهجته المعروفة :

ـ تسافر ! .. ازاى الكلام ده .. ازاى .. ازاى..

وكررها نحو عشر مرات .

ـ وسايب الجرنال لمين ؟

قلت : البركة فى محمود وكريم .

وقال « رفعته » : محمود وكريم ! محمود وكريم ! لا .. لا .. ياسى التابعى .. لا .. لا .. لا ياسى التابعى .

وكررها نحـو عشر مـرات .. وتدخل مكرم باشا وقال :

صحيح الاســـتاذ التابعى غلطان .. كـان يجب يقول لنا ويستأذن من « رفعتك » .. لكن انت تعرف يا باشا انالاستاذ

التابعي يحب السفر ·· والتهييص ·

هنا وهو يضحك ويربت على كتفي ·

ولكن النحاس باشا انطلق مرة اخرى يقول :

ـ التهييص ·· التهييص ·· تهييص ايه ·· تهييص ايه ؟

وكررها نحو عشر مرات ·· ثم عاد وانطلق :

ـ والجرنال ·· والجرنال يا مكرم ؟

ذلك لان النحاس باشا لم تكن له يومئذ اقل ثقة في صدق او اخلاص وفدية شريكي الاثنين : محمود ابو الفتح ، وكريم ثابت ـ وخصوصا محمود ـ وكنا نحن الثلاثة قد اصدرنا في شهر اكتوبر السابق اي منذ نحو خمسة اشهر جريدة «المصرى» على « مبادىء وسياسة الوفد المصرى » ·

والتفت « رفعته » يسألني مرة اخرى :

ـ ومسافر وسايب الجرنال لمحمود وكريم ؟!·· وعاوزني اقول لك ايه ؟! ·· اقول له مع السلامة ياسى التابعى !؟ طيب مع السلامة ·· آه ·· وأدى كمان بوسة ياسى التابعى ·

وعانقني الرجل الطيب القلب وقبلني ·· وغادر « رفعته » والوزراء والمودعون السفينة ·

وبعد منتصف الليل بقليل تحركت السفينة « فايسروى اوف انديا » وغادرت الميناء ·

***

وكان على واجب يجب ان أؤديه ·

كانت « المصرى » قداوفدت ـ فيما اذكر ـ الاستاذعبد الحليم الغمراى ليوافيها بأنباء الرحلة الملكية من القاهرة الى ساعة قيام الباخرة من بور سعيد :

وكان على ان اوافي الجريدة بأنباء الرحلة بعد قيام الباخرة ·· وماذا فعل الملك والاميرات وأين تناولوا العشاء وكيف امضوا السهرة الاولى على ظهر الباخرة ·· الى آخره ·

ورحت أطوف بالباخرة واجمع المعلومات والتفاصيل بعضها بالمشاهدة ، وبعضها الآخر من رجال الحاشية ثم كتبت البرقية التى كان على ان ارسلها فورا عن طريق اللاسلكى الى جريدة « المصرى » لتظهر فى عدد الصباح ·

ولكن اين مكتب اللاسلكى في هذه الباخرة الضخمة وهى من

عابرات المحيط وكانت قادمة من استراليا وفى طريقها الى انجلترا ؟
وسألت .. وقيل لى انه فى اعلى سطح السفينة .. حيث توجد غرفة القيادة وغرفة نوم القبطان ، وبعض زوارق النجاة .. ولا شىء آخر .
وتسلقت عددا كبيرا من السلالم الضيقة - ذات الدرجات الحديدية بين سطح وسطح - الى ان وصلت الى السطح الاعلى .
وكان الظلام تاما وشاملا الا من نور خافت ينبعث من غرفة مكتب تلغراف اللاسلكى .
ودخلت وناولت البرقية الى عامل اللاسلكى وانتظرت حتى قرأها .. وخرجت .. ووقفت قليلا ريثما تعتاد عيناى الظلام .
وهنا تبينت - على مسافة غير بعيدة - شبحين مستندين الى حاجز الباخرة .. وكأنهما كانا يتفرجان على انوار بورسعيد وهى تومض من بعيد .. وكانا الملكة واحمد حسنين ! ولم يكن فى وقفتهما معا شىء يريب .. الملكة تريد ان تتفرج على بورسعيد من على ظهر الباخرة او لعلها كانت تريد ان تلقى نظرة اخيرة على شاطىء الوطن ! ويصاحبها كبير الحاشية ورائد ابنها الملك .
لا شىء عجيب او مريب فى هذا كله .. فقط !
فقط كانت الملكة تتكىء على حاجز السفينة .. وكانت يد حسنين تتكىء على كتفها !
وكانت هذه اول « علامة » اكدت عندى صدق الاشاعات !
وحدث ذات مساء - اثناء رحلتنا بالباخرة وكنا فى قاعة الرقص - ان تقدم انجليزى كان قد تناول من الخمر اكثر مما يحتمل رأسه . وكانت الباخرة مزدحمة بالانجليز العائدين من استراليا والهند وعدن - تقدم هذا الانجليزى المخمور من السيدة زينب ذو الفقار وانحنى امامها باحترام وهو يكاد يفقد توازنه من فرط السكر والتمس من « جلالتها » ان تسمح له بهذه الرقصة !
وكانت اوركسترا الباخرة تعزف موسيقى رقص .. وتلفتت زينب هانم حولها .. كأنها تبحث عن منقذ او منفذ للنجاة .. فلم تجد !

وكان الرجل مخمورا ـ كما قلت ـ ولحوحا ولو ان الحاحه كان فى ادب يليق بمن يقف أمام « صـــاحبة الجـــلالة ملكة مصر » !

ورأت زينب هانم انه من الافضـــل الا تثـير ضجة او تلفت الانظار فقامت وراقصت الرجل .. ثم غادرت القاعة فورا .

هذا والرجل يعتقـد وأصحابه يعتقدون أن الســـيدة التى رقص معها هى ملكة مصر !

واتصل الخبر بفاروق فغضب غضبا شـــديدا وتساءل أين كان حسنين ؟ ولماذا لم يتدخل ويوقف الرجل عنـــد حده أو يأمر ضباط السفينة بطرده من القاعة ؟ الى آخره .

ولكن حسنين كان كالعادة يلازم الملـــكة نازلى .. أو يتنزه معها فى مكان ما أو ركن ما على ظهر الباخرة الضخمة !

وفى الصباح ذهب حسنين الى الانجليزى المذكور .. وكان قد فاق من سكره وقال له أمام أصحابه أنه أخطأ مرتين :

أولا ـ أخطأ لأنه ألح على سيدة ما بأن ترقص معه .

وثانيا ـ أخطأ لأن هذه السيدة ليست ملكة مصر ـ كمـــا يعتقد ـ بل هى السيدة المرافقة لجلالة ملكة مصر !

واعتذر الرجل .. وعرض أن يقـــدم اعتذاره لملكة مصر ، وللسيدة التى رقص معها ، ولكن حسنين اكتفى بقبول الاعتذار بالنيابة عنهما .

وعاد حسنين وأبلـغ فاروق النتيجة .. وغضـــب فاروق وصاح فى حسنين : كان لازم تضربه قلمين :

وأجاب حسنين :

ـ وهل كان يسكت على القلمين ؟ .. أبدا .. كان ضربنى بوكس ! وكنت ضربته بوكس ووقعنا فى خناقة وفضيحـــة على ظهر الباخرة ! وكان الخبر طار باللاسلكى الى صحف أوربا وأمريكا .. والحكاية كبرت .. والاشاعات كثرت عن ســـبب الخناقة .. وكانت ألف حكاية وحكاية خرجت تتحدث وتروى ما حدث وما لم يحدث عن الرجل السكران الذى رقص مـــع ملكة مصر !

وكانت أول مرحلة فى الرحلة الملكية ســـويسرا . وسان

موريتز التى كانت تغطيها الثلوج فقد كنا لانزال فى موسم الشتاء ٠

وحاول فاروق فى أول الامر أن يتعلم « السكى » Ski أى الزحلقة على الجليد ولكنه وجدها رياضة شاقة وخطرة فانصرف عنها الى اللهو ومغازلة من فى الفندق - فندق سوفريتا - من الفتيات ٠٠ ولكنه كان غزل أطفال وأشهد أن وجه فاروق كان يومئذ يعرف الحياء والاحمرار ٠٠ وكان يرتبك اذا ابتسمت له فتاة او وقفت تتحدث اليه ٠٠ وكان لا يعرف ماذا يفعل بيديه ! فكان يشبك أصابعهما حينا ٠٠ ثم يضع احداهما فى جيب البنطلون ٠٠ ثم يخرجها ويمسك باصبعين منها طرف جيب الصديرى ٠٠ هذا وهو يضع ثقله حينا على قدمه اليمنى ٠٠ وحينا آخر على قدمه اليسرى ٠٠ وهكذا !

وكانت أول غزوة له مع شقيقتين من نبيلات السويد فكان يخرج معهما للنزهه على ظهور الجياد ٠

وبعد أن سافرت الشقيقتان السويديتان ٠٠ أخذ « يلتفت » الى فتاة مجرية ولكنه لم يلبث أن سئمها وتضايق منها لانها كانت تلاحقه فى كل مكان يذهب اليه ٠

وكان حسنين باشا يرى ويسمع ويراقب ولكن فى حذر شديد ، بل كان يتظاهر - وأمام فاروق - بأنه لا يرى ولا يسمع ولا يعرف شيئا عن مغازلات ومغامرات صاحب الجلالة ٠

وقال لى مرة :

- ان الملك لايزال ينظر الى - ومنذ أيامنا فى لندن - نظرة التلميذ الى الاستاذ ٠ وبيننا الآن ما يكون بين الاثنين من كلفة وتحفظ ٠٠ وهذا كما أعتقد من مصلحته ومصلحتى ٠٠ ويوم يشعر فاروق أننى أعرف كل شىء عن مغازلاته ومغامراته هو يوم تزول الكلفة ويخرج على المكشوف ويفقد كل احترامه لى ولا يبالى بعدها بشىء ٠

وفى مرة أخرى قال لى وعلى فمه ابتسامة ساخرة :

- عقب وفاة الملك فؤاد وعودتنا من لندن اتصلت بى سيدات كثيرات من هوانم مصر وبنات أعرق الأسر فيها ٠٠٠ اتصلن بى وتحدثن الى فى لباقة ودبلوماسية رفيعة عن الملك

.. الشاب الممتلئة عروقه بدم الشباب الحار .. وعن صحته وما تتطلبه هذه الصحة الغالية .. وتحدثن كذلك عن السن الحرجة ـ سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة ـ وعن المتعة الصحية التى لابد منها لشاب موفور الصحة مثل «مولانا الملك» وعرضن ـ بكل لباقة ورقة وكياسة ـ وبكل أمانة وحرص وحذر ـ عرضن خدماتهن على جلالة الملك . وأبدين استعدادهن لأن يقدمن « البضاعة الصحية » . أما فى قصورهن . أو الى القصر الملكى مباشرة .. كما يشاء !.

وروى لى حسنين رحمه الله تفاصيل كثيرة ، واسماء كثيرة .. الى آخر مالا يمكن ولايجوز ان يشار اليه ولو تلميحا او من بعيد .

وقال :

ـ وكنت اقول لهؤلاء الهوانم ان «مولانا الملك» لن يرضى ولن يوافق اذا عرف ان لى دخلا فى هذا الموضوع او اننى مطلع على اسراره «الصحية» وان الأفضل والحالة هذه ان يحاولن الاتصال بجلالة الملك وعرض خدماتهن عليه من طريق آخر غير طريقى .

***

ولعل رجولة أحمد حسنين ـ وما من أحد حتى من خصومه أنكر عليه رجولته ـ اقول لعل رجولته نفرت وأبت عليه ان ينزل الى القيام بمثل هذا الدور او هذه الوساطة .

وبعد .. لقد كانت خطة حسنين تفرض عليه ـ اذا قدر لها النجاح ـ ان يكون قائد الملك .. لاقواده ! .. ان يكون الرجل القوى الذى يوجه الملك ويرشده ويسيطر عليه ـ عن طريق أمه الملكة نازلى ـ لا الرجل الذليل الرخيص الذى يشترك فى « توريد البضاعة أو المتعة الصحية » للملك الشاب .

وهل كانت نازلى كامرأة لها كبرياؤها .. هل كانت ترضى عن حسنين وتخضع له وتأتمر بأوامره ، لو انه قام لابنها بدور القواد .. لا دور القائد ؟

كل شىء اذن .. وكل مصلحة .. وكل سبب .. فضلا عن دواعى الرجولة والخلق القوى .. كل شىء اذن كان يفرض على أحمد حسنين أن يبتعد عن هذا الجانب من حياة فاروق .

ولعل فى هذه الصفحة الموجزة ردا على الذين زعموا ان حسنين هو الذى علم فاروق الفسق والفجور !

***

وكان حسنين طول هذه الرحلة حريصا على مقامه واحترامه فى نفس فاروق .. وحريصا فى نفس الوقت على تقوية قبضته على نازلى الملكة وأم فاروق .

وكانت الاميرات الشقيقات قد بدأن يتعلمن فى ساحة الفندق المغطاة بالجليد .. الزحلقة بالقبقاب .

وكانت اكثرهن حماسة ورغبة فى التعلم فتحية التى كانت لاتزال يومئذ فى السابعة من عمرها .. ولم تكن تبالى أن تقع عشر مرات أو عشرين مرة فى كل صباح .

وذات يوم نزلت الملكة نازلى نفسها تريد أن تتعلم هى أيضا .. وامسك المدرب بذراعها .. وأحاط خصرها بيده .. وراح يعلمها كيف تنقل قدميها والقبقاب فوق الجليد .

وصاحبة الجلالة تتثنى وتتمايل ، والمصورون يلتقطون لها الصور فى هذه الاوضاع !

***

ووقف حسنين على درج السلم الخشبى الموصل بين الشرفة وساحة الزحلقة .. ومضت دقائق والملكة نازلى تحاول أن تتعلم وتمشى بالقبقاب .. وتحفظ توازنها .. وتضحك ... وأخيرا عادت أدراجها وخلعت قبقابها .

هذا وحسنين واقف ينتظر وعلى عينيه نظارة تحمى البصر من وهج الثلوج .

واقبلت نازلى .

وانفجر حسنين . ولكن صوته لم يعل عن طبقته العادية :

لا .. لا .. مش كده ياست ! .. مش كده ابدا .. بكره راح نسمع كلام فارغ كتير بسببك !

ولم تزد هى ــ صاحبة الجلالة ــ عن ان تبتسم فى وجهه وهى تصعد اليه درجات السلم الخشبى .. حتى اذا وصلت اخذت بذراعه وهى تقول :

ــ طيب خلاص .. مرة وفاتت !

وعجبت لهذه اللهجة التي يخاطب بها موظف القصر صاحبة الجلالة الملكة وأم ملك مصر ؟!

وعجبت أكثر وأكثر لخضوع صاحبة الجلالة ! فهى لم تغضب بل اعتذرت ·· وتابت !

وكان ما خاف حسنين أن يكون ·· ونشرت صحف مصر بعض هذه الصور التى ظهرت فيها الملكة نازلى وهى تتزحلق على الجليد ·

وقامت مظاهرة من طلبة الازهر الشريف وتعالت فيهاأصوات الاحتجاج والمناداة بالحياة والسقوط ·

وبادر رئيس مجلس الوصاية وولى العهد الأمير محمد على توفيق وارسل الى حسنين باشا خطابا شديداللهجة يوبخه فيه بقسوة على سماحه للمصورين بالتقاط هذه الصور ·· وعلى سماحه لملكة مصر بالزحلقة على الجليد ·· وعلى ·· وعلى ·· الخ ·

وهز فاروق كتفيه ·· وقهقه ضاحكا ·· اما نازلى فقد غضبت وثارت وعلا صوتها وهى تصيح :

ـ كفاية بقى ·· كفاية سبعتاشر سنة وانا محبوسة ! خدوا الكورونا من على رأسى ·· مش عاوزاها ·· « والكورونا معناها التاج »!

غضبت الملكة نازلى من خطاب الأمير محمد على توفيق واعلنت انها وقد أمضت فى سجن الملك فؤاد سبعة عشرعاما تريد اليوم ان تكون حرة ·· والا فانها لاتريد هذا التاج على رأسها ثم انطلقت تسب الأزهر والازهريين وتدعو الله ان يصيب «البرنس» محمد على بكذا وكذا وكيت ·

ولزمت صاحبة الجلالة جناحها الخاص بالفندق يومين غاضبة ·· وانقطعت عن تلقى دروسها فى الزحلقة على الجليد ·

وفى نفس الوقت تلقيت «امرا ملكيا» من فاروق ان اكتب الى زملائى الصحفيين فى مصر واطلب منهم ان يكفوا عن نشر اية صورة لجلالة الملكة نازلى ·· اللهم الا الصور التى تظهر فيها مع جلالة الملك فاروق ·

أما صورها وحدها ، او مع الاميرات فممنوع النشر .. وصدعت بالامر الملكي وكتبت في هذا المعنى خطابات خاصة الى «الاهرام والمقطم والمصرى ودار الهلال واللطائف المصورة » الى آخره .

واستجاب الزملاء لرجائي ولم يشر احــــد ميهم الى خطابي الخاص . ماعدا المرحوم اســـكندر مكاريوس صاحب مجلة «اللطائف المصورة» فقد نشر صفحة كاملة من مجلته خلاصـــة لخطابي الخاص وتعليقا له قال فيه : ان الصـــحافه حرة ، في حدود القانون ، واننا في القرن العشرين وعصر الديمقراطيـة وحقوق الانسان ، وان «صاحبة الجلالة» الصحافة حرة في نشر مايحلو لها من صور اصحاب وصاحبات الجلالة .. ولتفعل بنا القوة ماتشاء ! ..

وكلاما فخما كثيرا في هذا المعنى ! ومن يومهـــا حـرمت « اللطائف المصورة » وصاحبها من العطف الملكي السامي ! فلم تدع او يدع صاحبها الى اية حفلة من الحفلات التي كانت تدعى اليها الصحف واصحابها ورؤساء تحريرها في قصر عابدين

***

غضبت الملكة نازلي ، ولزمت جناحها الخاص .. وشكا جميع من كانوا معها من «عصبيتها» وحدة لسانها .

وذات صباح تلقى فاروق من مصر برقية تقول ان صاحب السمو الملكي الامير محمد على قد اصيب بذبحة صـــدرية وان حالته خطرة .

وهنا عادت الابتسامة الى شفتي الملكة نازلي وقالت لمن حولها: «أبواب السما كانت مفتوحة لما دعيت عليه ! دنا دعايامايتزلش الارض !» .

وغادرنا سان موريتز في مساء ٢٥ مارس الى جنيف فوصلنا اليها صباح اليوم التالى ٢٦ مارس .

وجنيف مدينة تتوافر فيها اسباب اللهو لمن يريد ان يلهو .. وفيها اركان منعزله ، ومحلات انيقة لتناول الشاي ، وصالونات خاصة ، ونزهات بالسيارة خارج المدينه ، او بزورق بخاري في بحيرة ليمان الشهيرة .

وفي جنيف بدأنا نلاحظ كثرة خروج احمد حسنين مع الملكة

نازلى وحدهما ٠٠ واحيانا معهما السيدة الجليلة زينب ذو الفقار ٠

ثم فوجئنا بخبر سفر حسين صبرى باشا خال فاروق مع السيدة الكريمة زوجته عائدين الى مصر مع انه كان مقررا انهما سيلازمان الملك والملكة طول الرحلة فى أوروبا ٠

ودار همس خفى بأنهما سافرا لانهما غير راضيين عن سلوك الملكة نازلى معهما ! ام هناك شىء آخر ؟

لا أعرف ٠ ولقد بقى السر معهما حتى اليوم !

***

وهكذا ٠٠ اقمنا اياما فى مدينة جنيف ٠٠ وكان احمد حسنين يخرج مع الملكة !

والقائمقام عمر فتحى يخرج مع الملك !

ولم يخرج الأربعة معا الا فيما ندر !

وذات صباح ـ وكنا وقوفا فى بهو الفندق ننتظر نزول صاحب الجلالة من جناحه الخاص ـ اقبل علينا فاروق وعلى وجهه مسحة من الحزن والجد والقى علينا تحية الصباح ثم قال :

ـ البقية فى حياتكم ٠٠ الأمير محمد على مات !

وأسدل كل منا على وجهه نقابا من الحزن واطرقنا برءوسنا كما كان ينبغى ان نفعل ٠٠ وتمتم بعضنا بعبارات العزاء والدعاء لله أن يطيل لنا فى عمر مولانا ٠

وتسللت أنا على اطراف اصابعى الى غرفة مجاورة فيها مكتب وادوات للكتابة وجلست اكتب صيغة برقية الى جريدة «المصرى» واصف فيها كيف وقع الخبر الأليم فى نفس جلالة الملك وماذا فعل وماذا قال وكيف قدم اليه أفراد الحاشية عزاءهم ضارعين الى الله ان ٠٠ الى آخره ٠

وبينما انا كذلك دخل على حسنين باشا وسألنى ماذا افعل ؟ وعلى وجهه ابتسامة ٠٠ وقلت اننى اكتب برقية لجريدة المصرى بما حدث !

قال رحمه الله :

ـ برقية ايه يامدب ! مولانا ضحك عليكم ، النهارده أول ابريل !..

***

وفى نفس اليوم ـ على ماأذكر ـ استأذنت من فاروق فى السفر الى «مونتريه» لكى أوافى جريدة «المصرى» بأخبار مؤتمر الغاء الامتيازات الأجنبية ريثما يصل الأستاذ محمود أبو الفتح الذى كان ارسل لى برقية يقول فيها انه مضطر للبقاء فى مدينة ميلانو بضعة ايام بسبب اصابته بعرق النسا !

وأذن لى فاروق بالسفر وطلب منى ان ابلغ تحياته الى «رفعة» النحاس باشا وزملائه وتمنيات جلالته لهم بالتوفيق .

وسافرت الى «مونتريه» وبقيت فيها عشرة ايام ، وكان عجيبا حقا ان أسمع هناك ـ لأول مرة ـ ومن الدكتور احمد ماهر ـ رحمه الله ـ اول اشاعة ، تربط بين اسم فاروق واسم صافيناز .. فقد خرجنا ذات مساء ـ انا والدكتور احمد ماهر وجورج دومانى بك ـ وكلاهما عضو فى وفد مصر لدى مؤتمر الغاء الامتيازات الاجنبية .

خرجنا نتمشى على ضفة « بحيرة ليمان » فى الطريق الى « فيفيه » .

وسألنى احمد ماهر :

ـ صحيح جلالة الملك راح يتجوز الآنسة صافيناز ؟

ودهشت ، وعجبت من اين جاءت هذه الاشاعة ؟ فقد كان قد مضى على شهر كامل وانا ارى فى كل يوم فيه الملك فاروق والآنسة صافيناز ذوالفقار دون ان الاحظ شيئا .

كان فاروق يعاملها كما يعامل شقيقاته الصغيرات .. وكان افراد الحاشية ـ وانا معهم ـ يعاملونها بأدب جم ولكن بدون كلفة .

كنا مثلا نبتسم اذا لقيناها ونحييها .

ـ بونجور مدموازيل ، او بونجور «فافيت» !

و «فافيت» تدليع صافيناز .. وكانت هى ترد التحية بأدب واحتشام وتقول :

ـ بونجور اكسلانس .. او بونجور يااستاذ !

ولم يخطر ببال احدنا - او ببالي أنا على الأقل - ان هناك شيئا مابين فاروق وصافيناز .. او ان «فافيت» هي ملكة مصر القادمة !

دهشت اذن وعجبت ، سالت الدكتور احمد ماهر من أين سمع هذا الخبر ؟

وضحك رحمه الله وقد ظن انني قد وقفت على هذا السر بحكم ملازمتي لحاشية الملك ، ولكنني ارى من واجبي ان اكتم سر الملك وصافيناز .

وضحك وقال :

- طيب ماتعملش عبيط! الحكاية سمعناها في مصر .

أي ان الخبر طار الى مصر من قبل ان نلاحظ شيئا نحن الذين كنا مع فاروق وصافيناز ؟

والتفسير الوحيد عندي هو ان حسنين صبري خال الملك والسيدة زوجته هما اللذان اذاعا السر في مصر .

***

وكان فاروق ومن معه قد غادروا جنيف الى مدينة برن .

وفي برن - كما علمت فيما بعد من اصدقائي رجال الحاشية - بدت من فاروق اول اشارة تدل على حقيقة عواطفه نحو الآنسة صافيناز .

كانت صافيناز تتناول طعامها دائما مع الأميرات : فوزية وفايزة وفايقة وفتحية .. ثم تنسحب معهن بعد تناول العشاء مباشرة لتأوي كل منهن الى غرفتها .

وكان غير مسموح لهن بالسهر .

ولكن حدث في برن - ولأول مرة - ان نزلت الآنسة صافيناز وهي ترتدي ثوبا من ثياب السهرة .

ولم تنسحب بعد تناول العشاء مع الاميرات كما كانت تفعل ، بل بقيت في قاعة الفندق الكبرى .

ثم دعاها فاروق للرقص معه .. ورقص الاثنان معا اكثر من مرة في تلك السهرة .. وكانت اول مرة - كما قلت - وكانت هذه أول اشارة او اول خطوة خطاها فاروق الى صافيناز .

ولم تحدث هذه الاشارة او هذه الخطوة الا في «برن» ..

ولكن اشاعة الزواج كانت فى مصر قبل ان يصل فاروق وصافيناز الى «برن» وقبل ان يرقصا معا ! ..

وأنهيت ماموريتى فى مونتريه ولحقت بفاروق وحاشيته فى مدينة زيوريخ ، وبعد ايام سافرنا الى باريس ! التى كانت نازلى - كما قالت مرارا - تشتهى ان تزورها قبل ان تموت !

وكنا جميعا قد انتهينا الى تقرير أمرين حقيقتين .. هما ..

فاروق يحب صافيناز ..

ونازلى تحب حسنين ..

وحسنين ؟ هل كان يحب نازلى ؟

لا اعتقد ولااحد غيرى كان يعتقدهذا ، والحقيقة ان الاثر الذى انطبع يومئذ فى نفوسنا هو ان نازلى هى التى تجرى وراء حسنين .. وان حسنين «تقيل» ! ثم لعله كان يتعمد ان يثير غيرتها عليه فى بعض الظروف فقد لاحظت ان حسنين كان يحرص على التودد والتظرف والتحدث مع كل سيدة او آنسة جميلة يلقاها فى قاعة الفندق .. اذا كانت الملكة نازلى موجودة !

بل كان يطلب منا اذا رأى مع أحدنا فتاة جميلة من المقيمات بالفندق .. كان يطلب منا ان نقدمه اليها .. ثم يدعوها للرقص .. او لتناول شراب ما ..

كل هذا اذا كانت الملكة نازلى موجودة .. ترى وتسجل وتنقر باصابعها على المائدة الصغيرة او على ذراعى المقعد بغضب وعصبية !

اما اذا لم تكن موجودة فان حسنين كان قليل الاكتراث بالسيدات والآنسات .. وكان لايتحرك لدخول اية جميلة مهما كان جمالها يبهر الأبصار او يلفت الانظار !

وحدث مرة - وكنا نزلاء فى سان موريتز - ان قام حسنين يراقص فتاة ألمانية كنت اعرفها واسمها «جوى جيجل» وكانت معدودة يومئذ من ابطال التنس فى المانيا وحسنين راقص رشيق بارع .

والفتاة الالمانية طويلة القامة هيفاء العود .

وبطل رقص الاثنين ..

وانتفضت الملكة نازلى واقفة .. ونادت بصـــوت ينم عن الغضب :

ـ حسنين !

وأرخى حسنين على الفور ذراعه التى كانت تطوق خصر الفتاة وأسرع الى الملكة نازلى .

ـ افندم ماجستيه ..

أى افندم ياصاحبة الجلالة ؟

وخرجت « ماجستيه » من قاعة الرقص ، ووراءها احمـــد حسنين !..

وتبادل بعضنا النظرات ..

***

أما فاروق فكان يرقص ساعتئذ مع شهيرة هانم زوجة خاله حسين صبرى باشا ولعله لم يلاحظ شيئا .

وأكبر ظنى ان فاروق لم يكن يومئذ يخامره اى شـــك فى سلوك أمه او فى حقيقة علاقتها بأحمد حسنين .

كان فاروق يومئذ لايزال يحســـن الظن بأمه .. ويحسن الظن برائده احمد حسنين .

قلت ان احدا منا لم يكن يعتقد ان حسنين باشا ممثل بارع ، وان كل اشارة منه بحساب وكل خطوة بحساب وكل نظـرة وكل عبارة موزونة بالدرهم والمثقال وانه ـ فى كلمة واحدة ـ لايفعل شيئا اعتباطا او «لوجه الله» .

انه لم يكن يحب نازلى ، وهذا امر كان مفروغا منه عند الذين يعرفون احمد حسنين .

ولكنه كان حريصا على ان تحبه هى .. ومن هنا كان يتعمد ـ كما ذكرت ـ ان يثير غيرتها .

لماذا ؟ لماذا يحملها على ان تحبه ، بينما هو لايحبها ؟ لـكى يخضعها لارادته ، ويسيطر عليها .. وقديما قالوا : «ان الأقوى بين كل محبين اثنين هو الذى يحب اقل من صاحبه» . والذى يسيطر على نازلى يسهل عليه ان يسيطر ـ من ورائها ـ على فاروق .

وكان الامر واضحا لكل ذى عينين ومنذ كنا فى اوروبا فى صيف عام ١٩٣٧ .

***

وكان حسنين يعامل نازلى امامنا معاملة الموظف المرءوس لصاحبة الجلالة .. اى بكل الاحترام والطاعة والأدب .

رغم ذلك كانت تبدو منه ـ ربما عفوا ـ بعض الاشارات او العبارات التى وان كانت تتنافى مع الاحترام والادب الا انها كانت تنم بكل تأكيد عن القوة ، او السيطرة ، وانه هو الاقوى وأن كلمته هى التى يجب ان تنفذ !

دخلت عليه مرة ذات صباح فى غرفته بفندق «بلاتزا اتنيه» حيث كان ينزل الملك والملكة والاميرات والحاشية ـ وكان حسنين مسترخيا فى فراشه يتناول قهوة الصباح . وجلست فى مقعد الى جانب الفراش .

وكنا فى أوائل شهر يونية ، وهو من اجمل شهور السنة فى باريس .

وكان اليوم يوم «أحد» .. وراح حسنين يحدثنى عن ايام شبابه وذكرياته فى باريس يوم أقام فيها وعدل عن الدراسة فى اكسفورد .. وقرر ان يدرس فن الرسم فى الحى اللاتينى .

وحسنين ـ حين يريد ـ كان يستطيع ان يتحدث كشاعر وان يحلق بسامعه فى سماوات احلام .

ودق جرس التليفون الموضوع بجانب السرير .. واعتدل حسنين فى فراشه وقال :

ـ صباح الخير ماجستيه .

وأدركت ان التى تكلمه هى الملكة نازلى .. ووقفت اريد الانسحاب ولكنه أشار الى بيده ان اجلس .. فجلست .

وكان صوت الملكة نازلى مسموعا وواضحا تماما كما يحدث احيانا فى بعض آلات التليفون .

وكانت جلالتها تريد ان تذهب مع « البنات » ـ كما كانت تسمى الأميرات ـ الى ملهى « لونابارك » .

وقال حسنين :

ـ مستحيل ماجستيه ! ..

ومضى يقول ان اليوم « الاحـد » وان لونابارك سيكون مزدحما بمختلف طبقات الشـعب وكل مـن هب ودب ·· فكيف تذهب ملكة مصر وصاحبات السمو الملكى شـقيقات منك مصر الى ملهى شعبى كهذا فى يوم الاحد ؟

وسمعت الملكة تضحك وهى تقول :

ــ يظهر انك عجزت خلاص يا حسنين ؟

والحت فى الذهاب ··

وأصر هو على الرفض ؟

وكان لـه مـا أراد ·· وعـدلت نازلى عـن الذهاب الى لونابارك !

ولكن هل كان اعتراض حسنين على ذهاب نازلى الى ملهى لونابارك بوحى من اخـلاصه وواجبه كرائد لابنهـا الملك ورئيس الحاشية الحريص على سلامتها وسلامة الأميرات ·· وحريص على مكانها كملكة مصر ·

ام ان اعتراضه كان لمجرد الاعتراض ·· ومجرد الرفض ، ومجرد خلق فرصة او مناسبة يقول فيها :« لا» ·· ويرغمها ــ ملكة مصر ــ على ان تخضع وتقول له « نعم » ؟ !

كان هذا هو الواقع ·· واعتراض حسنين كان من باب « الترويض » ·

كانت نازلى ــ كما قلت ــ تتحرق شـوقا الى باريس ، ومشاهدة كل ما فى باريس ·· ومن هنا كانت تضيق أحيانا بمعارضة حسنين وتغضب وتثور ·

وكان هـو اذا رأى ان ثورتها توشك ان تنفجر ·· فتح قبضة يده وارخى لها الزمام ·· حتى اذا تعبت من العدو عاد وجمع الزمام فى قبضة يده القوية ·

وهكذا رأيت حسـنين الـذى عارض فى ذهاب الملكة الى لونابارك ، رأيته يصـحبها بنفسه الى ما هـو شر بكثير مـن لونابارك ·· رأيته يصحبها الى سهرات فى حانات و «صناديق الليل » فى احياء مونمارتر ومونبارناس ·

وكان يوجد وقتئذ فى حى مونبارناس ملهى او على الاصح

« ماخورة » اسمها « سفنكس » ٠٠ ترقص فيها فتيات وهن عاريات الجسد تماما حتى من ورقة شجرة التوت !

وذهبت ذات مساء مع صديقين من رجال الحاشية الى « سفنكس » المذكور ٠٠ واشهد ان نفوسنا اشمأزت مما رأيناه فغادرنا الملهى او « الماخورة » مسرعين ٠

ولكنى سمعت بعد ذلك ان « سفنكس » كان من بين ملاهى مونبارناس التى زارتها صاحبة الجلالة ملكه مصر وفى معيتها احمد حسنين !

كانت نازلى بطبعها وطبيعتها ميالة للمرح والاستمتاع بكل ما فى الدنيا وكل ما فى سنوات الصبا والشباب ٠

والذى يستطيع ان يفهم ٠٠ يستطيع ان يعذر !

ولقد حرمت من الشباب الذى احبته وحرمت كذلك من حق شبابها وصباها ٠

وامضت أحلى سنوات العمر سجينة فى قفص ، او فى قصر فخم منيف سجانه الملك فؤاد ٠

ومات السجان ٠٠ وتحررت السجينة ٠٠ وانطلقت ـ كما سبق ان قلت ـ انطلقت تنهل ملء راحتيها من عيون الحياة ، وهى تشعر انه لم يبق لها من سنوات « ما بعد الصبا » الا القليل ٠٠ ولم يبق بينها وبين الكهولة المرة الباردة الا القليل ٠

وكان حسنين الخبير بطباع النفوس يعرف هذا ويقدره ٠٠ ويعمل له حسابا ٠٠ ولو انه كان وقف دائما فى وجهها يعترض ويقول : «لا» ٠٠ لانتهى الأمر بثورة عاصفة جامحة ٠٠ ومن هنا كان يشد حينا ، ويرخى حينا ٠٠ وهكذا استطاع ان يحفظ المظاهر ـ ولو الى حد ما ـ وان ينقذ ملكة مصر من انهيار خلقى نفسانى فظيع ٠

ولسوف يقول التاريخ الحق ان نازلى ملكة مصر لم تنفجر و « تفجر » الا بعد موت مروضها احمد محمد حسنين ٠

وذات مساء ذهب فاروق ـ ومعه بعض رجال الحاشية ـ ملهى « بال تابران » فى مونمارتر ولم يجدوا مقصورة خالية او مقاعد الدرجة الاولى او الثانية ٠

فقد كان الملهى المذكور كعادته مكتظا بالمئات ٠
واخيرا وقف فاروق واصحابه في المحل المخصص للدرجة الثالثة ٠
وفى صباح اليوم التالى صدرت جريدة باريسية ـ وهى « انتراسيجان » وفيها « ريبورتاج » او وصف مسهب التفاصيل لزيارة ملك مصر للملهى بال تاباران ٠

وعنوان المقال مقتبس من قصة فيكتور هيجو المشهورة « الملك يلهو » Le roi S'amuse وكنت جالسا ـ في نفس الصباح ـ في بهو فندق « بلاتزا اتنيه » مع اليوزباشى احمد الطاهر ونزل المصعد الكهربائى ٠٠ وفتح بابه ٠٠ وخرجت منه الملكة نازلى ووراءها وصيفتها الفرنسية وفى يدها عدد جريدة « الانتراسيجان » ٠
اذن فقد قرأت صاحبة الجلالة مقال الصحيفة الباريسية عن ابنها ٠٠ الملك يلهو !
واذا كان فاروق ٠٠ الشاب الذى لاتزال الحياة أمامه فسيحة ممتدة ٠٠ اذا كان ينتهز فرصة وجوده بباريس ليلهو ويلعب فاولى بها هى ـ بل ومن حقها ـ ان تلهو وتلعب ولم يبق بينها وبين الكهولة وسن اليأس الا القليل ٠
لعل شيئا من هذا كان يدور برأسها حين تقدم منها احمد الطاهر وانحنى ٠٠ ومدت اليه يدها فقبلها ٠
وسمعته يقول :
ـ كل عام ومولاتنا بخير ٠
وابتسمت هى وقالت :
ـ خلاص ياكابتن عجزنا ٠٠ ولابقاش الا القليل !
وكنت قد وقفت بدورى ٠٠ ولكننى بقيت واقفا حيث كنت « زى اللوح » ولم اتحرك ٠٠ ولم اقدم لجلالتها التهانى لسبب بسيط ، وهو اننى لم اكن اعرف مناسبة التهنئة !
وقال يوزباشى احمد الطاهر :
ـ النهارده عيد ميلاد الملكة نازلى ٠
وقد دار الطاهر يومئذ على سيدات ورجال الحاشية يسأل كلا منهم وكلا منهن عن عدد الشموع التى يضعها فى «تورتة»

عيـد مولد صاحبة الجـلاله ·· وكل شمعة بسنة من سنى حياتها المديدة ·
وتهربوا جميعا من الرجل ·· ومن السؤال ·
واخيرا قيل له : « ضع نفس عدد الشموع التى وضعتها فى العام الماضى » ·

وكان عــددها اربعا واربعين ! اى ان الملكة نازلى كان عمرها فى صيف ١٩٣٧ خمسة واربعين عاما !
لا عجب !
وحدث اثناء اقامتنا في باريس ان وصل وفد مصر لدى مؤتمر الغـاء الامتيـازات في مونتريه بعـد توفيقه في مهمته وهى موافقة الدول الاجنبية ذات الشأن على الغاء الامتيازات والتنازل عن جميع حقوقها لسلطات القضاء المصرى ·
وكان الوفد المذكور ـ كما ذكرت فى الفصل السـابق ـ برئاسة رئيس الوزراء يومئذ مصطفى النحاس باشا وكان مـن بين أعضاء الوفد الاستاذان مكرم عبيد باشا والدكتور احمد ماهر ·
ونزل النحاس باشا والسيدة قرينته فى جناح كبير بفندق جورج الخامس ·
ونزل معه فى نفس الفندق الاستاذ مكرم عبيـد والسيدة قرينته · اما الدكتور احمد ماهر فقد اختار رحمه‌الله فندقا من فنادق الدرجة الثانية بميدان « براميد » ـ اى الاهرام ـ المقام فيه تمثال لجان دارك ، بشارع ريفولى ·· وهو فنـدق ريجينا ونزل به مـع صـديقه المرحوم السيد عبـد الحميـد البنان ·
وطلب منى حسنين باشا ان ادبر لـه اجتماعا مـع مكرم عبيد باشا ·· وكلمت الاستاذ مكرم فوافق ورحب بالاجتماع بحسنين ، ولكنه سألنى :
ـ ما تعرفش عايز يقابلنى ليه ؟
قلت : لا اعرف ·· ولكن لعله يريد ان يقول لك ما سبق ان قاله لى مرارا وهو ان الملك فؤاد مات ·· وان من حسن السياسة ان يدفن الوفد خصومته القديمة للملك فؤاد وان

ينسى مخاوفه وشكوكه من القصر ورجال القصر ٠٠ لأن العهد قد تغير ٠

واجتمع الرجلان بعد ظهر احد الايام فى مطعم ـ مقهى لبافيون ده روز » بشارع الشانزلزية ٠

وصح ما توقعته وبدأ حسنين الحديث عن فاروق ، وكيف انه وطنى ومؤمن بحقوق بلاده وحقوق شعبه ٠٠ ومتحمس لمصر وكل ما هو « مصرى » الى آخره ٠٠ ورجا من الوفد ـ فى شخص مكرم عبيد ـ ان ينسى الماضى وما كان فيه من خصومات ٠٠ وان يبدأ مع الملك والقصر ، ورجال القصر ، عهدا جديدا يقوم على التعاون فى خدمة مصر واحترام ما للشعب من حقوق وما للملك من حقوق ٠

ثم قال حسنين : انه يعتقد ان لا شىء اعظم واجدى من الصراحة ٠٠ وانه شخصياليس منرجالالسياسة ولا يفهم فى السياسة ، بل ولا يريد ان يفهم فيها او يشتغل بها ، ولكنه مع ذلك يقول : انه اذا قدر عليه ـ لا قدر الله ـ ان يشتغل فى يوم ما بالسياسة فانه سوفيجعل الصراحه مبدأه الذى لا يحيد عنه ٠٠ ولهذا فانه يرجو من رجال الوفد ـ ومن مكرم باشا بالذات ـ ان يصارحوا القصر ورجال الملك دائما بما يريدون ويقترحون وبأية ملاحظات لهم ٠ وانه ـ اى حسنين ـ يعد بأنه من جانبه سوف يكون دائما معهم فى منتهى الصراحه ٠٠ وسوف يعمل من جانبه على تحاشى كل سبب من اسباب الخلاف ويحرص على تسوية كل مشكلة وكل نزاع على أساس احترام حقوق الشعب ٠ وحقوق الملك كما حددها الدستور ٠

هذا ـ وحسنين ـ يفرد يديه امامه تواضعا واستصغارا لشأن نفسه وشأن منصبه ٠

ثم يقول :

ـ ولو اننى كما قلت لااشتغل بالسياسة ولا افهم فيها كما ان منصبى فى القصر ليس من المناصب السياسية والحمد لله !!

ورد مكرم باشا فقال ما خلاصته ان الوفد قد دفن الماضى

ونسى خصوماته حتى ومن قبل وفاة المرحوم الملك فؤاد ٠٠ وان النحاس باشا فى آخر مقابلة له مع الملك فؤاد وهو على فراش الموت اكد له اخلاص الوفد للعرش وان الملك فؤاد قال يومئذ للنحاس باشا انه تأكد من ان مصطفى النحاس هو اخلص رجل له فى مصر ٠٠ الى آخره ٠

وان النحاس باشا وجميع اعضاء الوفد يحبون الملك فاروق ويستبشرون خيرا على يديه ، وانهم يخلصون له كل الاخلاص وليس ادل على اخلاصهم لشخصه الكريم من ان الوزارة ـ « وزارة الوفد » ـ رفضت الاقتراح الذى تقدم به البرنس محمد على رئيس مجلس الوصاية برفع سن الرشد للملك من ١٨ الى ٢٥ عاما ، وعودة الملك فاروق الى انجلترا ليستأنف دراسته الى أن يبلغ سن الخامسة والعشرين ٠

وقال مكرم انه يعد حسنين بأنه هو ايضا من جانبه سيعمل دائما بصراحة واخلاص من اجل تسوية كل مشكلة وكل نزاع قد يقوم فى المستقبل بين القصر والحكومة الدستورية النيابية ٠٠ الى آخره ٠٠ الى آخره ٠

وافترق الرجلان وهما يبتسمان ويؤكدان ـ كل منهما لصاحبه ـ ان كل شىء سوف يسير بأذن الله على ما يرام !

وانصرف حسنين وتركنى مع مكرم عبيد ، وقال مكرم وهو يطلق ضحكته التهكمية القصيرة :

ـ ايه ؟ حسنين عايز يفهمنى انه عبيط خالص ولا يعرفش حاجه ابدا فى السياسة ؟٠

قلت : جايز ٠

قال : لكن غرضه ايه ؟

قلت : الذى فهمته من حديثه انه خايف منكم على الملك فاروق ويريد ان يطمئن على حسن نواياكم ٠

وقال مكرم : طيب وايه حكاية التعاون دى بيننا وبينه ؟

قلت : ولم لا ؟ انه الآن رائد الملك واقرب رجال القصر اليه ٠٠ بل هو صاحب النفوذ الاول فى القصر ٠

وعاد مكرم واطلق مرة اخرى ضحكته القصيره وقال وهو يضغط على ذراعى بيده :

ـ والملكة نازلى ٠٠ هيه ؟

قلت : نعم ٠٠ والحكاية معروفة ٠٠ وحسنين باشا ـ كما قلت معاليك ـ صاحب النفوذ الاول عند الملكة نازلى ٠

واعترف اننى لم افهم تماما غرض حسنين باشا من مقابلة مكرم باشا الا فى ضوء الحوادث التالية ، وسوف اعرض لها فى الوقت المناسب ، ولكننى لا أرى بأسا فى ان اكتشف السر منذ الآن واقول ان حسنين باشا رحمة الله كان يمهد السبيل للحصول على منصب رئيس الديوان ٠٠ وهو المنصب الذى كان قد بقى شاغرا منذ استقالة احمد زيور باشا فى حياة الملك فؤاد ٠

كان يمهد السبيل عن طريق اقناع مكرم عبيد ـ سكرتير الوفد والرجل الاول فى الوفد وصاحب الكلمة التى لا ترد عند رئيس الوفد مصطفى النحاس كما كان يعرف الجميع ، عن طريق اقناع مكرم عبيد بأنه ـ أى حسنين ـ رجل لا يفهم فى السياسة ٠٠ هذا اولا ، وثانيا ، انه رجل مسالم حريص على حسن العلاقات بين حكومة الاغلبية الوفدية والقصر ٠٠ وثالثا ، ان عهد الملك فؤاد قد مضى وراح بخصوماته ومؤامراته ودسائسه ٠٠ وان العهد الجديد شىء آخر ورجاله ـ الذين فى القصر ـ رجال آخرون لا يتمنون شيئا اكثر من احترام حقوق الشعب ، والمحافظة على حقوق الملك التى كفلها الدستور ولا شىء آخر ٠

وهذا ماكان يتمناه الوفديون ويطالبون به من زمن طويل ٠٠٠ وها هو ذا حسنين يعرض عليهم خدماته ! ٠٠ حسنين « العبيط » الذى لا يفهم فى السياسة فهو اذن رجل مأمون لا يخشى شره ويمكن الوثوق به والاطمئنان اليه ٠

ولكنه ـ كما حرص على ان يقول لمكرم ـ فى منصب ليس من المناصب السياسية التى تجيز له الاشتغال بالسياسة او التدخل فى الشئون او المشاكل السياسية !

والمهم اذن يا مكرم باشا ! ٠٠ ضعوا حسنين فى منصب سياسى بالقصر وهو كفيل بالعمل على احترام الدستور واحترام

حقوق الشعب والبرلمان والحكومة الدستورية واحترام حقوق الملك في الحدود التي رسمها الدستور !

وفي كلمة واحدة .. سوف يضمن لكم احمد محمد حسنين سياسة التعاون المخلص الصريح التى كنتم تتمنونها من زمن طويل !

وحسنين قادر على الوفاء بوعده لانه ـ كما لابد ان سمعتم بازعماء الوفد ـ صاحب النفوذ الاول عند فاروق وعند الملكة نازلى وهى بدورها صاحبة النفوذ الاول يومئذ عند ابنها الملك فاروق .

كان هذا هو تقدير حسنين باشا . ولاشك انه تقدير سليم او تقدير مقبول عند الساسة المسالمين او الزعماء الذين لايعتدون كثيرا بقوتهم او بحقوقهم التى ينص عليها الدستور .

ولكن ـ كما انني لم افهم يومئذ غرض حسنين من هذه المقابلة ومن حديثه الطويل ، كذلك مكرم لم يفهم قصد حسنين .

ويوم فهم الوفد ـ ومكرم باشا بالذات ـ غرض حسنين وهو انه يرشح نفسه لمنصب رئيس ديوان جلالة الملك رفض الوفد ان يزكى هذا الترشيح بحجة ان حسنين لم يدرس القانون ، ورئيس الديوان يجب ان يكون من رجال القانون !

وحجة أخرى وهى ان حسنين ليس من رجال السياسة وهو باعترافه لايفهم فى السياسة ، ورئيس الديوان يجب ان يكون من رجال السياسة !

ومع ذلك .. فانه اذا كانت مصر قد انجبت سياسيا واحدا من الطراز الأول بعد عبد الخالق ثروت واسماعيل صدقى .. فان هذا السياسى هو احمد محمد حسنين . ولكنه ـ كما قلت ـ كان دائما حريصا على ان يقول لكل من يلقاه انه لايفهم فى السياسة ولا يريد ان يفهم فيها او يشتغل بها من باب التمويه والتضليل ولكى يحمل الساسة والزعماء على ان يطمئنوا اليه ولا يحسبوا له حسابا !

وكان حسنين رحمه الله يسر كثيرا ويفرك يديه فرحا عندما

يسمع ان فلانا من الزعماء او الساسة يقول عنه انه « عبيط »

***

وقرر فاروق ان يسافر الى لندن ..

وفى نفس الوقت تقرر ان يعود وفد مصر برئاسة النحاس «باشا» الى سويسرا لكي يشهد اجتماع «المرحومة» عصبة الامم في جنيف ويقدم طلبا بانضمام مصر الى الهيئة المذكورة .

وتحدد موعد «يتشرف» فيه النحاس «باشا» واصحابه أعضاء وفد مصر بمقابلة جلالة الملك بمناسبة سفرهم الى جنيف .

وفى الموعد المحدد اقبل فاروق على «الصالون» الخاص الملحق بجناحه في الفندق ووقف حوله كبار رجال حاشيته فى انتظار وصول رئيس الوزراء .

ولكن النحاس باشا ـ كعادته ـ تأخر نحو ربع ساعة وكان فاروق يتأفف ويظهر غضبه ويقول انه قرأ مرة ان دقة المواعيد من آداب الملوك ، ولكنه يريد ان يقرأ ان اخلاف المواعيد يعد قلة أدب من رؤساء الوزارات !

وفى هذا المعنى بالذات ـ وبعد شهرين اثنين او ثلاثة شهور ـ كتبت جريدة «البلاغ» اكثر من مقال واحد بامضاء صاحبها المغفور له عبد القادر حمزة باشا .. وكان رحمه الله يومئذ لسان حال القصر بعد ان بدأت اسباب الخصومة والخلاف تتعدد وتشتد بين القصر ورجاله من جانب وعلى رأسهم رئيس الديوان على ماهر باشا ، وبين حكومة الاغلبية الوفدية ورئيسها مصطفى النحاس ؛ ولكننى أسرع الخطى واستبق التاريخ .

***

اقبل النحاس باشا متأخرا عن الموعد المحدد نحو ربع ساعة واستقبله فاروق .

ولم اشهد بطبيعة الحال هذه المقابلة لاننى كنت واقفا انتظر فى غرفة اخرى ملحقة بالصالون مع بعض افراد الحاشية .

ولم تطل المقابلة اكثر من دقائق .

وفتح باب «الصالون» وخرج منه النحاس ومكرم ومن معهما ٠

وكان النحاس «باشا» متجهم الوجه مقطب الحاجبين ٠٠ولم يكد يراني حتى اشار الى ان اتبعه ٠

ونزلت معهم الى بهو الفندق وأخذ النحاس « باشا » بذراعي وقال :

ـ اللعب بدا من دلوقت ٠٠

قلت : خيرا يارفعة الباشا ؟

قال : لا ٠٠ مش خير أبدا ٠٠ أبدا ٠٠ الملك كلمني عن حفلات التولية التي ستقام بعد عودته الى مصر ، وعاوز حفلة تقام في القلعه ٠٠ آه في القلعة ٠٠ وشيخ الازهر ٠٠ سامع ياسي التابعي ! شيخ الازهر يقلده فيها ٠٠ في الحفلة دي سيف جده محمد علي ٠٠ آه ٠٠ محمد علي ٠٠ والأمراء ٠ الامراء يكونوا حاضرين الحفله ولابسين الهدوم اللي كان جدودهم بينبسوها ايام محمد علي ٠٠ وفي الحفلة دي مش عارف مين ومين رايحين يقسموا له يمين الولاء والاخلاص ! ٠٠ ايوه ياسيدي ٠٠ حفلة في القلعة ٠٠ انت عارف ياسي التابعي الدستور بيقول ايه ؟

ولم تسعفني ذاكرتي بأحكام الدستور ونصوصه في هذا الموضوع وقلت :

ـ لا ٠٠ ماعرفش يارفعة الباشا ٠٠

وقال رفعته :

ـ ماتعرفش ؟ ٠٠ طيب انا قول لك ٠٠ الدستور بيقول ان الملك قبل ان يتولى سلطاته ويباشرها يقسم اليمين الدستورية امام الهيئة المشتركة من اعضاء مجلس الشيوخ والنواب ٠٠ آه ٠٠ أهو ده اللي بيقوله الدستور ٠٠ ولا فيش حاجه فيه عن سيف جده محمد علي ٠٠ ولا عن الأمراء وهدوم الأمراء ٠٠ولا عن شيخ الازهر ٠٠ وانا مش فاهم شيخ الازهر ماله ومال مباشرة الملك لسلطاته الدستورية !

وكان شيخ الازهر يومئذ المغفور له الشيخ المراغي ولم تكن العلاقات بينه وبين الوفديين في أي يوم ٠٠ على مايرام ٠٠فقد

كانوا يخشونه ·· وكان هو من جانبه لايحسن الظن بهم ·
وتدخل مكرم باشا فى الحديث ، وقال :
ـ البركة فى الاستاذ التابعى ·· يحل لنا الاشكال ده ·
وقال النحاس باشا وهو يتجه الى السيارة الفخمة التى كانت تنتظره امام الفندق :

ـ أيوه خلص لنا الحكاية دى ·· وزى ماقلت : مافيش غير أداء اليمين الدستورية ، تحت قبة البرلمان ولا قلعة ولا سيف محمد على ، ولا امراء ، ولا حاجة من دى ابدا ·· آه ·· اللى فى الدستور وبس ·
وأخذت مكرم باشا الى جانب وقلت له :
ـ ولكن الملك يسافر اليوم الى لندن ·· وأنا قاعد فى باريس ·· لان لنا مراسلا فى لندن يمكنه ان يوافى «المصرى» بأخبار الملك والرحلة الملكية فى انجلترا ·
وقال مكرم :
ـ معلهش علشان خاطرنا تسافر الى لندن وتسوى لنا هذه المشكلة ·· واحنا عارفين ان جلالة الملك يحبك ويثق فيك ·

***

وكانت حكاية القلعة وسيف محمد على الذى يقدمه شيخ الازهر الى فاروق ·· ووقوف أمراء أسرة محمد على فى صفين وهم مرتدون ثياب الامارة فى القرن التاسع عشر الى آخره ·· كانت هذه كلها «تقنيعة» من تقاليع الأمير محمد على رئيس مجلس الووصاية وقد افضى بها الى صحفى يعمل فى جريدة الاهرام فنشرها ، وغناها ، وقوى الدعاية لها ·· وكبرت الفكرة فى رأس الأمير محمد على وبقية الامراء ·
ولم أعرف هل كان الامير محمد على كتب الى فاروق فى هذا الموضوع أم ان فاروق قرأ الموضوع فى جريدة الاهرام فطابت له الفكرة ، وكانت الصحف والمجلات ترسل من مصر بالطائرة وبانتظام الى فاروق وكان سكرتيره الخاص دكتور حسنى يقرؤها ويعرض عليه مايرى وجوب عرضه ·
أما انا فقد كان ذهنى خاليا تماما من الموضوع لأننى لم أكن

اطلع على صحف مصر ! حتى جريدة «المصرى» التى كنت يومئذ احد اصحابها ومجلة «آخر ساعة» التى كنت صاحبها ، لم تكونا ترسلان الى فى اوروبا ، لاننى لم اطلبهما ! ..

***

وسافر فاروق الى لندن هو وامه وشقيقاته وجميع افراد الحاشية .. ونزل فاروق وافراد الحاشية من الرجال ـ ماعدا الاستاذ أحمد يوسف مدرس اللغة العربية للأميرات ـ نزلوا فى قصر « كنرى هاوس » فى كنجستون ، وهو القصر الذى كان يقيم فيه فاروق ايام دراسته القصيرة فى انجلترا .

اما الملكه نازلى وبناتها الاميرات وسيدات الحاشية ومنهن السيدة زينب ذو الفقار وكريمتها الآنسة صافيناز، فقد نزلن فى قصر استؤجر خصيصا لهن واسمه قصر «بالاردكوم» ويبعد عن قصر « كنرى هاوس» نحو كيلومترين .

وأقام معهن فى القصر المذكور الاستاذ أحمد يوسف وسافرت الى لندن بعد ايام قليلة ، ونزلت فى فندق «اثانيوم كورت» فى حى بيكاديللى .

واتصلت بالتليفون فور وصولى بحسنين باشا .

وذهبت الى « كنرى هاوس » وعرضت عليه المسالة ووجهة نظر مصطفى النحاس باشا .

وقال حسنين ان هذه مسالة سياسية ولا شأن له بالسياسة واقترح على ان اتحدث فى الموضوع مع دكتـــور حسنى بك سكرتير الملك .

وكان هذا شأن حسنين دائما ! .. كان يتحاشى المسائل الشائكة التى لا مصلحة له فيها . وقد كان الموضوع ولا شك شائكا .. فهو اقتراح من الامير محمد عـلى أكبر الامراء سنا ومقاما .. والملك فاروق متحمس للفكرة وللموضوع ، ورئيس الوزراء وزعيم الاغلبيـة البرلمانية يعارض ويرفض العمـــل بالاقتراح .. هو اذن موضـــوع شـــائك . ولا مصلحة فيــه لحسنين .

اذا هو لم يستطع اقناع الملك بالتخلى عن حفلة القلعة اغضب الوفديين وزعيمهم مصطفى النحاس .

واذا هو نجح في تسوية المسألة واقناع فاروق ،فانه يغضب الأمير محمد على ..

وتحدثت مع دكتور حسنى فى الموضوع ، وكان مما قلته ان هذه الحفلة ومراسيمها ليست من مصـلحة جلالة الملك لانهـا شبيهة بتتويج ملوك المسيحية ، وخصوصا حفلة تتويج ملك انجلترا .. «وكان تتويج ملك انجلترا الراحل جورج السادس فى نفس الشهر وتفاصيل الحفلات التى اقيمت عالقة بالاذهان» .

وقلت :

– ومن ذلك القلعة ويقابلها فى حفلة جورج السادس كنيسة «وستمنستر آبى» .. ورئيس اساقفة كنتربرى ويقابله عندنا شيخ الأزهر .

كلا .. ياحسنى .. هذه الحفلة ليست فى مصلحة «مولانا» .. هذا من جهة .. ومن جهـة اخـرى فان الوزارة الوفـدية متمسكة بأحكام الدستور ، وهذه الحفلة مخالفة سافرة لأحكام الدستور .. الخ .

***

وفى اليوم التالى عدت الى «كنرى هاوس» .

ونزلت من التاكسى عنـد «البوابة» الخارجية للقصر وكان يحرسها جندى من رجال بوليس لندن . واستوقفنى كالعادة ليتحقق من شخصيتى قبل ان يأذن لى بالدخول .

وفى هذه اللحظة رأيت فاروق راكبا دراجـة «بسكليت» وصافيناز فوق دراجة اخرى والاثنان ينطلقان فى الطريق الى المروج الخضراء الممتدة بين «كنرى هاوس» وقصر «بالاردكوم» .

اذن فقصة الحب التى بدأت فى برن «سويسرا» تسير سيرا طبيعيا . ولقد سررت كثيرا . فقـد كنا جميعا نحترم ونكبر الصفات الممتازة التى تتحلى بها الآنسة صافيناز ذو الفقار .

وتناولت الغداء مع رجال الحاشية . وبعد ان انتهينا خرجت مع حسنى نتمشى فى حدائق القصر الواسعة .

وقال حسنى انه نجح ، والحمد لله . وان «مولانا» قد تنازل عن فكرة حفلة القلعة ، وان برنامج حفـلات التولية سـوف يقتصر على حفلة اداء اليمين الدستورية امام اعضاء البرلمان .

وفى مساء نفس اليوم تقام حفلة عشاء تعقبها حفلة ساهرة فى قصر عابدين .

وفى اليوم التالى حفلة استعراض الجيش .

ثم يستقبل الملك فى اليوم الثالث الأمراء ورجال السلك السياسى والوزراء الحاليين والسابقين والشيوخ والنواب وكبار الموظفين وطوائف وهيئات من اعيان البلاد واطبائها ومحاميها وصحفييها .. الى آخره .. الى آخره .

وفى أول يوم جمعة يؤدى جلالة الملك صلاة الجمعة فى مسجد الازهر الشريف ..

هذا هو البرنامج .

وقلت انا : عال .. ولا أظن لأى احد اقل اعتراض عليه ؟ ..

ولكننى كنت استبق الحوادث ، ومتفائلا أكثر مما ينبغى .. وكان حسنى بك لم ينته بعد من كلامه . فقد قال : ان «مولانا» سوف يسره جدا ان يقدم له الشعب تاجا ، وان تقام حفلة تتويج كبرى يدعى لحضورها ملوك ورؤساء دول العالم .

ومضى حسنى فى شرح الفكرة او المشروع ، فقال :

ـ ولما كان جلالة الملك ديمقراطيا بطبعه ، وحريصا على احكام الدستور التى تقول ان الأمة مصدر السلطات فانه يرى ان تكتتب جميع طبقات الأمة بثمن هذا التاج ، وان الذى يضع التاج على رأسه هو رئيس مجلس الشيوخ .. ويضعه باسم الامة .. وهكذا يكون التاج من الأمة ، ويوضع على رأس جلالة الملك باسم الأمة .. وأعترف اننى تحمست يومئذ لهذا المشروع ، ووعدت دكتور حسنى بتأييده .

***

واسرعت عائدا الى الفندق وطلبت بالتليفون مكرم عبيد باشا فى فندق «ده برج» فى جنيف وابلغته تنازل الملك فاروق عن فكرة الحفلة الدينية فى القلعة التى يقلده فيها شيخ الأزهر سيف جده محمد على .. وقلت ان صاحب الجلالة يقترح أن تقتصر حفلات التولية على اداء اليمين الدستورية امام شيوخ

ونواب الأمة واقامة مادبه عشاء تعقبها حفلة ساهرة فى قصر عابدين .. الى آخر البرنامج الذى ذكرته .

وانطلق مكرم باشا ـ وفى صوته رنين الفرح ـ انطلق يهنئنى على توفيقى فى مهمتى ويقول :

ـ عظيم .. عظيم خالص .. ده توفيق من الله .. وكلنا نشكرك يااستاذ تابعى ..

قلت :

ـ ولكن حسنى بك كلمنى فى مشروع آخر وانا وافقت عليه ووعدته بتأييد المشروع عندكم ..

وسألنى الاستاذ مكرم : وما هو المشروع ؟

ورويت له حديث الدكتور حسنى عن التاج الذى تكتتب بثمنه جميع طبقات الامة .. ثم يضعه رئيس مجلس الشيوخ باسم الأمة على رأس فاروق فى حفلة يدعى اليها ملوك ورؤساء الدول .. الى آخره .

وقلت اننى اعتقد ان جلالة الملك نفسه هو صاحب فكرة التاج وانه فرح جدا بفكرته هذه وخصوصا بعد ان عرضها على رجال حاشيته فتحمسوا لها ووافقوه عليها .

ورويت لمكرم ماسمعته فى معرض التأييد وهو ان مصر الفرعونية القديمة كان لها «تاج» .. لاتزال آثارها وجدران هياكلها ومسلاتها تحمل رسومه .. وقد فقدت مصر «تاجها» بعد ان فقدت استقلالها .. اما اليوم وقد استردت مصر استقلالها بعد عشرات القرون فقد وجب ان تسترد مصر تاجها القديم .. الى آخره ..

وكانت الاشارة الى «استقلال» مصر الذى استردته بعد عشرات القرون اشارة الى معاهدة سنة ١٩٣٦ ، او معاهدة الشرف والاستقلال كما قيل عنها يومئذ !

واصغى مكرم باشا الى حديثى ، ثم قال :

ـ وهو كذلك ..

وهنا سألته :

ـ يعنى أقول لهم ان معاليك موافق ؟

قال : مافيش مانع !

قلت : ومسالةاخرى ·· ان الضجة لاتزال قائمة فى الصحف الوفدية حول الحفلة الدينيـة فى القلعة وانا اخشى ان هى استمرت ان تفسد الجو فأرجوكم ان تعملوا على ايقافها ·

قال : طبعا ·· طبعا ··

ثم اتفقنا على أن أرسل الى جريدة «المصرى» برقية تضع حدا لهذه الضجة وللجدل القائم حول هذه الحفلة الدينية بين الصحف التى تؤيد اقامة هذه الحفلة ـ وهى الصحف التى كانت متصلة بالامير محمد على توفيق وكانت تعمل وتكتب بوحى منه ـ وبين الصحف الوفدية التى كانت تعارض فى اقامـة الحفـلة فى القلعة ·

وان اقول فى برقيتى الى جريدة « المصرى » اننى اتصـلت برفعة الرئيس وبمعالى مكرم باشا فى جنيف ، وسألتهما عن رأيهما فى جدل الصحف المصرية حول هذه الحفلة الدينيـة ففوضا الى ان اذيع ان هذا الجدل اصبح لامعنى له ولاسبب ، وان الوزارة حريصة على تحقيق رغبات جلالة الملك وان الثقة والتفاهم الكامل متبادلان لحسن الحظ بين جلالة الملك «المحبوب» ووزرائه المخلصين !

وارسلت فعلا هذه البرقية الى جريدة «المصرى» ·

ولكن الحملة استمرت مع ذلك ·· كما سترى فيما بعد ··

وأعود الى اصل الحديث :

انتهى حديثى بالتليفون مع مكـرم باشا وبادرت وابلغت حسنى بك فى قصر « كنرى هاوس» خبر موافقة مكـرم باشا على مشروع التاج ، ودعوته هو وزميله من رجال الحاشية على رشيد بك «وهو كبير الأمناء فى القصر الجمهورى» لتمضـية السهرة معى فى لندن ·

واجتمعنا فى المساء ، وعلمت من حسنى بك انه ذهب مباشرة عقب محادثتى التليفونية وابلغ «مولانا» موافقة مكرم باشا على مشروع التاج ، وان فاروق سر جدا بهذا الخبر ·

وسمعت بين ماسمعته اثناء السهرة ، ان جلالة الملكة نازلى قد كرهت لندن وانها ضيقة الصدر وعصبية المزاج فى هـذه الايام ·· وانها تشكو من وحـدتها فى قصر «بلاردكوم» مع

«البنات» ـ أي الأميرات ـ وان احدا لايعنى بها او يهتم بالسؤال عنها و الخروج معها .. وأن جلالة الملك ابنها يكتفى بالسؤال عنها بالتليفون ، لانه مشغول بصـافيناز ، او بنزهاته فى سيارته .. والقائمقام عمر فتحي مريض طريح الفراش فيأحد المستشفيات .. واما حسنين باشا ؟..

وهنا تقول الملكة نازلى :

ـحسنين مش فاضى لنا دلوقت .. لانه مشغول مع حبايبه فى لندن وعلى رأى المثل : «من يلقى أحبابه ينسى اصحابه».. وحبايب حسنين فى لندن كتير! ..

ولم يكن عجيبا ان يجد حسنين باشا فى لنـدن ونواديها ومنتدياتها ودور كبرائها .. او فى الريف الانجليزى الجميل القريب من لندن .. لم يكن عجيبا ان يجد حسنين فيهذا كله مايشغله ويملأ وقته ويصرفه عن الاهتمام بالملكة نازلى وارضاء نزواتها .. ذلك ان حسنين كان ـ كما ذكرت فى الفصـول السابقة ـ قد امضى احلى سنى الشباب فى لندن ايام كان يتلقى دراسته فى جامعة اكسفورد .. ولقد كانت له صداقات كثيرة ومعارف اكثر فى لنـدن وفى الأسر الانجليزية الكبيرة التى تعيش فى الريف القريب من لندن .

ومن هنا انصرف حسنين عن الملكة نازلى .. لكى يعيش فى ذكريات ايام الدراسة والشباب الخالية ..

***

أما القائمقام عمر فتحي بك ، فقد كان اصيب ذات مساء ـ ـ اثناء السهرة مع بعض رجال الحاشية فى احد نوادى لندن الليلية ـ اصيب لأول مرة بالذبحة الصـدرية وحملوه الى المستشفى .. ولما سمع فاروق بالخبر اسرع الى المستشـفى وأمضى الليل الى جانب فراش ياوره الخاص الامين وهو يبكى !

وكان فاروق لايزال وقتئذ رقيق الاحساس والشعور .

***

وتناولت طعام الغداء فياليوم التالى فى قصر «كنرى هاوس» وبعد الغداء صحبنى الدكتور عباس الكفراوى ـ طبيب الملك الخاص .. وكانت له مكانة خاصة عندفاروق ـ صحبنى الى

حديقة القصر لكي يتحدث الى عن منصب رئيس الديوان الذى كان شاغرا منذ استقالة صاحب الدولة احمد زيور باشا .

وقال الدكتور الكفراوى كلاما كثيرا لااذكره بحروفه وكلماته ولكنه فى هذا المعنى ‥ قال :

ـ ان جلالة الملك ـ كما تعلم ـ لايزال صغير السن قليل الخبرة وهو فى حالته هذه فى حاجه الى رئيس ديوان يكون له بمثابة المرشد والمعلم ‥ رئيس ديوان واسع الخبرة متعدد الكفاءات ‥ تقلب بين مناصب الحكومة المختلفة من ادارية وقضائية ومالية وسياسية ‥ ولست اعرف رجلا تتوافر فيه جميع هذه الصفات خيرا من نجيب الهلالى بك ‥ فما رأيك ؟

قلت : انا لااعرف الهلالى بك شخصيا ، ولكننى سمعت عنه كل خير ‥

قال : اذن هل تكلم مكرم باشا فى هذا الموضوع ؟

قلت : وهو كذلك ‥

وكان المعروف يومئذ ان الاستاذ مكرم باشا سكرتير الوفد والذراع اليمنى لرئيس الوفد ورئيس الحكومة ‥ هو كل شيء فى الوفد وفى الحكومة وانه صاحب الكلمة العليا فى الوفد وفى الحكومة !

***

وعدت الى الفندق ‥ ومرة آخرى طلبت بالتليفون مكرم باشا بفندق «ده برج» فى جنيف ‥ ولكنه لم يكد يسمع صوتى حتى قال :

ـ عملت طيب يااستاذ تابعى الى كلمتنى بالتليفون انا كنت رايح أطلبك حالا دلوقت بالتليفون ‥

قلت : خيرا ياباشا ؟‥

قال : حكاية التاج دى اصرف نظر عنها ‥ رفعة الرئيس «يقصد النحاس باشا» زعل منها جدا وهاج ! واخواننا كلهم هنا مش موافقين عليها ‥ حتى على باشا الشمسى حضر لزيارتنا اليوم ولما سمع بها قال : «ده كلام فارغ !» ‥ وانا اضطررت ان ادافع عنك عند النحاس باشا ‥ فقلت له ان

ان الاستاذ التابعى احرجوه ووسطوه .. فمن فضلك شوف لك طريقة تقفل بها حكاية التاج دى ؟!

واسقط فى يدى .. ماذا افعل ؟

وقلت لمكرم باشا وبصوت كان فيه شىء كثير من الغيظ والحرج :

ـ طريقة ايه ياباشا ! .. يعنى عايزنى اروح «كنرى هاوس» اقول لهم ايه ! .. اقول لهم انا كذبت عليكم عندما قلت لكم ان مكرم باشا موافق !؟

وضحك مكرم باشا ضحكته القصيرة اياها ، وقال :

ـ لا .. لا .. لاسمح الله ..ولكن قل لهم ان مكرم مش كل حاجة ! .. وان موافقة مكرم ليست كل شىء فهناك رئيس الوفد والحكومة .. وهناك زملاؤنا الوزراء واخواننا اعضاء الوفد .. وحكاية التاج دى ليست من المسائل السهلة التى يجوز لى ان اقطع فيها برأى .. وانا قلت لك ان اخواننا هنا كلهم ضدها .. ومصطفى باشا زعلان جدا منها .

وقلت انا :

ـ ومن الذى يصدقنى هنا اذا قلت ان مكرم باشا ليس كل شىء وان موافقته ليست كل شىء ؟ ولا احد من رجال الملك سوف يصدق هذا الكلام ! .. وانت تعرف ياباشا انهم جميعا يعتقدون انك تستطيع دائما ان تقنع النحاس باشا بكل راى تراه .. فاذا ذهبت اليوم وقلت لهم ان النحاس باشا لايوافق، فانهم سوف يفهمون من هذا ، اما انك عدت وعدلت عن موافقتك لسبب مجهول .. او انك لم تحاول اقناع رفعة الرئيس برأيك لانك لاتهتم بتلبية رغبة جلالة الملك مع اننى قلت لمعاليك ان فكرة التاج فكرته وانه مهتم جدا بها ..

وقال مكرم :

ـ ما اعرفش ! أنا قلت الموقف ايه هنا .. وانت تتصرف ..

وقلت أنا :

ـ لن أقول شيئا .. ولن افعل شيئا ..ولقد ابلغتهم بالامس خبر موافقتك ، فاذا شئت معاليك ان تتصل بهم فى « كنرى هاوس» مباشرة وتبلغهم ماقلته لى الآن .. فافعل !.. اما انا فلن اقول شيئا !

وانتهى حديثنا بالتليفون ..

وكان موضوع الاستاذ نجيب الهلالى وترشيحه لمنصب رئيس الديوان قد طار من رأسى تماما .

وعدت الى باريس ..

وبعد ايام عاد فاروق ومن معه الى باريس لكى يرأس حفلة افتتاح القسم المصرى فى معرض باريس الدولى وبحضور رئيس جمهورية فرنسا مسيو لوبران .

وتنفست الملكة نازلى الصعداء بعد ان عادت الى باريس التى تحبها .. واستأنفت حياة المرح والسهر فى ملاهى باريس .. مع حسنين باشا اذا امكن !

ومع غير حسنين باشا اذا لزم الامر !

وهنا بدت على «جلالتها» اعـراض مرض التصـابى ! فقد انطلقت تزور «صالونات» التجميل وصبغ الشعر تجرب فى كل يومين تقريبا صبغة جديدة ولونا جديدا لشعرها الذى كانت قد بدأت تظهر فيه شعرات بيضاء !

ولاحظنا نحن ان حسنين بدأ يقتصد ـ الى حد ما ـ فى «اخلاصه وتفانيه» فى خدمة الملكة نازلى والسير فى ركابها حيث تريد فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار .

وهكذا اصبحنا نراه بيننا ـ ومعنا ـ اكثر من اى وقت مضى فى هذه الرحلة .

لماذا ؟ هل كان يخشى افتضاح علاقته بالملكة الوالدة ؟ وان يسمع ابنها الملك او يلاحظ شيئا مريبا عن امه ورائده الامين ؟

أم ترى حسنين قد رأى ان الوقت قد حان لكى ينتقل من الفصل الاول الى الفصل الثانى .. اى من اظهار الحب والتفانى .. الى اظهار «التقل» والتحفظ والبرود ؟ .. وهى السياسة التى كان حسنين ـ رحمه الله ـ يجيد تطبيقها كل الاجادة مع هذا الصنف من النساء ؟ النساء اللاتى جاوزن مرحلة الشباب واخذن فى استقبال شمس المغيب !

وهذا الفصل الثانى ـ فصل «التقل» والتحفظ والبرود ـ يزيد الوجد والشوق ويشعل فى صدر المرأة نارا فوق نار !.

نارا تأكل مابقي للمرأة من عزة وكبرياء .. حتى اذا عاد اليها الرجل .. اسلمته قيادها فى خضوع واستسلام !

هذا هو الأرجح ..

***

وعرفنا ونحن في باريس ان عصـــبة الامم قد قبلت مصر عضوا في هيئتها .. وان وفد مصر برئاسة «النحاس» قد عاد الى القاهرة .

وذات صباح قال لى الدكتور حسنى بك ان جلالة الملك متألم من استمرار الصحف الوفدية فى الكتابة عن الحفلة الدينيـة فى القلعة مع ان هذه الكتابة اصبحت غير ذات موضوع بعـد تنازل جلالته عن اقامة هذه الحفلة .. واضاف حسنى بك ، ان مكرم باشا لم يف بوعده لى بالتليفون وهو وقف هـــذه الحملات الصحفية وخصوصا فى جريدة «المصرى» كبرى صحف الوفد وقتئذ .

ثم قال بلهجة ذات معنى :

ـ وانا شخصيا اعرف انك لاشأن لك بما يكتب الآن وينشر فى جريدة «المصرى» لانك معنا هنا وغائب عن مصر .. ولكن من الصعب ان يقتنع جلالة الملك بأنك وانت احد اصـــحاب الجريدة لاتستطيع وقف هذه الحملات فى جريدتك .

وأرسلت يومئذ برقية الى محمود ابو الفتح اطلب فيها الكف تماما عن الكتابة فى امر هذه الحفلة الدينية واقول اننى فى حرج شديد وان جريدة «المصرى» لم تراع الوضع الذى انا فيه، بوصفى الصحفى الوحيد المرافق للملك فاروق فى رحلته .

ومع ذلك استمرت الحملة فى جريدة «المصرى» وغيرها من صحف الوفد ..

وتلقيت خطابا من محمود ابو الفتح يعتذر فيه عن استمرار هذه الحملة ويقول ان لاشأن له بها وانه عاجز عن وقفها ، وان القائم بهذه الحملة فى جريدة «المصرى» والذى يكتب المقالات الخاصة بالحفلة الدينية هو شريكنا الثالث الاستاذ كريم ثابت .. وان كريم يتلقى تعليماته وتوجيهاته مباشرة من الاستاذ يوسف الجندى الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية .. وانه ـ اى محمود

وفدى كبير مثل يوسف الجندى الذى هو فى نفس الوقت وكيل
وفدى كبير مثل يوسف الجندى الذى هو فى نفس الوقت وكيل
وزارة ومفروض فيه ان ينفذ تعليمات سياسة «الوزارة العليا !

وسكت .. ولم اطلع احدا على هذا الخطاب .. واستمرت الحملة ! واليوم اعجب - وتعجبون معى - لسخرية القدر !

كريم ثابت الذى اغضبت مقالاته فاروق فى عام ١٩٣٧ يختاره فاروق صديقا له فى عام ١٩٤٣ ، ثم يعينه مستشارا صحفيا له فى عام ١٩٤٦ .

***

وحل يوم السفر - ٢٧ يونية - من باريس الى «فيشى» مدينة المياه المعدنية المشهورة . وقيل يومئذ اننا نذهب الى فيشى لان جلالة الملكة نازلى تريد ان تعالج كليتها المريضة .

وركبنا قطارا خاصا .. وذهبت الى عربة «البولمان» الخالية وجلست الى احدى الموائد .. ثم حضر حسنين باشا وجلس فى المقعد المقابل .. وبعد قليل انضم الينا محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض يومئذ فى فرنسا وسويسرا .

ودار بيننا الحديث عن مصر وسير الامور فيها وقال حسنين باشا : ان الحملة على الحفلة الدينية فى القلعة لاتزال مستمرة وانها قد امتدت وتناولت تادية «مولانا» لصلاة الجمعة فى مسجد الأزهر الشريف .. الى آخره .

وبينما نحن كذلك دخل فاروق عربة «البولمان» ووراءه «اليوزباشى» احمد الطاهر .

واقبل فاروق علينا ووقف امام مائدتنا فوقفنا احتراما .. وكان بيده رزمة من صحف مصر ، كانت قد وصلت فى صباح نفس اليوم .

ورمى بها امامى على المائدة ، وهو يقول :

- الأستاذ التابعى قرأ الكلام المكتوب فى جريدة «المصرى» ؟

وكان من علامات «الرضا السامى» ان ينادينى فاروق باسمى مجردا من لقب استاذ .

ومن علامات «الغضب الملكى» ان ينادينى ياستاذ تابعى !

وسكت ·· ولكننى ألقيت نظرة على جريدة «المصرى» وقرأت على صفحتها الاولى ـ وبالبنط الكبير ـ عبارة فحواها انمصدرا رسميا كبيرا صرح لمندوبها بأن الوزارة قررت عدم اقامةحفلة دينية ··

واتجه فاروق الى المائدة المحاذية لمائدتنا فى الجانب الآخر من العربة وجلس اليها وهو يقول :

ـ الحالة فى مصر بقت « صلطة » ··

وقال فخرى باشا :

ـ «صلطة» خالص ياافندم ··

وقال فاروق :

ـ أيوه ·· «صلطة» وعليها « سكر » ··

وهنا قال حسنين :

ـ ان شاء الله يا «مولانا» تصبح الحالة كلها سكر ·

والتفت الى فاروق من مقعده ·· وسألنى بسخرية :

ـ هيه ·· والأستاذ التابعى جاى معانا برضه فيشى ؟

وأحسست ان الدم صعد الى رأسى ·· فقد كان المعنى واضحا سافرا ، وهو ان الملك غاضب على ولا يريد ان اسافر معهم الى فيشى ··

ومع ذلك فاننى لم أكلفه ولم أكلف حكومته أو خاصته الملكية مليما واحدا من نفقاتى طوال الرحلة لاننى كنت ادفع جميع نفقاتى من الفنادق وغيرها ·· بل وثمن تذكرتى فى القطار الخاص كنت ادفعه الى مندوب شركة «كوك» التى كانت تتولى شئون الرحلةوتنقلاتنا فى اوروبا ·· وجمع افراد الحاشية كانوا يعرفون هذا ·· وكدت أسأل «جلالته» : هل هو يظن اننى أسافر معهم على حسابه او حساب الحكومة ؟

ولكننى سكت تأدبا واحتراما ·

والواقع ان جميع نفقاتى فى تلك الرحلة التى دامت نحو خمسة اشهر كانت من جيبى الخاص ·· حتى جريدة «المصرى» التى سافرت من اجلها لم تدفع لى قرشا واحدا · لأن ميزانيتها لم تكن تسمح يومئذ ، وفى اول عام من حياتها بدفع نفقاتى

فى رحله كهذه ·· سكت اذن ولكن الجالسين لاحظوا ولاشك امتقاع لون وجهى واحمرار اذنى ··

ووقف حسنين باشا ، واستأذن من «مولانا» وانسحب من عربة «البولمان» ولعله ذهب الى صالون جلالة الملكة والأميرات·

ومن بعده ·· انسحب فخرى باشا بعد ان انحنى ومشى خطوات بظهره الى الوراء ··

وبقيت وحدى فى مقعدى ·· وفاروق جالس الى مائدته ·· ومن خلفه أحمد الطاهر جالس الى مائدة أخرى ·

وساد الصمت بضع دقائق ·· وكان فاروق يتسلى بعد حفنة من اوراق « البنكنوت » الفرنسية··وكان يعدها ويضعها فى جيب سترته ·· ثم يخرجها ويعدها مرة اخرى··وهكذا··

وأخيرا وقف ·· ووقفنا ··

والتفت الى ·· وقال :

ــ اظن نروح بقى عربة الاكل علشان الغدا ··

ولما لم أرد ، قال :

ــ مش جاى تتغدى ؟ ·

قلت : ان شاء الله يا افندم ·

وغادر العربة ، ووراءه يوزباشى احمد الطاهر ··

وادركت انا ان فاروق قد احس بانه جرحنى ، وانه أراد بدعوتى لتناول الغداء ان « يطيب خاطرى » ·

ولكنى كنت نويت أمرا ، وهو ان أؤدى واجبى الصحفى فى « فيشى » فأرسل برقيتى الى جريدة « المصرى » بوصف استقبال الملك والملكة ، ثم أغادر فيشى على الفور ·

وتناولت طعام الغداء بمفردى فى عربة « البولمان » ·

وصلنا « فيشى » فى الساعة الرابعة بعد الظهر ·· وارسلت برقيتى الى جريدة « المصرى » بوصف الاستقبال ·

ثم ذهبت الى مكتب « كوك » واشتريت تذاكر السفر اللازمة الى « فيينا » فى النمسا ·· وأبدلت مبلغا من المال بالعملة النمسوية ·· الى آخره ·.

وعرف حسنين باشا ورجال الحاشية بالخبر فاقبلوا

يطيبون خاطرى ويؤكدون لى ان « مولانا » لم يقصد اهانتى ·· الخ ·

ولكننى صممت على السفر ·

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ركبت القطار الى زيوريخ ومنها الى فيينا ·

وغادرت مدينة « فيشى » بقطار الصباح وصحبنى الى المحطة الاستاذان على رشيد ، واحمد يوسف ·· وعاود الاثنان الكرة لكى يحملانى على العدول عن السفر ·· واخيرا قلت لهما اننى فى الحقيقة أريد أن أتحرى فى « فيينا » حكاية توفيق نسيم باشا والفتاة النمساوية مارى هوبنر ، لكى اوافى جريدة « المصرى » بالتفاصيل ·

وكانت الاخبار قد جاءتنا ان توفيق نسيم باشا ، رئيس الوزراء الأسبق ـ رحمه الله ـ قد أحب فتاة نمسوية من عامة الشعب وهى ابنة صاحب فندق صغير وانه ينوى الاقتران بها ·

وتمنى لى الصديقان سفرا سعيدا موفقا ·

ووصلت « فيينا » بعد ظهر اليوم التالى ، وكانت «فيينا» يومئذ عاصمة بلا دولة ، او كانت هناك دويلة صغيرة ·· فقد كانت النمسا خرجت من الحرب العالمية الاولى فقيرة مفلسة ، فقدت امبراطوريتها الواسعة ، وفقدت معها كل شىء ·· وبعد ان كانت « فيينا » عاصمة لامبراطورية تضم نحو سبعين مليونا من السكان أمست عاصمة لدولة مقصوصة الاطراف يسكنها نحو ستة ملايين ·

وكان يسكن « فيينا » ثلاثة من هذه الملايين الستة · وكان الزائر الاجنبى يشهد مظاهر الفقر والبؤس والجوع فى كل ركن من أركان المدينة الجميلة الانيقة المشرقة ·· مدينة الموسيقى والهوى والجمال ·

وبالمال ·· قليل من المال كان الزائر يستطيع ان يشترى كل شىء ، واى شىء بثمن رخيص ، أو ثمن معقول مقبول ·

حتى الجمال والشباب كانت « اسعارهما » فى العاصمة الجميلة الفقيرة رخيصة اذا قيست بأسعار لندن وباريس !

وكنا لانزال فى شهر يولية عام ١٩٣٧ ، أى قبل أن يزحف هتلر على النمسا ويعلن ضمها الى الرايخ الثالث او المانيا الكبرى، وهو الأمر الذى وقع بعد ذلك بثمانية شهور ، اى فى شهر مارس عام ١٩٣٨ .

***

ولم تطل اقامتى فى « فيينا » أكثر من بضعة أيام .. كذلك لم احاول ان اتحرى او استقصى شيئا عن حكاية توفيق نسيم باشا ، والفتاة مارى هوبنر .. ولكننى تذكرت حديث الدكتور عباس الكفراوى وترشيحه للاستاذ نجيب الهلالى ليكون رئيسا لديوان الملك فكتبت خطابا لمكرم عبيد باشا رويت فيه تفاصيل الحديث ، وارسلت الخطاب الى عنوانه فى رمل الاسكندرية لاننى كنت اعرف انه والنحاس باشا وزملاءهما قد عادوا الى مصر .. ولابد أنهم يقضون الصيف فى بولكلى برمل الاسكندرية .

وغادرت «فيينا» وذهبت الى الريف بالقرب من مدينة «لنز» مسقط رأس هتلر وأقمت فى فندق بسيط بقرية صغيرة نحو اسبوع .. ثم ركبت القطار عائدا الى «فيشى» فقد كان على أن أؤدى واجبى الصحفى حتى النهاية وان اصحب الملك فاروق فى عودته من رحلته الى مصر .

ووصلت «فيشى» ونزلت فى فندق «ماجستيك» الذى كان يقيم فيه فاروق وأمه وحاشيته .

وفى المساء نزلت الى بهو الفندق وجلست فى مقعد .. وكان يجلس فى مواجهتى السيد عبد الحميد الشواربى والسيدة الكريمة زوجته .. وكان يوجد يومئذ فى «فيشى» عدد كبير من المصريين الذين يزورون مدينة المياه المعدنية للاستشفاء .

واقبل فاروق من باب فى صدر البهو ، ووراءه يوزباشى احمد كامل ..

ورآنى « صاحب الجلالة » فابتسم ولوح بيده ، واقبل نحوى .. ووقفت .

وتقدم منى ووضع يده على كتفى ، وقال :

- حمد الله على السلامة ..

قلت : الله يسلمك يا افندم ..

قال : لسه زعلان ؟
قلت : أستغفر الله ياافندم ..!
قال : وايه حكاية توفيق نسيم .. صحيحة الحكاية ؟
قلت : ايوه .. صحيحه ..

ولم ازد ، لانني ـ كما قلت ـ لم احاول ان اتحرى عن التفاصيل .

قال وهو ينظر من طرف عينيه الى فتاة شقراء جميلة كانت ترتدى ثوب السهرة ، وكانت جالسة فى مقعد قريب مني ولعله ظن انها جالسة معي :
ـ طيب .. بعد العشا نبقى نشوفك .. يوجد هنا محل لطيف اسمه «لوازيه» ـ اى الواحة ـ فيه مزيكة ورقص ، قريب من اللوكاندة .. نشوفك فيه بعد العشا ..
قلت : ان شاء الله ياافندم ..
ولكنى لم اذهب ..

***

وكان «القائمقام» عمر فتحى بك الذى كنا تركناه مريضافى أحد مستشفيات لندن قد شفى ولحق بالركب الملكى فى «فيشى» ومعه السيدة زوجته التى كانت طارت الى لندن عندما سمعت بخبر مرضه واقامت بجانبه .

واجتمعت بعمر فتحيوبأصدقائى من أفراد الحاشية وجلسنا نتحدث عن مصر، واخبار مصر .. وعرفت منهم ان مرادمحسن باشا حضر الى «فيشى» ـ أثناء غيابى فى النمسا ـ وقابل فاروق .. ثم عاد الى مصر ..
لماذا حضر ..؟
ما هى ذى التفاصيل :

***

قلت : ان فاروق رمى برزمة من صحف مصر على المائدة أمامى ونحن فى القطار فى طريقنا الى«فيشى»وسألنى ما اذا كنت قرأت الكلام المكتوب فى جريدة «المصرى» ؟ ..
واننى ألقيت نظرة على جريدة «المصرى» فقرأت على صفحتها

الاولى ـ وبالبنط الكبير ـ عبارة فحواها انمصدرا رسمياكبيرا صرح لمندوبها بأن الوزارة قررت عدم اقامة حفلة دينية ..

وقد عد فاروق هذا الالحاح فى النشر تحرشا به وتحديا لسلطاته .. فانه ـ اولا ـ لم يطلب بصفة رسمية اقامة حفلة دينية ، ثم هو ـ ثانيا ـ قد تنازل عن فكرة اقامة هـذه الحفلة وأبلغ رئيس الحكومه خبرهذا التنازل ، وأبلغه فى نفس الوقت برنامج الحفلات التى تقام بمناسبة توليه سلطاته الدستورية، وليس فى هذا البرنامجذكر لاقامة حفلة دينية .. فعلى من اذن كان المصدر الكبير الرسمى الذى اشارت اليه جريدة «المصرى» لسان حال الوفد والحكومة .. على مـن كان يرد لتصريحـه المذكور ..؟

وما هى الجهة الرسمية التى كانت تقدمت بطلب رسـمى لاقامة حفلة دينية حتى تتخذ الوزارة قرارها هذا وتنشره فى صدر صحيفتها ـ بالبنط الكبير ـ ..

لم ترى كانت الوزارة النحاسية الوفدية تريد ان تعلن عن قوتها وشدة بأسها بهذا القرار فتوهم الناس ان هناك اصرارا من احدى الجهات على اقامة الحفلة الدينيه ، ولـكن لما كانت الوزارة هى وحدها التى تقر ما تريد وترفض ما لاتريد بدون مراجعة او تعقيب ـ فانها رأت ان تتخذ هذا القرار ..؟

هذا هو الذى فهمه فاروق ورجال حاشيته ..

وقامت الأزمـه .. وطار خبرها الى مصر .. واضـطربت الوزارة .

اضطربت ـ لأن النحاس باشا كان قد لاحظ هو وأصحابه بعد عودتهم من أوروبا ان الامور لاتسير ـ بالنسبة لهم ـ على مايرام ..فالازهر هائجمضطرب ، واحزاب المعارضة ـ الاحرار الدستوريون ، والحزب الوطنى ، وحزب الاتحاد . اذ لم يكن هناك يومئذ شىء اسمه الحزب السعدى ـ احزاب المعارضـة وخصوم الوفد يحركون خيوط الفتنة هنا وهناك ..

وصاحب السمو الامير محمـد على توفيق رئيس مجلـس الوصاية يصر على اقامة حفلة دينية وحفلة مبايعـة يقلد فيها

الملك فاروق سيف جده الأكبر محمد على ، وتتبع فى هذه الحفلة طقوس وتقاليد جديدة لم تعرف من قبل .
وقد تبين بعدئذ انه لايوجد سيف لمحمد على الكبير باقيا حتى اليوم !

واخيرا ذهب النحاس باشا وقابل الأمير محمد على توفيق وقال له انه لم يبق موجب لاستمرار الحديث في هذه الحفلة الدينية لان جلالة الملك لم يطلبها ولا يتمسك بها ، وانجلالته قد ابلغ الوزارة برنامج الاحتفال وليس فى هذا البرنامج شيء عن اقامة حفلة دينية ..
ولكن الأمير محمد على اصر مع ذلك على طلبه وأعلن انه حتى ولو كان الملك فاروق قد تنازل عن اقامه هذه الحفلة فان هذه المسالة تهم الاسرة المالكه كلها وان سموه بصفته الشخصية وبصفته نائبا عن افراد الاسرة يرى ان يسن هذا التقليد الجديد وان تقام حفلة دينية وحفلة مبايعة يتقلد فيها فاروق سيف جده الاكبر محمد على .

***

وكان موقف محمد على توفيق ـ رحمه‌الله ـ وعناده واصراره على برنامج معين يخالف البرنامج الذى وافق عليه فاروق وأبلغته انا للوزارة . هذا الموقف من جانب الامير رئيس مجلس الوصاية زاد فى سوء الحالة وتفاقم الازمة .
وكانت هناك صحف ـ غير وفدية ـ على اتصال بالامير ورجال دائرته .. وكانت الصحف المذكورة تؤكد للجمهور فى كل يوم ان هناك حفلة دينية سوف تقام شاءت الوزارة او لم تشأ !.
وتجمعت السحب في الافق السياسى ، وطال الاخذ والرد بين الصحف الوفدية .. والصحف غير الوفدية .

وفى هذا الجو ـ جو التوتر والشكوك ـ راحت السلطات تحسب ايام حفلات التولية وتحدد لكل حفلة تاريخها ويومها ، وهنا فقط عرفوا ان ايام الاحتفال الثلاثة اى ٢٩ و٣٠ و٣١ يولية تقع فى ايام الخميس والجمعة والسبت .
وابدى الامير محمد على توفيق رغبته فى ان يؤدى فاروق

صلاة الجمعة في ثاني يوم من ايام الحفـــلات في جامع الازهر الشريف وان يتلو شيخ الازهر دعاء خاصا ·· وابلغ فاروق هذا فوافق عليه ·

ولكن النحاس باشا رأى في هذه الصــلاة وفي هذا الدعاء الخاص رجوعا الى الحفلة الدينية عن طريق ملتو ملفوف ! ·· واعترض النحاس ورفض ·· رفـض ان يوافق عـلى ان يؤدي فاروق صلاة الجمعة في الازهر الشريف ·!

وقال فاروق ، وكان في فيشي :

ـ لم أكن وأنا تحت الوصاية استشير أحدا في امر المســجد الذي أؤدي فيه صــــلاة الجمعــة ، فهل يراد مني الآن وبعد أن أتولى سلطاتي كملك ان أســتأذن رئيس حكومتي في اختيار المسجد الذي أؤدي فيه هذه الصلاة ؟

ولكن الوزارة كانت ترى من جهتها أن تادية فاروق صلاة الجمعة في الازهر واستقبال شيخ الازهر وعلماء وشيوخ الازهر الشريف لفاروق ووقوفهم بعد انتهاء الصلاة ـ كما قيل يومئذ ـ لكي يتلوا دعاء خاصا ·· كانت الوزارة ترى في هــذا كله عودة الى الحفلة الدينية بشكل آخر وان فيه ايضـــا تشجيعا لحركة المصاخبين الثائرين على الحكومة وضربة تذل الوزارة وتنال منها وتضعفها امام المعارضة ·

***

تفاقمت الازمة ·· ودارت المخابرات بالتلغراف والتليفون والبريد بين الملك وحاشــيته في باريس وفيشي وبين مجلس الوصاية والوزراء في مصر ··

وتمسكت كل جهة برأيها ورفضت كل رأي سواه ··

واخيرا عرض مراد محسن باشا على مصطفى النحاس باشا أن يسافر الى فيشي لكي يعرض بنفسه على فاروق وجهة نظـر الوزارة · واكد للنحاس «باشا» انه مقتنع بوجهة نظر الحكومة وانه سوف يؤيدها عند فاروق ·

ووافق النحاس «باشا» ، وسافر مراد محسن باشا فعلا الى فيشي وقابل فاروق ·

وكان «المرحوم» مراد محسن باشا جارا لمصطفى النحاس فى مصر الجديدة ‥ وكانت هناك علاقة مودة بين الجارين ·

هذا اولا ‥ وثانيا : كان مراد محسن باشا ينافس حسنين باشا على السلطة وعلى المركز «الرجل الاول» فى القصر ‥ ولقد رأى فى هذه المهمة فرصة طيبة لان يكسب صداقة الوفد والحكومة واعترافهما بجميله ‥ ويكسب فى نفس الوقت ثقة فاروق ، وان يظهر حسنين امام الحكومة الوفدية بمظهر الرجل الذى يعجز عن اداء خدمة لها او تسوية ازمة تقوم بينها وبين الملك ‥ ويظهره امام فاروق بمظهر الرجل الذى لا «يسد» ولا ينفع فى الملمات ·

***

واستقبل فاروق مراد محسن باشا ‥ ورفض اول الامر ان تكون مسألة صلاته فى الازهر الشريف او فى اى مسجد آخر يختاره موضع حديث أو أخذ ورد لأنه يعد صلاته والمسجد الذى يؤديها فيه مسألة تخصه هو وحده دون ان يكون للوزارة أو غير الوزارة أية كلمة فى الموضوع ·

وكان المرحوم مراد محسن باشا لاتعوزه الكياسة واللباقة فقد قال على الفور انه يوافق صاحب الجلالة على هذا الرأى ، وان النحاس باشا نفسه يسلم تماما بوجهة نظر جلالة الملك المعظم ‥ بل ان حق «مولانا» فى اختيار المسجد الذى يؤدى فيه الصلاة لم يكن موضع بحث على الاطلاق وان النحاس «باشا» اول من يقول بحق جلالته فى هذا ، واول من يحترم ويحافظ على حقوق «مولانا» ‥ الى آخره ·

ولكن النحاس باشا يلتمس من جلالة الملك ان يقدر الظروف القائمة ودسائس خصومه وحملات صحف المعارضة وان يتفضل ويظهر عطفه السامى الكريم على رئيس وزرائه فلا يشمت فيه خصومه ، وهذه الشماتة لامحالة واقعة اذا تحقق صدق ماقالته صحف المعارضة وهو ان هذه الحفلة الدينية سوف تقام ولو رغم انف الوزارة ·!

وعاد مراد محسن باشا واكد لفاروق ان النحاس باشا يلتمس هذه المكرمة من جلالة الملك ·!!

وقال فاروق :

ـ النحاس باشا قال كده ؟ ٠٠ اذن اطلبه بالتليفون امامى وقل له هذا الرأى الذى اقنعته لى الآن ٠

وفعلا اتصل مراد محسن باشا بالتليفون من فندق الماجستيك فى فيشى بالنحاس باشا فى مصر ٠

وكان فاروق حاضرا ٠٠

واعاد مراد محسن بالتليفون على مصطفى النحاس حرفا بحرف كل حديثه الى فاروق ٠٠

وأمن النحاس «باشا» على اقوال مراد محسن باشا ودعا لصاحب الجلالة بالعز والتأييد ٠

وقال فاروق لمراد محسن :

ـ وهو كذلك ٠٠ ولكن قل للنحاس «باشا» اننى قبلت علشان خاطره هوه بس ٠٠!

وخرج مراد محسن فرحا مسرورا وعاد الى مصر ٠٠ عاد الى مصر ليبشر النحاس «باشا» ووزراءه بأنه نجح فى مهمته عند فاروق ٠

ثم يروى فى داره ، وبين اقاربه واصهاره ـ وجميعهم من اصدقاء السيدة لطفيه زوجة حسنين باشا ـ يروى لهم ما رآه وما سمعه فى فيشى ٠

وكان بين ما رآه ، وسمعه شيء كثير وكلام اكثر عن الملكة نازلى وأحمد حسنين وكيف توثقت العلاقة بينهما ٠٠ وكيف ٠٠ وكيف ٠٠ الى آخر ماهناك ٠٠ وكان طبيعيا ان تسمع زوجة حسنين بهذه الحكايات والتفاصيل ٠

واشتعلت نيران الغيرة فى صدر الزوجة «المهجورة» المتروكة فى مصر ٠٠ خصوصا وكانت ـ رحمها الله ـ قد سمعت ان زوجة القائمقام عمر فتحى قد لحقت بزوجها فى لندن ٠

وان زوجة يوزباشى احمد كامل قد لحقت بزوجها فى فرنسا ٠٠

وان زوجة عبد المنعم رأفت ، والذى كان يتولى حسابات الرحلة قد لحقت بزوجها فى فيشى ٠

وهكذا ٠٠ كل من اراد من افراد الحاشية ان يستدعى زوجته ٠٠ قد استدعاها دون ان يعترض احد ٠٠

ماعدا «هى» .. ومع ذلك فانها اكبر مقاما من زوجات رجال الحاشية .. وزوجها ـ احمد حسنين ـ اكبر مقاما ونفوذا من جميع افراد الحاشية .

اذن لابد ان يكون الاعتراض على سفرها اما من زوجها نفسه .. او من الملكه نازلى .. وعلى كل حال فان نازلى صبرى هى السبب ..

وانطلقت السيدة لطفية يسرى كريمة الاميرة شويكار تسب وتشتم وتطلق لسانها فى كل مجلس وكل منتدى ضد صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر ، وضد ابنها فاروق ! وتروى عن نازلى او «العجوز المتصابية» ـ كما اسمتها ـ تروى عنها القصص والحكايات .

وهكذا تطور الموقف وتحول الى «الوضع الصعب او الوضع المستحيل » كما وصفه حسنين باشا بعد ذلك بنحو شهرين .

***

وبعد عودتى من النمسا الى فيشى بيومين اثنين تحدد موعد سفرنا فى اليوم التالى الى مارسيليا .. ومنها بالباخرة «النيل» عائدين الى مصر .

واراد فاروق ، الذى كان يتضايق من حراسة البوليس الفرنسى له وتتبعه لكل خطواته وتنقلاته .. اراد ان ينتقم من رجال البوليس هؤلاء وان يسخر منهم ويشهر بهم ، فذهب الى مطبخ فندق الماجستيك واستعار من الطهاة عددا من الاوانى النحاسية مثل «الكسارولات» وماشابه .. وربطها جميعا بطرف حبل ثم طلب من خادميه الايطاليين بترو ، وجارو ، ان يتسللا الى السيارة الصغيرة التى كان يركبها البوليس الفرنسى ويتبع فيها فاروق . وان يربطا الطرف الثانى للحبل فى مؤخرة السيارة من غير أن يشعر بهم البوليس .

وكانت سيارة البوليس واقفة على مقربة من الفندق بينما كان رجال البوليس واقفين بباب الفندق .. حتى اذا خرج فاروق اسرعوا الى سيارتهم الصغيرة وتبعوه !!

ونجح بترو ، وجارو فى مهمتهما . وعادا الى الفندق وابلغا فاروق .

واسرع فاروق بالخروج ·· وقفز في سيارته واطلق لها العنان ، وهرول رجال البوليس الى سيارتهم ووثبوا الى مقاعدها ·· واطلقوا لها العنان وراء سيارة فاروق ·

ومضى فاروق بسيارته يلف ويدور حول الميدان الكبير القائمة حوله متاجر فيشي وحاناتها ودور السينما ·· والمزدحم دائما بالسائرين ·

مضى يدور ويلف ·· ووراءه سيارة البوليس تجر وراءها الاواني النحاسيه على بلاط الميدان ··!

وللقارىء ان يتصور الاصوات التي كانت تحدثها هذه الاواني النحاسية عند ارتطامها بالاسفلت والبلاط !

ووقف المارة في الطرق وفي الميدان ·· يضحكون ، ويصفرون ·· ويسخرون من رجال البوليس ·

عاد فاروق الى الفندق ·· ووراءه سيارة رجال البوليس ونزل رئيس قوة بوليس الحراسة من السيارة وفك الحبل الذي كان يربط الأواني النحاسية الى مؤخر السيارة ورمى بالاواني امام باب الفندق ·

واخرج الرجل منديلا كبيرا من جيبه مسح به العرق الذي كان يتصبب من وجهه وقال ــ دون ان يوجه كلامه الى احد معين ــ قال بالفرنسية مامعناه :

ــ ده لعب عيال ·· والذي فعل فينا هذه الفعلة يستحق ان يضرب «علقة» على ··؟

وذكر الرجل اسم جزء الجسم الذي يؤدب فيه الصغار ··!

***

وفي اليوم التالي غادرنا فيشي الى مارسيليا ·

وكانت الباخرة «النيل» مزينة بالاعلام المصرية ·· وقد وقف عند اول درجات السلم المرحوم مدحت يكن باشا ، ودكتور فؤاد سلطان ، وكان بنك مصر وشركاته قد اوفدهما لكي يكونا في خدمة فاروق على ظهر الباخرة·

وسمعنا ــ وفرحنا ــ ان المغفور له طلعت حرب باشا ارسل كذلك عددا من الطهاة المشهورين بطهي الالوان الشرقية ·· ومعهم «العاصي» المشهور بعمل الطعمية والفول المدمس اكراما لفاروق ·!

وتحركت «النيل» في المساء واذكر من حديث للمرحوم حسنين باشا أثناء الايام الاربعة التى أمضيناها على ظهر الباخرة « النيل » ·· اذكر حديثا قال فيه ماخلاصته ومعناه :

لقد كنا في اوروبا محيطين بالملك ·· وكان هو يعمل برأينا ويصغي لمشورتنا ·· ولكننا نعود الآن الى مصر ·· وأولاد الحرام هناك كثيرون ·· ولن نستطيع ان «نحلق» على «مولانا» كما كنا نفعل في اوروبا ·· ولن يمكننا ان نمنعه من الاتصال بهذا وذاك ·· كذلك لن نستطيع ان نمنع اولاد الحرام هؤلاء من مقابلته ··· وأرجو منك ، وقد اصبحت واحدا منا «كذا» ان تساعدني عند اصحابك الوفديين وان تقنعهم بأن فاروق غير فؤاد ·· وان سياسة الشدة والعنف مع فاروق لاتنفع ، لانه عنيد وذو كبرياء ، وقد لمست انت هذا بنفسك ·· !

وفي حديث آخر قال رحمه الله :

ـ قل لاصحابك الوفديين ! «وكانت هذه عبارته دائما كلما تحدث عن الوفديين!» انه ليس في مصلحتهم ولا في مصلحة البلد ان يسير «مولانا» في نفس الطريق الذى سار فيه ابوه الملك فؤاد ·· وكن واثقا انه اذا اضطر «مولانا» ان يقيل الوزاره مرة واحدة ·· ·· أو يحل البرلمان مره واحده · فانه سوف «يستحلى» ـ وهذا تعبيره باللفظ !ـ سوف «يستحلى» الحكايه ويمشى فيها ·· على طول !·· ونصيحتى ان يمشوا معه بالنوق واللين ·· وليذكروا دائما ان الاولاد الحرام كثيرون وان الطامعين في السلطة والوزارة كثيرون ·

***

ووصلنا الاسكندرية عند الفجر يوم الاحد ٢٥ يوليه عام ١٩٣٧ ·

وكانت مئات الزوارق تملأ ميناء الاسكندرية ·· وفيها فرق موسيقى وطبل وزمر وهتافات ·· ودعوات تتصاعد بحياة فاروق ·· والملك المحبوب ··

كان الشعب يومئذ يعلق آماله على الملك الغلام ·· ولكن ان هى الا سنوات تقل عن عدد اصابع اليدين حتى استحال الحب

الى نقمه .. والدعوات الطيبات الى لعنات يصبها الشعب على راس الفاجر الطاغية فاروق ..!

عاد فاروق الى مصر بعد رحلته التى استغرقت نحو خمسة شهور والتى تنقل فيها بين سويسرا وفرنسا وانجلترا ، واستقبله الشعب بزينات الفرح والموسيقى والهتاف والدعاء « للملك المحبوب » ! .

وعاد حسنين باشا ليجد النار مشبوبة فى بيت الزوجية . والألغام مهياة للانفجار .. وزوجته فى ثورة عاصفة مجنونة ضد الملكة نازلى ، وضد كل من يمت اليها بصلة او بسبب .. حتى الملك نفسه .. فاروق!

ثم سمع حسنين من بعض اصدقائه ومن بعض رجال القصر الذين كانوا اقاموا فى مصر ولم يصحبوا فاروق فى رحلته الى اوروبا .. سمع من هؤلاء وهؤلاء ان زوجته السيدة لطفية قالت : «كذا وكذا» عن جلالة الملكة . وقالت : «كيت وكيت» عن جلالة الملك .. وكيف انها ــ زوجة حسنين باشا ــ تحدثت فى مجلس خاص فى دار فلان باشا .. وقصر فلانة هانم .. واتهمت جلالة الملكة نازلى بأنها «ماشيه» مع حسنين ، وان الملك فاروق مغفل .. مثل ابيه الملك فؤاد ..

سمع حسنين بهذا . ثم سمع بما هو ادهى وأخطر .

واليك التفاصيل :

كانت زوجته السيدة لطفية ــ رحمها الله ــ تزور ذات يوم سيدة من الأسرة اليكنية ، وكانت ــ كعادتها فى تلك الايام ــ تنتهز كل فرصة لكى تطعن فى الملكة نازلى وفى سلوكها وتروى عنها القصص والحكايات .. ومنها قصة زواجها بالملك احمد فؤاد .. وكيف هربت نازلى .. وكيف «ضبطوها» الى آخره .. والاشاعات التى احاطت بالزواج المذكور .. ثم الاشاعات التى انتشرت بعد مولد فاروق .. الى آخره ..

***

وهنا اشترك فى الحديث محام شاب وقال ان اديبا اسمه بيرم التونسى كان سجل هذه الاشاعات فى ازجال رددتها

شوارع الاسكندرية والقاهرة وتغنت بها ابان ثورة عام ١٩١٩، وان الاديب المذكور قد نفى خارج البلاد بسبب هذه الازجال.

وكانت لطفية تقفز فرحا .. وطلبت من المحامى الشاب ـ والحت فى الرجاء ـ ان يحصل لها على نصوص الازجال المذكورة ..

واستطاع المحامى بعد جهد ان يحصل على ازجال الاديب الشاعر بيرم التونسى .

وطبعت لطفية هانم بضعة آلاف نسخة من الازجال المذكورة فى شكل نشرة صغيرة وعملت على توزيعها يوم عودة فاروق وامه نازلى من رحلتهما الى اوروبا ..

ولكن هذه النشرة ، او هذه الازجال لم تحدث اثرا او ضجة .. لان الذين وقعت فى ايديهم اما انهم لم يفهموا الكنايات ، والتلميحات التى جاءت فيها .. واما انهم فهموا ، ولكنهم مزقوها سخطا واشمئزازا لان فاروق ـ كما قلت ـ كان يومئذ «ملكا محبوبا» ! ولان امه الملكة نازلى لم تكن قد خرجت بعد على المكشوف ، او المألوف . وكانت حكاياتها او قصصها لاتزال محصورة فى نطاق ضيق محدود .. ولم تخرج بعد الى الشوارع لتصبح مضغة فى الأفواه وحديث الناس .

سمع حسنين بهذا كله .. وقبل ان امضى فى سياق الحديث ارى ـ من باب التسجيل ـ ان اقف عند ازجال الاستاذ الاديب بيرم التونسى لكى اعطى القراء فكرة عن انفعالات الشعب فى ثورة عام ١٩١٩ والنظرة التى كان ينظر بها الى العرش وصاحبه السلطان احمد فؤاد .. وابنه وولى عهده فاروق .

***

وكانت نظرة الشعب نظرة زراية وسخط واستخفاف ثم كانت سلسلة «المسكنات والمرطبات والمهدئات» .. من دستور، وبرلمان ، وتمثيل سياسى ، ومقاعد وزارية ومقاعد نيابية . ووظائف سياسية ودبلوماسية .. ازدحم رجالات مصر حولها وتكالبوا عليها ..!

وهدأت ثورة الغضب .. واستكان الشعب واستطاع احمد

فؤاد ان يملك ويحكم سبعة عشر عاما ·· وان يصبح ابنه ـ الذى هزأه الشاعر وتغنى ساخرا بمولده يوم ولد ـ يصبح ملكا محبوبا يدعو له الشعب بالعز والتاييد ··

واتصلت بالاستاذ الاديب بيرم التونسي وسألته ان يبعث الى بهذه الازجال مع كلمة منه عن الظروف التى كتبت فيها ··

وقال الاستاذ بيرم انه يذكر منها زجلين اثنين : الاول عن زواج احمد فؤاد ونازلى ·· والآخر عن مولد فاروق وما احاط بالحادثين من شكوك واشاعات ·

وتفضل وكتب الى يقول :

أخى ···

طلبت الى ان احدثك عن ثورة عام ١٩١٩ ، كانت ياولدى ثورة من النوع الذى لايبقى ولا يذر ·· ولقد تركها الانجليز تتأجج وتتآكل الى آن يخمد اوارها ثم تعالج بالطرق الناعمة ··

ايقن الشعب ان امانيه الوطنية اصبحت فى يديه ، وقال الانجليز : «نعم ·· وها هو ذا سلطانكم المستقل وبرلمانكم وما عليكم الا ارسال السفراء والقناصل الى كافة نواحى العالم» ·

وكانت جريدة «المقطم» لسان القائد العام الانجليزى بذات تتحدث عن الامير احمد فؤاد الذى سوف يسند اليه منصب خطير فى الدولة المصرية ··

وتساءل الناس عن الأمير فؤاد ، لان رجال ذلك البيت وامراته لم يكونوا يومئذ موضوعا تخوض فيه الصحف الا بقدر معلوم ··

فقال القائلون :

ـ آه ·· احمد فؤاد المقامر الذى لاترحب به اندية القمار لانه مفلس ولا يسدد ديون القمار ··

ـ احمد فؤاد الذى يركب «الحنطور» ولا يدفع للحوذى اجرته !··

ـ احمد فؤاد الذى يفتح منازل اصدقائه ليلا ويطلب الطعام !··

***

وذات يوم مر موكب عظمة السلطان احمد فؤاد من شارع رأس التين ، وقد جلس في مركبته التي تجرها ستة من الجياد، وفي شمائل وزينة القرون الوسطى ..

فلما مضى الموكب اخذ الشعب السكندري يقول :

ـ عامل زي قبانية مينا البصل .. ده اصله شيخ زامة !..

ـ شنباته زي « شنكل » الجزار ..

الى آخره ..

***

وادرك العارفون ان الحركة الوطنية قد تحولت الى «زفة» عريسها السلطان احمد فؤاد وموائدها كراسي البرلمان ووظائف السلك السياسي .

ثم اذاعت جريدة «المقطم» عزم السلطان «التقي» على الزواج ودقت طبول العرس بين ضجيج المعارك القائمة بين البوليس بقيادة ضباطه الانجليز وبين جماعات الشعب في كل عاصمة وقرية ..

واخذ الناس يتحدثون عن العروس «نازلي صبري» وأسرتها وجدها الاول .. وكيف حبست وكيف هربت .. واختلطت احاديث الناس عن زواج السلطان بأحاديثهم عن بطولة البلاد التي قامت فيها الثورة .

ماأشجع طنطا .. وماأعظم وطنية دمنهور ..ولله در اسيوط ومدن الصعيد .

ولم اسمع من يقول : «لله در الانفوشي» وهو مسقط رأسي في حي رأس التين .. وفيه يعيش منذ خمسة آلاف عام ارذل انواع البشر كما قال علماء الشعوب .

ولم اكن من هواة تحطيم المصابيح او اشعال النار في الترام لاني لا احب ان اموت «فطيس» برصاصة عسكري .

ولكنني اردت ان اشـــارك الثورة .. وطبقت فرخ الورق « جاير الجاير » على ثمانية اوجه وسميته : « المسلة » .. ولما كان بدون رخصة كتبت في الرأس : «المسلة .. لا جريدة ،ولا مجلة ! »

ولكن ماذا اكتب في « المسلة » وانا لا اعرف في الدساتير او في السياسة ؟! .

سلكت طريقة «فتوات الانفوشي» عندما يقررون هدم العرس .. يكفى ان تحطم «الكلوب» او تضع لغما تحت « الموتور » الذى يدير المصنع .. لكى يمسى العرس في ظلام دامس .. ويتعطل المصنع كله عن العمل

و «الموتور» هو السلطان احمد فؤاد .. والمناسبة حاضرة وهى قصة عنتر وما يقال عنها .. وعن ظروف زواجه بها .

– ومن هنا كانت افتتاحية « المسله » .

– وهى على وزن اغنية سورية كانت جاءت حديثا الى مصر وانتشرت فيها . ومطلعها :

مرمر زماني .. يازماني مرمر .. قلبى تولع فى هواك يا لاسمر .

ولها نغمة عذبة مرسلة فلم تحتج انشودة « البامية السلطانى » الى ملحن او موسيقار .. وها هى ذى الانشودة .

البنت ماشيه من زمان تتمخطر
والغفلة زارع فى الديوان قرع اخضر
يا راكب الفيتون وقلبك حامى
اسبق على القبة وطير قدامى
تلقى العروسه شبه محمل شامى
وجوزها يشبه فى الشوارب عنتر

***

وحط زهر الفل فوقها وفوقك
وهات لها الشبشب يكون على ذوقك
ونزل « النونو » القديم من طوقك
يطلع فى طوعك لا الولد يتكبر

***

العطفة من قبل النظام مفتوحة
والوزة من قبل الفرح مدبوحة

الى آخره .. الى آخره .

والاشارات والتلميحات مفهومة .. فالبنت هى نازلى والغفلة هو احمد فؤاد وكانت شواربه مبرومة مدببة الأطراف !

وأما « النونو » القديم ، والعطفة . والوزة . . فأمرها متروك لذكاء القراء .

***

اما الزجل الثاني الذى نظمه بيرم التونسى بعد مولد فاروق .. فقد جاء فيه :

البامية فى البستان تهز القرون
وجنبها القرع الملوكى اللطيف
والديدبان يرمح يجيب الزبون
وربة الجارية تجيب الرغيف
شوف الميراث حصل ولاد البطون
ودخل الاغراب « فاميلية » على

***

يا باديشاه دا انت ابنك ظهر
ربك يبارك لك فى عمر الغلام
نزل «يلعلط» تحت برج القمر
ياخسارة بس الشهر كان مش تمام

***

وكان احمد فؤاد قبل اعتلائه العرش يقيم فى قصر اسمه قصر البستان .

و « فاميلية » على .. يعنى أسرة محمد على ..

و « باديشاه » كلمة فارسية او تركية ومعناها سلطان ! ..

والشهر كان مش تمام ليست فى حاجة الى تفسير ، ومعناها ان فاروق ولد قبل مضى تسعة اشهر على الزواج !

والقى البوليس القبض على الاستاذ بيرم التونسى ووضعوه على ظهر باخرة مسافرة الى فرنسا .. وبقى بيرم فى المنفى نحو عشرين عاما .

***

وهذه هى بعض لأزجال ثورة عام ١٩١٩ ، وقد طارت من

الاسكندرية الى القاهرة ٠٠ وتغنى بها الشعب وقتئذ فى الشوارع والمظاهرات ٠

وهــذه هى الازجال التى طبعتها ـ المرحـومة لطفيـه ـ زوجـة حســنين ووزعتهـا يوم عـودة فاروق وأمـه الملـكة نازلى ٠٠

سمع حسنين باشا بهذا ٠٠ ثم لم يلبث ان جاءه الخبر بأن الملكة نازلى قد سمعت هى ايضا بمطاعن السيدة لطفية ضدها ٠٠

وبالنشرات التى طبعتها ووزعتها وفيها ما فيها من تعريض بها وبزوجها الملك احمد فؤاد وابنها الملك فاروق ٠٠ وان الملـكة نازلى ـ ومن غير ان تقول شيئا لحسنين ـ ذهبت وابلغت الأمر لابنها فاروق ٠

وهكذا تعجلت الملكة نازلى سير الامور ٠٠ ووضعت حسنين فى مازق حرج ، وفرضت عليه ان يختار بين احد أمرين :

اما أن يختارها هى ويختار معها منصبه ونفوذه فى القصر الى جانب الملك ٠٠ واما ان يختار زوجتـه وشريكة حياته وأم أولاده ؟

ثم لم يلبث ان استدعاه فاروق ليقول له :

ـ مراتك اتجننت ياحسنين ؟ ٠٠ شوف لك طريقة معاها ٠٠ وبسرعة !

وذهب حسنين الى زوجتـه وقال لها انها ارتكبت جـريمة العيب فى الذات الملكية ٠٠ وانها عابت فى ذات الملك احمـد فؤاد ٠٠ وعابت فى ذات الملكة نازلى ٠٠ وعابت فى ذات الملك فاروق ٠٠ وان اقل مايجب عليها ان تفعله الآن انقاذا للموقف ـ وللمظاهر ـ هو أن تلتمس مقابلة الملكة نازلى وتنكر أمامها كل ماهو منسوب اليها ٠٠ وتؤكد اخلاصها وولاءها لها ولجلالة الملك ٠٠

ولكن لطفية لم تتركه يتم حديثه ٠٠ بل صاحت فيه :

ـ انا ٠٠٠ انا أروح لنازلى ؟

واندفعت تسب وتشتم ٠٠ فى نازلى وتقول :

ـ واذا كنت عايزنى اروح لها ٠٠ انا مستعدة اروح ٠٠ بس راح اقول لها كل الكلام اللى قلته عنها فى غيابها ٠٠

وتركها حسنين وخرج ليفكر في هذا الوضع الصعب او الوضع المستحيل الذى يجد نفسه فيه ..

رائد الملك .. ثم أمينه الاول ..

ولكن زوجته تطعن فى ذات الملك .. وفى ذات أمه الملكة ..

احتفاظه بزوجته ..وبمنصبه في القصر ..امر مستحيل..

ليس أمامه الا ان يضحى بزوجته او بمنصبه .

وضحى بزوجته ..

وأوقع يمين الطلاق .. واحتفظ بمنصبه .!

***

وكثير من اصدقاء حسنين – وانا منهم – لم يسمعوا ولم يعرفوا الا بعد وقوع الطلاق بعدة اسابيع ..

وكان سماعي بالخبر من حسنين نفسه ، فقد ذهبت لزيارته ذات يوم .. وجلسنا نتحدث فى شتى الامور .. وسألنى فجأة :

– هل تذكر « البارور » الياقوت الذى اشتريته فى باريس هدية لزوجتى ؟

و « البارور » طقم مكون من حلق واسورة وخاتم .

قلت : نعم ..

قال : وقد دفعت فيه ثمانمائة جنيه .. استدنتها لاننى – كما تعرف – فقير ..

وحنيت رأسي موافقا ..

ومضى حسنين يقول بمرارة :

– هل تظن ان الذى يستدين ثمانمائة جنيه لكى يشترى بها من باريس هدية لزوجته .. يعود الى مصر وفى نيته ان يطلق زوجته .. ؟ ولكن هذا ما يقوله اولاد الحلال ؟

وسألته :

– ومن الذى طلق زوجته ؟ .. أنت ؟

قال : نعم ..

ولاول مرة منذ عرفت احمد حسنين .. رأيت في عينيه دمعة حائرة تترقرق..

وبعد لحظات استرد هدوءه ، واستأنف حديثه . وقص على كثيرا من التفاصيل التى ذكرت بعضها فيما تقدم ، ومنهاانه لما قدم لزوجته لطفية هدية «طقم الياقوت» رمت بها الى الارض وصاحت فى وجهه قائلة :

ـ جايب لى هدية من نازلى ؟ انا عارفه انك فقير .. يبقى مين اللى دفع التمن واشتراها ؟ .. لازم نازلى ! عايزة تشترينى وتشترى سكوتى ؟.. والا انت عايز تعمينى بالهدية وتفهمنى انك لسه بتحبنى ؟

ومشهد آخر من مشاهد الغيرة المجنونة ..

***

وقال حسنين بين ماقاله :

ـ كتر خيره مراد باشا عمل الواجب وزيادة ! ..

قالها بسخرية ومرارة ..

وفهمت منه ان مراد محسن باشا والروايات والحكايات التى نقلها من «فيشى» الى مصر وحرص على ان يرويها امام اصدقاء وصديقات لطفية لكى تبلغها .. هذه الحكايات والروايات هى التى «شعللت» الناروأخرجت لطفية عن صوابها فانطلق لسانها بالسب والطعن والقذف فى حق الملكة .. والملك ..

ولقد قلت فيما سبق ان مراد محسن باشا كان ينافس حسنين على مركز الرجل الاول فى القصر .. وكان حسنين يعرف هذا .. وكان بين الرجلين منافسة وغيرة فى اكثر من ميدان واحد ..

ومن هنا كان طبيعيا ان يعتقد حسنين ان مراد محسن قد عمل عامدا متعمدا على « شعللة » النار فى صدر زوجته لطفية ..

وكانت آخر عبارة قالها فى هذا الموضوع ، وعلى شفتيه ابتسامة باهتة .. قال :

ـ وكان الرسول فى مفاوضات الطلاق بينى وبين لطفية هو الأستاذ ابراهيم رشيد .

والاستاذ ابراهيم رشيد المحامى هو صهر المرحوم مراد محسن باشا ..

وهكذا ٠٠ طلق حسنين باشا زوجته السيدة لطفية ابنة الأميرة شويكار وسيف الله يسرى باشا ٠٠ طلقها والدموع فى عينيه ٠٠ بعد ان أطلقت لسانها وقذفت فى حق الملك والملكة ٠٠ او ــ على حد قوله رحمه الله ــ عابت فى ذوات منوك ثلاثة ٠

ثم رفضت ان تنكر التهمة وتنفى مانسب اليها ٠٠ورفضت أن تعتذر ٠

ورأى حسنين انه اصبح فى وضع صعب ، بل مستحيل ٠٠ وانه لايمكنه ان يحتفظ بزوجته ويحتفظ معها فى نفس الوقت بمنصبه فى القصر ٠٠

اما الزوجة ، واما الوظيفة والمنصب وما اليهما من جاه وسلطان ٠٠ ولقد اختار الوظيفة ٠

والذين يعرفون حسنين وظروفه لايستطيعون ان يقسوا عليه بسبب هذا الاختيار ٠

ماذا كان يفعل لو انه آثر الاحتفاظ بزوجته وأم اولاده وضحى بالوظيفة والمنصب ؟

كيف يعيش ؟ ومن اين ينفق ؟ لقد كان حسنين طوال عمره فقيرا ، بل ومدينا لايملك سوى مرتبه من وظيفته ٠٠ وكان جزء من مرتبه يذهب الى سداد الديون ٠

وكانت زوجته السيدة لطفية .فقيرة مثله لأن امها الاميرة شويكار لم تكن قدورثت بعد ملايين شقيقها الامير سيف الدين بل الذى اعرفه ان.الاميرة شويكار كانت فى ذلك الوقت فقيرة تعيش على الاعانة او المرتب الشهرى الذى يدفع لها بوصفها احدى أميرات البيت المالك.٠٠ وكانت كثيرا ماتلجأ الى الحكومة تطلب منها النجدة العاجلة فى ازمة مالية طارئة ٠٠ ولقدرأيتها فى محطة باريس فى.ربيع نفس العام ١٩٣٧ ، وقد جاءت هى وزوجها الهامى حسين ليودعا النحاس «باشا» والسيدة حرمه عند سفرهما ٠٠ ورأيت شويكار الاميرة.حفيدة محمد على تنحنى فوق يد مصطفى النحاس ٠٠ وفوق يد السيدة حرمه مودعة محيية ! ذلك.لانها ــ كما سمعت يومئذ ــ كانت فى حاجة ملحة الى معونة مالية سريعة من الحكومة ٠٠ وكان حسنين بعد هذا

او ذاك قد اعتاد الحياة السهلة حياه الترف والدعة في القصور الملكية وهى التى كانت من حقه بحكم منصبه فى القصر ٠٠ فكيف يتخلى عنها او ينسحب ويستقيل منها ليواجه المستقبل المجهول وهو الفقير الغارق فى الديون !؟

ولقد تساءل بعض اصدقاء حسنين ـ وانا منهم ـ لماذا لم يذهب حسنين الى فاروق ويطلب ـ او بلغة العهد ـ «يلتمس» منه اعادته الى السلك السياسى الذى كان نقل منه الى منصبه فى السراى فى عهد الملك فؤاد !٠٠ وكانت درجته ومرتبه يؤهلانه يومئذ لمنصب وزير مفوض من الدرجة الاولى ٠٠

وهكذا يخرج حسنين من مصر ، وتخرج معه زوجته لطفية المغضوب عليها ؟٠

واذن لاستطاع حسنين ان يحتفظ بزوجته وان يحتفظ معها بوظيفته ومصدر رزقه الوحيد !

ولكن هل كانت الملكة نازلى ، وابنها الملك فاروق يرضيان بهذا الحل او يكتفيان بهذه الترضية ٠٠ وهى ابعاد السيدة لطفية عن مصر ؟ ٠٠

ربما كان الملك فاروق قد قبل ٠٠ اما نازلى فمن المؤكد قطعا انها كانت ترفض ٠٠ ولا اقل من الطلاق ٠

والى هنا وقد حاولت ان انصف حسنين ٠٠ واسجل ماكان لفقره وديونه من وزن واثر فى قراره ٠

ولكننى مطالب كذلك بانصاف الحقيقة والمنطق ٠٠والحقيقة تقول ان حسنين كان ذا مطامع واسعة ، وانه كان رسم سياسة لتحقيقها ، وان من اسس هذه السياسة بقاءه فى القصر الى جانب صاحب العرش ٠٠ وسيطرته فى نفس الوقت على الملكة أم الملك وصاحبة النفوذ والاحترام يومئذ عند ابنها الملك ٠٠

كيف اذن يغادر مصر ، والقصر والملك والملكة ويرضى أن يذهب الى الخارج سفيرا او وزيرا مفوضا لبلاده ؟ ٠

وهو الذى كان حريصا من اجل تحقيق مطامعه على البقاء فى مصر وفى القصر بالذات حيث يسهل عليه وضع اصبعه فى اى وقت على نبض الحوادث ومتابعة سير الامور وانتهاز الفرص كلما لاحت فرصة سانحة !؟

هذا كله .. تقوله الحقيقة . وهنا يقول المنطق انحسنين نفسه كان يرفضمغادرة مصر والقصر الى الخارج لو ان اقتراحا بهذا المعنى كان عرض عليه !

***

وهكذا .. وكيفما قلبت الامر على اى وجه فانك تصل الى هذه النتيجة وهى ان حسنين لم يكن امامه سوى ان يطلق زوجته ..

وقد فعل وفى حلقه غصة وفى عينيه دمعة حائرة ! لقد كان يحب زوجته شريكة حياته وام اولاده ..

ولكن حبه لمطامعه كان اكبر واعمق .. ولقد كان حسنين ـ كما سبق ان قلت ـ يلبى نداء العقل ويصم اذنيه عن صراخ القلب والعاطفة مهما كانت الظروف .. وكان عقله حليف مطامعه ..

***

وانتقل الآن الى مشهد جديد فى هذه المسرحية ..

الآن وقد طلق زوجته .. واصبح حرا طليقا .. هل تراه ذهب واخذ الملكه نازلى بين ذراعيه .. او تركها تأخذه بين ذراعيها ؟

لم تكن هذه سياسة احمد حسنين .. حسنين العالم العليم بطبائع النساء ، وخصوصا من تجاوزت منهن مثل الملكة نازلى سن الشباب .. ومن كانت لها ـ مثل نازلى ـ اهواء ونزوات ! .. جارية رقيقة اسيرة هوى فى المساء وملكة مستعلية متكبرة فى الصباح ..

تعتصر الثمرة .. وتلفظ نواها .. وترشف الخمر .. وتكسر القدح .. امرأة تسير على هواها .. وهواها الا تحفظ عهد هوى ..

وكان حسنين يعرف هذا ويقيم له كل وزن فى خططه وحسابه ..

***

وهنا اترك الحديث لمراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية ..

وتقريرا للواقع احب أن اقول ان حديث المرحوم مراد باشا لم يكن معى ، بل كان مع شخص موثوق به ولست في حل من ذكر اسمه لأنه لا يريد ان يذكر اسمه في هذه القصة ..

تحدث مراد محسن باشا في يوم الجمعة ٥ يولية عام ١٩٤٠ الى الشخص الموثوق به المذكور وعاد بحديثه نحو ثلاث سنوات الى الوراء .. وهذا الحديث مسجل مكتوب ــ حرفا بحرف ــ كما افضى به صاحبه .

قال مراد محسن باشا :

ــ ان حسنين باشا اخطر رجل فى مصر ، وهو ممثل يجيد التمثيل خيرا من يوسف وهبى ، وانا لا انسى يوم جاءتنى الملكة نازلى تقول : انها تحب حسنين ولا تستطيع الحياة بدونه .. وانها تعسة لأن حسنين صارحها بأنه لا يستطيع ان يقربها لانه لا يحب الحرام .. ثم قالت الملكة نازلى انها كانت اوفدت الى حسنين احدى وصيفاتها لتسأله عن سر بروده مع صاحبة الجلالة ؟ .. فقال لها ! انه يتعذب وانه يمسك بعواطفه لأنه يحبها ــ اى يحب الملكة نازلى ــ ولكنه لا يستطيع ان يفعل شيئا يغضب الله .. وانطلقت الملكة نازلى فى شكواها لمراد محسن باشا تقول :

ــ يعنى اعمل ايه انا ؟ .. لا هو يسمح لى ان اعرف رجلا سواه .. ولا هو يريد ان « ياخذنى ! » لا عاوز يرحم ولا يخلى رحمة ربنا تنزل ! « واستغفر الله للمرأة الآثمة » ..

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول :

ــ ولقد دهشت من هذا التصرف من حسنين ، فانا اعرفه جيدا واعرف انه فى حياته الخاصة وسلوكه الشخصى ليس شيخ الازهر ! ولكن حسنين كان يمثل دورا .. وكانت النتيجة ان ازداد وجد الملكة نازلى وتضاعف هواها وحبها له واصبحت تعتقد انه رجل غريب .. رجل يجد ملكة بين يديه ويرفض ان يقربها !

وذات يوم قالت له :

ــ انا اعطيك انذارا نهائيا ، اما ان تعاملنى كأمرأة ، واما سأقطع كل علاقة بيننا واصبح حرة افعل ما اشاء .

واجاب حسنين ـ وهو يتظاهر بالبكاء ـ انه لا يستطيع ان يقربها الا اذا تزوجها على شرع الله وسنة رسوله ·· ثم اسرع يقول :

ـ وغير معقول ان اتزوج الملكة ··

وهنا صاحت الملكة نازلى :

ـ طظ فى لقب الملكة !

ولكن حسنين قال :

ـ معنى هذا ان جلالة الملك سـيطردنى وانا افقر من ان استطيع العيش على معاشى لأن الديون تأخذ جانبا كبيرا منه ··

قالت الملكة نازلى :

ـ انا مستعدة لان اضع ثروتى كلها بين يديك ·

قال :

ـ ولكننى لا استطيع ان اعيش على حساب زوجتى وسـوف اشعر بمرارة انك دفعت لى ثمن هذا الزواج ··

وصاحت هى :

ـ يعنى عايزنى اعمل ايه ؟ زوجة ·· لأ ! ·· رفيقة لأ ! ·· عاوزنى ابقى ايه ؟! ··

قال حسنين :

ـ عاوز ملكة ! ··

ـقالت :

ـ يعنى قطعة جماد ! ·· طوب ·· حجارة ؟ ·· لا يا سيدى ·· انا بنى آدم ·· انا دم ولحم ·· انا امرأة ، انا حرمت كل حياتى من الحياة ·· عاوزه اعيش ·· سيبنى اعيش ··

قال حسنين :

ـ انا خايف على سمعتك وسـمعة السراى ، والا لتركتك تفعلين ما تشائين ··

وهنا انفجرت قائلة :

ـ طيب ! ·· سابهدل سمعة السراى ! ·· انا اخذت ايه من السرايات ·· غير المرض والبؤس والشـقاء ! ·· انا عشت تمنتاشر سنة فى ثلاجة ··

ولكن حسنين اصر امامها على انه يخشى الله ولا يستطيع ان يفعل شيئا يغضب الله ! ..
وهنا قالت الملكة نازلى :
ـ اذن سأذهب الى فاروق واقول له اننى سـأتزوجك .
قال حسنين :
ـ اذهبى .. ولكنه سيرفض ..

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول :
ـ وذهبت الملكة نازلى فصلا الى الملك فاروق .. وكانت مقابلة عاصفة ! .. فقد قالت لابنها انها تحب حسنين باشا وتريد ان تتزوجه ..

وقال فاروق :
ـ رافقيه احسن ! ..
قالت : انه يرفض ان يكون عشيق الملكة ! ..

قال صاحب الجلالة :
ـ سأصدر اليه امرا ملكيا بذلك !
ولعل فاروق كان يسخر من امه !

***

وعلى كل حال فانه لم يفاتح حسنين فى هذا الموضوع وكان طبيعيا ان اعتقد ان الملك سـوف يغضب ويحقد على حسنين ويطرده من السراى ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. ولعل جلالته آمن باخلاص حسنين باشا وان هذا الاخلاص هو الذى يحول بينه وبين ان تكون له بالملكة علاقة غير شريفة !

وكان الملك لا يزال يثق فى حسنين وفى اخلاصه .. فقد حدث ايام كان الملك وامه الملكة نازلى فى لندن ان ارادت الملكة ان تذهب الى ناد ليلى معين لترقص فيه فذهب اليهـا حسنين وقال لها : « اذا رقصت فى هذا النادى فسوف اضعك هنـا فى مستشفى المجاذيب » .. وذهبت الملكة نازلى تشكو حسنين الى فاروق وتهديده اياها .. ولكن الملك فاروق لم يفعل شيئا ولم يقل شـيئا لحسنين .. وهـنا هو الامر العجيب الذى يحيرنى !؟

ثم قال مراد محسن باشا :
ـ ومع ذلك فأنا اعرف ـ اكيدا ـ ان الملك يكره حسنين فى قرارة نفسه ، ولكنه ـ كما يظهر ويبدو من تصرفاته ـ يخافه ويتقى شره ! ٠٠ وحسنين يعرف ذلك ومن هنا يعمل من جانبه على اتقاء بطش الملك به عن طريق السيطرة التامه على ام الملك ٠٠ الملكة نازلى !

وذات يوم جاءتنى الملكة نازلى تقول : انها قررت ان تهب حسنين باشا خمسمائة فدان ، وطلبت منى ، بصفتى ناظر الخاصة ووكيلا عنها ، ان اعد العقود الخاصة بهذه الهبة ونقل الملكية ، وحاولت ان اراجعها فى قرارها ، ولكنها اصرت عليه ٠٠ وهنا ذهبت الى الملك فاروق وابلغته الخبر ، فثار وهاج وقال لى :
ـ ان هذه الخمسمائة فدان بتاعتى انا ٠٠ لأننى انا الذى ارث الملكة ٠٠

ولكنه لم يفعل شيئا ولم يحدث امه او حسنين فى هذا الموضوع ، واكتفى بأن طلب منى ان اذهب الى « رفعة » شريف صبرى باشا شقيق الملكة واروى له الحكاية ٠٠ وذهبت الى شريف باشا وقلت له : ان جلالة الملكة تريد ان تهب حسنين باشا خمسمائة فدان ٠٠

ولكن شريف صبرى لم يفعل شيئا ٠٠ وبينما انا فى حيرة ماذا افعل ؟ اتصل بى حسنين باشا ليقول لى انه يرفض هذه الخمسمائة فدان ٠٠

وبعده بقليل ، اتصلت بى الملكة نازلى وقالت : ان حسنين باشا شتمها وقال لها : « انتى عاوزه تهزئينى امام رجال السراى ؟ انتى عاوزه تنتقمى منى ؟ كيف تتصورين ان اخذ منك انا فدادين ؟ انتى امرأة مجنونة ! »

***

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه يقول :
ـ وهكذا استطاع حسنين باشا برفضه هذه الهبة الكبيرة ان يزيد فى قوته ومقامه فى عين الملكة نازلى ، وان يشعرها انه

من الانبياء والقديسين لا يمكن رشوته وانا اعتقد ان سياسته او هدفه الذى كان يسعى اليه فى آخر الامر هو ان يحمل الملك فاروق على ان يرجوه بنفسه ان يتزوج امه الملكة نازلى زواجا عرفيا ٠٠ وعندئذ ينحنى امام رغبة « مولانا » ويصدع بالامر بحجة انه انما يخدم الملك والاسرة بهذا الزواج !! واما اذا رفض ان يكون عشيقا للملكة نازلى ، فربما خوفا من بطش الملك ٠٠ او ربما لأنه كان يعرف حق المعرفة انه لو رضى ان يكون عشيقا للملكة لزهدت فيه بعد شهر واحد او شهرين وتخلصت منه وتركته ٠٠ ومن هذا رسم لنفسه هذه السياسة ٠٠ سياسة التعالى والخوف والبعد عن كل ما يغضب الله ٠٠ وهكذا ٠٠ يضمن ان يبقى الملكة نازلى ملهوفة عليه والهة ويضمن بواسطتها نفوذه عند الملك وبقاء السلطة طول حياته فى يده ٠٠ ولكنى لا اعرف ٠٠ هل يستطيع حسنين ان يستمر طوال حياته فى تمثيل هذا الدور ، ولعب البهلوان ، والمشى على السلك المشدود ، ام انه سيقع يوما وتندق رقبته ٠٠

***

قال مراد محسن باشا :

ـ وكان الملك فاروق يغضب احيانا ويستبد به الغضب ويثور بسبب حب امه الملكة نازلى لحسنين ، هذا الحب المفضوح الذى اصبح حديث جميع من فى القصر ٠٠ بل حديث اعضاء الاسرة المالكة ٠٠ كان يثور ويقسم انه سوف يضرب حسنين بالرصاص ! ٠٠ ولكننى كنت ادخل عليه مكتبه فى اليوم التالى فاجده جالسا يمزح ويضحك مع حسنين !! ٠٠

وحدث مرة فى العام الماضى ـ اى عام ١٩٣٩ ـ ان تلقى جلالة الملك تقريرا جاء فيه : ان جلالة الملكة نازلى تسهر الى الصباح عند حسنين ، وقرر الملك ان يضبطهما معا متلبسين واخذ معه خادمه الارناءوطى محمد عبد الله وذهب الى بيت حسنين باشا وترك سيارته بعيدا عن الدار ٠٠ ثم دخل البيت من احدى النوافذ وعرف ان الملكة وحسنين فى الدور العلوى ٠٠ واعتقد انهما فى غرفة النوم ! ٠٠ وصعد السلم على اطراف اصابعه ٠٠ وهو يضع دائما فى قدميه حذاء ذا نعل من

« الكاوتش » لا يحدث صوتا ٠٠ وتسلل الى غرفة النوم ٠٠ وفتح بابها فوجدها خالية ٠٠ وفتح الغرفة التى بجوارها فرأى منظرا اذهله !؟ رأى حسنين باشا جالسا على الارض وامامه الملكة نازلى جالسة كما تجلس التلميذة امام استاذها ٠٠ وكان حسنين يتلو عليها آى الذكر الحكيم من مصحف بين يديه !

وذهل الملك من هول المفاجأة ٠٠ فلم يجد شيئا يقوله ٠٠ واغلق عليهما الباب وغادر الدار ! ٠٠

ومضى مراد محسن باشا فى حديثه فقال :

ـ وعندما سمعت هذه القصة من الملك ازداد اعتقادى بأن هذا الرجل ـ يقصد حسنين باشا ـ بهلوان ! والا فكيف استطاع ان يمثل دور الرجل الصوفى المتدين مع الملكة نازلى ٠٠ وان يحملها على الجلوس امامه تصغى الى تلاوته للقرآن وهى التى لا تكاد تجلس فى مكان ما دقائق معدودات حتى تهب واقفة وهى تصيح : « انا اختنق هنا ! ٠٠ تعالوا نبحث عن سهرة نرقص فيها !! » ٠٠

ان جلالة الملك يعتقد ان حسنين هو الرجل الوحيد الذى تخافه الملكة وتطيعه ٠٠ والرجل الوحيد القادر على ترويض الملكة باعتباره مروض وحوش او انه اذا خرج حسنين من القصر فان الملكة سوف تنفجر وتترك هى ايضا السراى ٠٠ و « تمشى على حل شعرها » ! ولكننى لست من هذا الرأى ، بل اعتقد ان حسنين هو الذى يضفى على نفسه كل هذه الاهمية ٠٠ بحركاته وتمثيله وبهلوانيته والا فما الذى تستطيع ان تفعله الملكة نازلى اذا وضعها الملك فى قصر واغلقه عليها ؟ ٠٠ ولكن الملك يرفض المناقشة فى هذا الموضوع ٠٠ وهو كلما يسمع ان الملكة تريد ان ترتكب حماقة صاح : « الحقونى بحسنين » !! ؟

●●●

انتهى حديث المرحوم مراد محسن باشا ٠٠

وقد برهنت حوادث الايام والسنوات التالية على انه ـ رحمه الله ـ كان مخطئا فى رأيه وفى التهوين من شأن احمد حسنين

لانه لم يكد حسنين يلقى حتفه ويوارى فى التراب حتى انطلقت نازلى « على حل شعرها » ..

***

تدلهت ملكة مصر وتهتكت فى حب حسنين ، ولم تخجل من ان تعلن حبها له امام رجال القصر .. ثم امام ابنها الملك فاروق .. تنسى مقامها كملكة ، وارملة ملك وام ملك ! ونسيت حرمة سنها وقد جاوزت الاربعين !

وكانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة على فاروق الذى كان يومئذ فى الثامنة عشرة من عمره .. ميلادية ! او التاسعة عشرة هجرية ! ..

وكان فاروق يحب امه .. ولم يكن يفوق حبه سوى احترامه لها .. كانت تناديه امامنا وامام رجال الحاشية وخدم الفنادق « فاروق » .. وكان يخاطبها او يناديها دائما « ماجستيه » اى صاحبة الجلالة !

وكان يخشاها ويتقى غضبها ويعمل لها حسابا .. وكانت كلمتها عنده لا ترد ..

كثيرا ما سمعتها - اثناء رحلتنا الى سويسرا وفرنسا وانجلترا - سمعتها تنهاه امامنا علنا عن قيادة سيارته بنفسه .. او تنهره وتطلب منه ان يترك سيارته ويركب معها فى سيارتها لأنها كانت تخاف عليه من تهوره فى قيادة السيارات بسرعة جنونية ..

وكان يخضع دائما ويطيعها .. ولا يرى غضاضة او بأسا وهو الملك - فى ان ينزل على ارادتها مثل اى طفل صغير !

هكذا كان مقدار حب فاروق واحترامه لأمه نازلى ثم ها هى ذى تتدله وتتهتك فى حب موظف من موظفى القصر .. وتذهب تشكو حبها لناظر الخاصة ولا تخجل من ان تعلن امام موظفى القصر انها عاشقة ملهوفة على احمد حسنين .. بل ولا تخجل من ان تصارحه هو - ابنها الملك - بأنها تحب هذا الموظف احمد حسنين ..

وانها قدمت نفسها وجسمها ، ولكنه يرفض ! .. ثم تصرخ

وتصـــيح أنها لحم ودم ! ٠٠ وتطلب من ابنها أن يزوجها من حسنين !

كانت الصدمة النفسية قاسية عنيفة ٠٠ على فاروق وتهاوت المثل العليا التى كان يراها فى امه ــ صاحبة الجلالة ــ تهاوت وتحطمت تحت قدميه ٠٠ وكان كما ــ اسلفت ــ لايزال فى سن الثامنة عشرة ! ٠٠

وكانت مثل عليا اخرى قد اخذت تتهاوى وتتحطم فى نفس الوقت تحت اقدام فاروق ٠٠

زعماء البلاد الكبار وشيوخها الكبار وساستها الكبـار ٠٠ رآهم فاروق واحدا بعد واحد ، ينحنون فوق يده ويقبلونهـا وينسحبون من « حضرته الملكية العلية » وهم يمشون بظهورهم الى الوراء ٠٠

وســـمعهم واحدا بعد واحد ، يقولون له : انهم جاءوا ليلتمسوا منه « توجيهاته السامية وارشاداته الغالية »

وقرأ لهم جميعا فى الصحف تصريحات افضوا بها ، وقالوا فيها : انهم « تشرفوا بمقابلته ليتلقوا نصـــائحه الغالية وارشاداته الغاليه »

ولم يكن فاروق غبيا ٠٠ كلا ٠٠ فقد كان يعرف انه لم ينل من العلم الا قليلا ٠٠ وانه جاهل او نصف امى ٠٠ وان تشدق هؤلاء الساسه والزعماء الكبار بحكمته ونصائحه ليس ســوى نفاق ورياء ٠٠ وان كل ما يســـعون اليه هو الحكم وكراسى الحكم ! ٠٠

وهكذا ! ٠٠ المثل العليا ٠٠ فى أمه ٠٠ وفى رجال مصر تهـــاوت وتحطمت ٠٠ ودخلت المـرارة فى نفس الفتى ابن الثامنة عشرة ٠

ومع المرارة والســـخرية والاستهتار بالمثل العليا ــ وأين هى ؟ ــ وبالمبادىء والقيم والاخلاق ٠٠ وبكل ما فى هذه الدنيا من نبل وعلاء ٠

لم يجدها فاروق فى أمه ٠٠ ولم يجدها فى رجال دولته ٠٠ لا فى الساسة ولا فى الزعماء ٠٠ ؟!

وانطلق فاروق يسخر ويهزأ بكل شىء ٠٠ ويدوس بقـدمه كل مقدسات هذا البلد ٠

ولقد كنت كتبت مقالا مطولا في هذا المعنى فى اعقاب الثورة وبعد خلع فاروق في صيف عام ١٩٥٢ ، وكان عنوان المقال : « ماساة الملك فاروق » .

وعدت اليوم الى نفس المعنى أو الموضوع ، لكى أقرر هذه الحقيقة مرة أخرى .

وهى أن هذه القصة أو هذه الفضيحة ــ فضيحة نازلى وتهتكها ــ كانت من العوامل الرئيسية التى حولت فاروق من ملك محبوب مأمول الى طاغية ، وفاجر ، ومستهتر .. أو مخلوق بلا اخلاق ولا مبادىء ولا مثل عليا ! وان شئت فقل : « حيوان فى رسم انسان »

* * *

وأعود الى سياق الحديث او القصة :

انتهت نازلى ملكة مصر الى هذه النتيجة ، وهى ان حسنين يرفض ان يعاملها كامرأة ، ويتخذها عشيقة لانه ــ كما قال لها ولوصيفتها ــ يخاف الله ، ولا يستطيع أن يقربها الا على شرع الله وسنة رسوله .. ثم هو لايستطيع ان يتزوجها خوفا من ان يطرده الملك فاروق وهو ــ اى حسنين ــ رجل فقير لايملك سوى مرتبه الذى يناله من وظيفته .

اذن ماذا ؟

كان حسنين فى الواقع يرمى من وراء هذا الدور الذى مثله بمهارة عجيبة ــ كان يرمى وكما قال المرحوم مراد محسن باشا ــ الى أن يحمل الملك فاروق على ان يستدعيه ويأمره أو يرجوه ان يتزوج امه الملكة نازلى !

واذن .. يصدع حسنين بأمر « مولانا الملك » ويتزوج من جلالة الملكة !

كان هذا هو الهدف الذى يسعى اليه حسنين ، ولم يكن تحقيقه مستحيلا او صعب المنال ، لأن حسنين باشا ــ رحمه الله ــ كان قد اقنع فى اقناع فاروق ــ بطريق غير مباشر ــ بانه ــ اى حسنين ــ الرجل الوحيد فى مصر ، أو القصر ، القادر على كبح جماح الملكة نازلى .. وانها لولاه ولولا نفوذه عليها « ستخرجت على حل شعرها » وتركت السراى وانطلقت على هواها !

هذا ما كان يعتقده فاروق كما قرر مراد محسن باشـا ٠٠ ولهذا لم يكن أمرا مستحيلا ان يطرح فاروق عواطفه ويصغى لحكم العقل والحكمة ويطلب من حسنين ان يتزوج جلالة الملكة!

ولكن فاروق لم يفعل ٠٠ وحسنين لم يتراجع أو يتزحزح عن موقفه ٠٠ اذن ماذا ؟ ٠٠ ماذا تفعل الملكـة التى تريد أن تعامل كامرأة ٠٠ من لحم ودم ؟

* * *

هزت نازلى كتفيها فى وجه حسنين ، وشقت عصا الطاعة ٠٠ وانطلقت تغازل وتمرح وتسهر وتشرب وترقص مع من يعجبها من شبان ٠٠ ووقع اختيارها أول ما وقع على تشريفاتى بالقصر كان ملحقا بحاشيتها ٠

وبدأت الاشاعات والحكايات تخرج من القصر ودوائر القصر الى الأندية والقصور ٠

الملكة نازلى « ماشيه » مع « ح٠التشريفاتى» ! الملكة نازلى امضت ليلة أمس فى الزمالك فى شقة فلان صديق « ح» الذى كان موجودا ٠٠ الى آخره ٠٠ الى آخره !

لعل أحمد حسنين يغار ويغضب ويثور ، ويعاتبها وينتهى الأمر بتسوية !

ولكن أحمد حسنين عرف كيف يصبر ويسـكت ٠٠ بل ويبتسم رثاء لها اذا ما قابلها فى احدى حفلات السراى !

وكان فاروق هو الذى غضب وثار ، وكان لسان حاله يقول : « لم يبق الا التشريفاتية وصغار الموظفين » ! تقرن اسماؤهم باسم أمه الملكة ٠٠ وتروى عنهم وعنها قصص الغـزل والمرح والسهرات والشراب ؟!

وقابل فاروق ذات صـباح التشريفاتى المذكور « ح » فى احدى ردهات القصر ، فاستوقفه وصاح فيه :

ـ حضرتك عامل أيه فى حواجبك ؟ ٠٠ ناتف شعرها زى الستات ! ٠٠ وكمان يظهر انك بتحط بودرة وأحمر ؟

واصدر امرا ملكيا بنقل التشريفـاتى الى احدى وظائف وزارة الخارجية ٠

وخشى الرجل عاقبة لهوه مع الملكة نازلى ، فانقطع عنها ٠٠ ولعل حظه الحسن هو الذى جر عليه غضب فاروق لأنه لم يلبث ان استقال من خدمة الحكومة ، واشتغل بالاعمال الحرة وأثرى وأصبح من كبار رجال الاعمال والشركات ٠

ورأت الملكة نازلى ان ابنها فاروق يضيق عليها الخناق ، وان حسنين مصر على موقفه منها ٠٠ فهزت اكتافها مرة أخـــرى وسافرت الى أوروبا ٠

* * *

ومرت شهور الصيف ومن بعده الخريف ، واقترب موعـد سفرى الى أوروبا ، فقد كنت أعتدت ان أمضى فصل الشتاء فى سويسرا ٠٠ وقرأت فى الصحف ان جلالة الملكـة نازلى تزمع العودة من رحلتهـــا فى اوروبا الى مصر ، وانها تغادر ميناء مارسيليا فى يوم « كذا » فتصل الاسكندرية فى يوم « كيت » من شهر نوفمبر ٠

وركبت انا الباخرة من ميناء بورسعيد فى مساء ٧ نوفمبر ٠٠ وقدرت اننى سوف اصل الى مرسيليا فى نفس اليـــوم الذى تصل فيه الملكة نازلى الى الاسكندرية ٠

ومن مرسيليا أخذت القطار الى باريس ، فوصـــلتها بعد منتصف الليل ٠٠ وذهبت الى الفندق الذى كنت اعتدت النزول فيه وهو فندق جورج سانك ، أو جورج الخامس ٠

ورأيت علم مصر الاخضر يرفرف على الباب الرئيسى للفندق، وعجبت ٠٠ ترى من يكون الزائر المصرى الكبير المقيم بالفندق والذى يرفع الفندق علم مصر تكريما له ؟

وسألت موظف الفندق ــ وأنا اسجل اسمى فى الدفتر ــ فقال :

ــ جلالة ملكة مصر !

اذن فالملكة نازلى لا تزال فى باريس ٠٠ وصحف مصر كانت مخطئة فى نشر خبر عودتها ؟

كذلك لم أكن أعرف ان جـــلالتها تنزل فى فندق جـــورج الخامس لأنها سبق لها ان زارت باريس مع ابنها ، ثم وحدها

وأقامت مرة بفندق ده كريون ، ومرة بفنـــدق ريتز ، والمرة الثالثة والأخيرة بفندق بلاتزا اتنيه ٠٠ وهاهى ذى فى فنـــدق جورج الخامس ٠

ولو عـــرفت ٠٠ لكنت ذهبت الى فنـــدق آخر ، وذلك لأن العلاقات يومئذ بين فاروق والوفد كانت سيئة للغاية ٠٠ وكنت وفديا ومجلتى « آخر ساعة » وفديه وكان فاروق غاضبا على ٠

وكنت حريصا فى تلك الايام على أن اتحاشى القصر والذين فى القصر وكل احد له علاقة بالقصر أو فاروق ٠

وهاأنذا انزل فى نفس الفنـــدق الذى تقيم فيـه ام فاروق وأفراد حاشيتها !

* * *

وفى مساء اليوم التالى ـ وكنت جالسا فى أحد صـــالونات الفندق ـ دخل تشريفاتى الملكة نازلى محمود أسعد بك ومعـه زوجته السيدة فتحية أبو اصبع ٠٠ ولحق بهما بعد قليـــل الاستاذ حسنى نجيب وزوجته السيدة نايلة سلطان ٠

وتبادلنا التحية ٠٠ واذ نحن نتحدث أقبـل من يعلن نزول جلالة الملكة ٠٠ من جناحها الخاص ٠

ووقف الجميع ودعونى للذهاب معهم لقضاء السـهرة ولكنى اعتذرت من عدم الذهاب بحجة التعب ٠٠ وأسرعوا بالخـروج ليلحقوا بجلالة الملكة ولم أر وجه الملكة نازلى ٠٠ ولقد حرصت بعدئذ على عدم الجلوس فى صالونات حتى لا أقابلها أو اقابل احدا من افراد حاشيتها ٠٠ وكنت اغادر الفندق فى الصباح ٠٠ وأعود فى المساء الى غرفتى مباشرة ٠

وهكذا أمضيت نحو اسبوعين فى باريس ، ثم سافرت الى زيوريخ فأقمت فيها بضعة ايام ومنها الى سان موريتز ٠

ووجدت فيها خطابا من مصطفى أمين ، وكان الخطاب محولا من فندق جورج الخامس ٠

وفى الخطاب يقول مصطفى : ان النقراشى باشا ـ رحمه الله ـ وكان يومئذ وزيرا للداخلية اســـتدعاه الى مكتبه وقال له : التابعى فى باريس ويقيم فى فندق جورج الخامس الذى تقيم فيه جلالة الملكة نازلى ٠٠ وانه ـ أى النقراشى باشا ـ يطلب

مني ألا اثير متاعب له ولنفسي ‧‧ ومن ثم يرجوني ان اغادر باريس على الفور ، او على الاقل فندق جورج الخامس ‧‧ الى فندق آخر ‧

وهذه خلاصة الخطاب ‧‧ ويظهر ـ على الارجح ـ أنه كان يوجد بين حاشية الملكة نازلي من كان يرسل تقارير الى فاروق ‧‧ عن أمه الملكة وماذا تفعل ومن تقابل ومع من تخرج ‧‧ الى آخره

وعرف فاروق انني اقيم في نفس الفندق ‧‧ ولعله خشى أن اعرف عن امه وسيرتها في باريس ما لايصح ان يعرفه احد وخصوصا وانا صحفي وفدي ‧‧ وكانت الخصومة ـ كما قدمت ـ على أشد ما تكون وقتئذ بين فاروق والوفد ‧

خشي فاروق ان اطلع على أمور قد يستعملها الوفد في دعايته ضده،فطلب من النقراشي أن يعمل على ابعادى عن باريس ‧‧ الى آخره ‧

وهذا ما فهمته من خطاب الصديق مصطفى أمين ‧‧

وعلى كل حال فقد كانت الاشاعات يومئذ في مصر كثيرة ‧‧ ومنها مثلا ، انني غادرت مصر الى أوروبا منفيا بأمر من الملك فاروق ‧‧ ومنها كذلك ، أن فاروق طلب من الوزارة تجريدى من الجنسية المصرية الى آخره ‧‧ الى آخره ‧

ولما عدت الى مصر وسمعت بهذه الاشاعات كتبت عنها في مجلة «آخر ساعة» وسخرت منها ومن الذين اختلقوها وأذاعوها ‧

* * *

وكانت الملكة نازلي ـ كما عرفت وسمعت في سويسرا ـ قد زارت « فيينا » و « بودابست » ‧

وفي «بودابست» عرفت شابا جميلا هو ابن الاميرال هورتي الوصي يومئذ على عرش المجر ‧‧ وقد قتل بعد ذلك في حادث طائرة في روسيا عام ١٩٤٣ ‧

وطابت لها الاقامة في «بودابست» ‧‧ بعد أن وجدت فيها الرجل الذى يرضى أن يعاملها كامرأة من لحم ودم !

ثم غادرتها الى باريس ‧‧ حيث وجدتها ‧‧ ثم عادت جلالتها مرة أخرى الى بوادبست ‧

وأخيرا عادت الى مصر ولحق بها الشاب هورتي ، وجاء مصر ونزل في فندق شبرد ‧

وكانت حكايتها مكشوفة ·· واكثر من مكشوفة ! ومرة أخرى صاح فاروق : « الحقونى بحسنين » !

وأصدر صاحب الجلالة أمره الملكى الى حسنين : «أن يشوف له طريقة مع جلالة الملكة نازلى ·· ويضع حدا لحكايتها مع الشاب هورتى ·· لأن الحكاية أصبحت فضيحة مكشوفة » ·

وصدع حسنين بالأمر ·· ونزولا على ارادة « مولانا » ذهب حسنين واسترضى الملكة نازلى وتصالح معها ·

وبعد ايام من عقد الصلح أحس الشاب هورتى ابن الوصى على عرش المجر ان بقاءه فى القاهرة أصبح امرا غير مرغوب فيه من الملكة نازلى نفسها ·· ومن سلطات مصر العليا ·· فغادر مصر عائدا الى بلاده !

واجتمع « الشمل » وكثرت الحفلات والسهرات التى كان يقيمها أصدقاء الملكة نازلى او اصدقاء حسنين ·· لكى يجتمع فيها الحبيبان : نازلى ، واحمد حسنين ·

وذات يوم ذهب الامير محمد على الى القصر يشكو لفاروق من تصرفات أمه الملكة نازلى وكيف ان سيرتها مع حسنين باشا أصبحت على كل لسان !

***

وقد ورث فاروق عن أبيه الملك احمد فؤاد كرهه للأمير محمد على توفيق ونفوره منه ·

وكان أحمد فؤاد يعمل دائما على مضايقة ابن أخيه الامير محمد على ·· وكان محمد على يلجأ الى «المندوب السامى البريطانى» فى مصر أو الى السلطات البريطانية العليا فى لندن لكى تأخذ له حقوقه من عمه الملك أحمد فؤاد ·· ولكى توقفه عند حده وتأمره بالكف عن مضايقة صديقها الامير محمد على توفيق ·

روى المرحوم عبد العظيم راشد باشا وزير الاشغال الاسبق فى مذكراته « التى لم تطبع ولم تنشر » ــ روى فى مذكراته ــ ان اللورد لويد المندوب السامى البريطانى قال له : انه ذهب مرة وقابل الملك فؤاد ووبخه بسبب بعض تصرفاته مع الأميرمحمد على ، وانالملك فؤاد بكى ساعتئذ بكاء شديدا · ثم قال لورد لويد :

ـ وماذا أستطيع ان افعل مع ملك يبكى كما وبحته وذكرته بواجباته كملك ؟!

* * *

كان الملك فؤاد يكره ابن اخيه محمد على توفيق ، وقد ورث فاروق عنه هذه الكراهية ٠

وكان الامير محمد على توفيق لايكف عن انتقاد اسرة عمه الملك فؤاد افرادا وجماعات ، وكان يشهر بها وبتصرفاتها فى مجالس الاسرة ٠

وكان فاروق يعرف هذا ٠

حدث مرة ان اقيمت مأدبة كبيرة فى قصر عابدين وحضرها الأمير محمد على توفيق وكان جالسا الى يمين الملك فاروق،وأبدى « سموه الملكى » اعجابه بنقوش وزينة سقف قاعة الطعام ٠

وهنا التفت اليه فاروق وقال وهو يغمز بعينه للحاضرين من كبار رجال القصر :

ـ الحمد لله وجدت عندنا حاجه تعجبك !

وفهم الأمير غمزة الملك ٠٠ وابتسم الحاضرون ٠٠

* * *

وسمع الأمير محمد على توفيق بالحكايات التى تروى عن الملكة نازلى وعلاقتها بحسنين باشا ٠

وكان طبيعيا أن ينتهز هذه الفرصة لكى يشهر ويندد بتصرفات عائلة احمد فؤاد ٠٠

وذهب « سموه الملكى » وقابل رئيس الديوان « رفعة » على ماهر باشا وقال له ان سمعة الملكة نازلى « زفت » بسبب علاقتها بحسنين ٠٠ وطلب من السيد على ماهر ابعاد أحمد حسنين عن السراى ٠

ولكن على ماهر « باشا » كان أحرص واذكى من أن يقحم نفسه فى مسألة شائكة كهذه ، ومن هنا لم يجد الأمير محمد على بدا من أن يذهب ويقابل الملك فاروق نفسه ويشكو اليه امه الملكة وكيف ان الناس تقول انها اصبحت عشيقة امينه الأول أحمد محمد حسنين ؟!

وقال فاروق :

– أنا سمعت الاشاعة .. وحققت فيها بنفسي وتأكدت انها غير صحيحه .

ولكن الامير محمد على اصر على الاتهام ، وقال :

– انا واثق ان بين حسنين والملكة نازلى علاقات غير شريفة .

* * *

وسمع حسنين – رحمه الله – بهذه المقابلة وبالحديث الذى دار فيها ، فارسل الى الامير محمد على يقول له :

– انا آسف اذ أرانى مضطرا لأن انسى انى موظف فى السراى وانك ولى العهد ، ولهذا فانى ادعوك للمبارزة كما يفعل أى رجل وأترك لك حرية اختيار السلاح وشهودك .

ولم يكد الامير محمد على يتلقى رسالة حسنين حتى فزع واستنجد بالأمير عمر طوسن .

واتصل الامير عمر طوسن بحسنين باشا ، وساله كيف يجوز للأمين الأول لجلالة الملك ان يبارز ابن عمه وولى عهده ؟

وقال حسنين : ان هذا الامر ليست له حقيقة سابقة فى « البرتوكول » .. ولكن لم يسبق كذلك لولى عهد أى بلد ان قال كلاما كاذبا فى حق رجل آخر دون ان يتحمل مسئوليته .

ثم قال حسنين : انه رغبة فى عدم احراج أى احد ، فقد رفع الى جلالة الملك الخطاب الآتى :

« لما كان ولى عهدك قد اهاننى ، ولما كنت لا اقبل هذه الاهانة فاننى اقدم استقالتى من منصبى لكى استطيع ان اعامل ولى العهد معاملة رجل حر لرجل حر » .

وهنا قال الأمير عمر طوسن :

– لكن ولى العهد يرفض المبارزة .

واجابه حسنين :

– فى هذه الحالة سوف انتهز فرصة وجوده فى نادى محمد على والطمه على وجهه واعتبر الحادث منتهيا !

* * *

واتصل الأمير عمر طوسن بالملك فاروق ورجاه ان يتوسط فى الامر ، ولكن فاروق اجابه بان حسنين قد استقال من منصبه ولم يعد فى خدمته !

وكان فاروق يضحك ويريد أن يسخر من ابن عمه محمد على توفيق ، ثم يرى الى أى مدى سوف يدفعه جبنه وخوفه !

وعندئذ اتصل عمر طوسن بالامير محمد على ، وقال له : ان حسنين مصمم على مبارزتك ، وهو قد استقال من منصبه فى السراى ولم يعد فى خدمة الملك ·· ولقد وسطت الملك ، ولكنه اعتذر من عدم الوساطه لهذا السبب ·

وهنا ركب الامير محمد على سيارته وقصد الى دار حسنين باشا وكان ـ رحمه الله ـ يسكن وقتئذ فى مصر الجديدة ·

ودخل سموه على حسنين باشا يقول انه جاء لكى يقدم اعتذاره ·· وقال حسنين : ان هذا لا يكفى ! ·· ويجب أن يذهب سموه ويقدم اعتذاره لجلالة الملكة نازلى ·

وخرج الاميرمحمد علىوذهب بسيارته الىقصر القبة واستقبلته احدى الوصيفات ·· وقدم اعتذاره · ورجا من الوصيفة أن تبلغ اعتذاره هذا لجلالة الملكة نازلى مع التماسه مقابلتها ·

وعادت الوصيفة تقول : ان جلالة الملكة ترفض مقابلته !

وازداد الامير محمد على رعبا وخوفا فعاد وزار حسنين مرة آخرى ، وساله ان يتوسط لدى الملكة نازلى لكى ترضى بمقابلته ولكنها اصرت على الرفض ·

* * *

ثم حدث بعد ذلك أن تقابل مع الملكة نازلى عند الاميرة نعمت مختار ، وانتهزت نازلى الفرصة لكى تهزأ منه ، فقالت له :

ـ ان حسنين باشا ليس عشيقى ـ كما تقول ـ لا لأننى لا أريد ان اكون عشيقة له ، بل لأنه هو يرفض ان يكون عشيقا لى !

وراح صاحب السمو الملكى يعتذر ، ويعتذر وينحنى امام الملكة نازلى ويردد عبارات الاسف والندم والاعتذار !

وكان من نتائج هذا الدرس الذى اعطاه اياه حسنين باشا آن مكث الامير محمد على ستة اشهر لا يفتح فمه بكلمة واحدة عن السراى وما يجرى فى السراى ، بل عن اى شخص كبير ، او صغير فى السراى !

كذلك كان ـ رحمه الله ـ كلما سمع حكاية أو كلمة تروى او تقال فى نادى محمد على عن حسنين باشا ، اسرع يبلغه اياها

وكيف ان الوزير فلان يقول عنك ـ أى عن حسنين ـ كذا ٠٠ وكذا ٠٠ وكيف ان النبيل علان يقول كيت ٠٠ وكيت !

وذات يوم ذهب الامير محمد على وزار حسنين باشا وقال له :

ـ لقد انتهزت فرصة مقابلتى أمس لجلالة الملك ، وقلت له انك أشرف رجل فى مصر ، وان وجودك فى السراى نعمة من الله !

وقال حسنين :

ـ كتر خير افندينا ! ٠٠ لقد خربت بيتى !

وانزعج افندينا محمد على ، وقال :

ـ كيف خربت بيتك ٠٠ وأنا مدحت فيك ؟

قال حسنين :

ـ هذا بالضبط مالا أريده ٠٠ لأن مدحك يضرنى ويؤذينى !

وسأله الامير فى لهفة ماذا يفعل الآن لكى يصلح خطأه ؟ ٠

وقال له حسنين :

ـ اذهب الى الملك ، وقل له انك اكتشفت اننى رجل خائن ويجب التخلص منى وطردى من السراى ! ٠

واستعاذ الامير محمد على بالله من الشيطان الرجيم وقال انه لا يستطيع أن يقول هذا ٠

ولكن حسنين قال :

ـ اذا اردت حقيقة أن تنفعنى وتصلح خطأك ، فاذهب للملك وقل له هذا ٠

* * *

وعاد الامير وطلب مقابلة فاروق ٠٠ وقال له :

ـ لقد قلت لجلالتكم فى مقابلتى الاخيرة ان حسنين مخلص ، ولكن جاءتنى بعد ذلك معلومات أكيـــدة تثبت انه خـائن وغير مخلص ٠

وكان فاروق يستمع اليه وهو يكتم ضحكة بصـــعوبة لأن حسنين كان أطلعه أولا بأول على كل ما دار بينه وبين ولى العهد محمد على توفيق !

وخرج محمد على توفيق من مقابلة الملك ، وذهب الى حسنين ، وقال له :

ـ لقد فعلت كل ما طلبته منى ٠

ثم سكت قليلا قبل أن يقول :

ـ ولكنى لا افهمك ٠٠ عندما اشتمك تدعونى الى المبارزة ٠٠ وعندما امدحك تقول انى خربت بيتك ٠٠ ؟ قل لى : ماذا تريد ؟

* * *

وجلس حسنين ـ رحمه الله ـ يروى هذه التفاصيل فى يوم الاثنين ١٨ ابريل عام ١٩٤٠ ، ويعود بنا وبالذاكرة الى حوادث عامى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، ثم قال :

ـ ولم أجب طبعا على سؤال الامير محمد على وهو ماذا أريد ٠٠ ولم أقل له ان كل ما كنت أريده هو ان اسخر منه واكشفه امام الملك وامام امراء الاسرة ٠ وكيف انه رجل لا أخلاق ولا قيمة له مطلقا وان « كلمة توديه ٠٠ وكلمة تجيبه »

ومع أن الامراء كانوا جميعا يكرهون الامير محمد على توفيق بسبب بخله الشديد وتزمته واستعلائه عليهم ، الا ان الامير عمر طوسن انتهز مع ذلك أول فرصة ، تقابل فيها مع حسنين باشا ، ليقول له : ان الامراء زعلانين منه ـ أى من حسنين ـ اذ كيف يجرؤ مصرى على أن يطلب أميرا ووليا للعهد للمبارزة ؟!

اما فاروق فانه لم يذكر لحسنين شيئا عن غضب وزعل الامراء منه ٠

وكان كل ما قاله له :

ـ ألا تعرف يا حسنين ان القانون يحمى ولى العهد وان ذاته مصونة لا تمس ؟

واجاب حسنين :

ـ أعرف هذا يامولانا ٠٠ ولكن عندما يشتم ولى العهد الناس ، فانه بذلك يتنازل عن مركزه وحصانته ويصبح من حقى أن أرد عليه شتائمه ، وان اعامله كأى فرد مساو لى فى الحقوق !

* * *

والآن ، وقد لخصنا فى الفصول السابقة قصة الملكة نازلى ، واحمد محمد حسنين خلال السنوات الثلاث التى تلت وفاة الملك احمد فؤاد ٠٠ وعرضنا للحوادث والمناورات والتمثيليات التى تخللت فصول القصة ٠

والان ، نصل بالقراء الى اوائل عام ١٩٤٠ ، وكان الموقف كما ياتى :

عرف الناس ان هناك شيئا ما ، أو علاقة ما ، بين ملكة مصر نازلى وبين احمد حسنين باشا ، واصبحت هذه العلاقة موضوع حديث فى النوادى والمجتمعات ، والسهرات .

اما الخاصة ـ دوائرالقصر ، وأوساط الأسرة المالكة ـ فكانت تعرف أن نازلى هى التى تحب حسنين و « تجرى وراه » وتعرض نفسها عليه وتطلبه زوجا لها وتقدم له مئات الافدنة من أراضيها هدية خالصة وأنه يرفض ويعرض عنها ويتأبى عليها ويستغفر الله ، ويعلن أنه رجل يكره الحرام ويخاف الله ولا يمكنه أن يقرب امرأة الا على شرع الله وسنة الرسول !

وان الملكة نازلى ثارت وهددت .. ثم حاولت ان تثير الغيرة فى صدر حسنين ، ولكنه لم يأبه ولم يتحرك وان الملك فاروق كان يفزع الى حسنين ويطلب منه النجدة فى كل مرة يخشى فيها ان تخرج أمه الملكة على العرف المألوف ومقامها السامى كأرملة ملك، وأم ملك وان حسنين يلبى نداء الملك ويسرع الى نازلى ويفلح فى تهدئتها وكبح جماح أعصابها الثائرة .

وان نازلى صارحت صاحب السمو الامير محمد على ولى العهد بأنها عرضت نفسها عشيقة على حسنين ، وان حسنين رفض .

وان الامير محمد على آمن بنبل وشرف حسنين وان وجوده فى خدمة الملك وفى السراى نعمة من الله .

وان فاروق نفسه حاول ان يجد شيئا ضد حسنين .. كأن يضبطه مثلا فى موقف مريب مع أمه نازلى فلم يوفق بل على العكس .

فقد وجدهما فى خلوة وراء باب مغلق فى دار حسنين .

ولكن ! . .كان حسنين يتلو القرآن الكريم من مصحف بين يديه ، بينما كانت نازلى جالسة امامه فى خشوع تصغى لآيات الذكر الحكيم ؟! وهكذا بدا حسنين امام الملك وولى العهد وأمراء وأميرات البيت المالك كرجل شريف أبى النفس مخلص لمولاه والبيت المالك ، حريص على سمعة البيت وكرامة الملك .

وانه .. أهل للثقة .. ولولاه ولولا نفوذه على الملكة نازلى

لكانت نازلي هذه قد خرجت على العرف والتقاليد واثارت فضائح لا حد لها .

كان هذا رأى الجميع ماعدا قلة لا تذكر ، ومن بينها مراد محسن باشا ناظر الخاصةالذى كان ينافس حسنين على نفوذه فى القصر ويغار منه ويتهمه بأنه ممثل قدير ، وانه يلعب دوره مع الملكة نازلى بمهارة يحسده عليها يوسف وهبى !

والملك فاروق ؟! بماذا كان يشعر نحو أمينه الاول ورائده أحمد حسنين !

قلت أنه كان يلجأ الى حسنين فى كل مرة تثور فيها نازلى وينادى : « الحقونى بحسنين » ! وقلت انه لم يجد ما يأخذه على حسنين ..

ولكن ما من شك فى انه بدأ ـ منذ ذلك التاريخ ـ يكره حسنين ! كان يكفى انيسمع من فم أمه نفسها انها تحبحسنين وتريده .. وان حسنين يعرض عنها !

كان يكفى فاروق ان يسمع من امه هذا الكلام لكى يكره هذا الرجل الذى تريده أمه والذى « تمرمط » من أجله كرامتها وسمعتها .. حتى ولو كان موقف هذا الرجل لاغبار عليه .

من يومها بدأ فاروق يكره حسنين .

يكرهه ويخشاه فى وقت واحد .

يكرهه للسبب الذى ذكرته .

ويخشاه لانه محتاج اليه .. لانه الرجل الوحيد القادر على كبح جماح أمه الملكة نازلى .. والرجل الوحيد الذى كانت تخشاه نازلى وتطيعه وتصدع بأمره ، وكان فاروق لايزال يومئذ حريصا على سمعة أمه وسمعة القصر وسمعة البيت المالك .. بل وسمعة مصر ! .

وكان حسنين وحده ـ هكذا كان فاروق يؤمن ـ كان حسنين وحده وبيده القوية الممسكة بزمام نازلى واعصابها ، القادر على انقاذ هذه السمعات جميعا !

ومن هنا ، وبسبب هذا الخوف كان فاروق يعمل لحسنين حسابا .. وينزل الى حد كبير على رأيه ومشورته ويحرص على الا يفعل شيئا لا يرضى عنه حسنين .. وان فعل أوصى من حوله ان يكتموا الأمر عن حسنين ! .

واذا سمع حسنين بما حدث أسرع اليه فاروق يعتذر ويعد بالا يعود مرة أخرى الى ما فعل !

وهكذا يمكن للمؤرخ الساخر أن يزعم - وهو على حق - ان علاقة نازلى بحسنين وسيطرته عليها ونتيجة هذا وهى خوف فاروق من أمينه الاول - كان هذا كله نعمة « على مصر » نعمة لاجل محدود ! .. اذ انها اخـــرت انفجار الفضائح وانفجار فاروق بضع سنوات .

ولقد توفى حسـنين فى ٩ فبراير عام ١٩٤٦ ، وقبل وفاة حسنين ، وقبل فبراير عام ١٩٤٦ ، لم يكن فاروق يغشى اندية القمار ويقضى سهراته حتى مطلع الفجر فى اندية الميسر ولم يكن يزور الراقصات فى دورهن .

ولم يكن قد تمادى فى السرقة والاختـــلاس من أمـوال الدولة .

ولم يكن يهرب أمواله الى الخارج .. ولم يكن قد تمادى فى الاعتداء على الاعراض وانتهاك الحرمات ، والعبث بكل مقدسات البلاد .

ولم يكن اسم مصر قد أمسى فى الحضيض .

ولم تكن صحف العالم - وصحف أمريكا بوجه خاص - قد نشرت تقول ان رجال الاعمال أصبحوا ينفرون من ممارسة أى نشاط تجارى او صناعى فى مصر ، لان جميع من فى مصر من اكبر عظيم فيها فمادون ذلك ، يطلبون «العمولة أو البقشيش»! نعم .. شيء من هذا لم يكن قد حدث قبل وفاة حسنين ، لأن حسنين - رحمه الله - كان « الفرملة » الوحيدة القادرة على وقف فاروق .

وبعد وفاته انطلق فاروق ! .. أما قبل وفاته فقد كان كل ما يفعله فاروق هو التردد على بعض المطاعم فى شـــارع الهرم والحلمية حيث الرقص والموسيقى .. ومع ذلك فانه لم ينج من تقريع حسنين . وقد اضطر فاروق أن يوعز الى أحـــد أفراد حاشيته او خاصته ان يضع كتابا - يطبعه وينشره - ويقول - فيه : « مولانا جلالة الملك فاروق » ليس الملك الوحيد الذى يزور المطاعم العامة لأن ملك يوغوســـلافيا ، وملك اليونان ،

يترددان فى معظم سهرات الاسبوع على مطعم الاوبرج بشارع الاهرام .. وكان الملكان المذكوران يقيمان يومئذ فى القاهرة بعد فرارهما من بلديهما اثر احتلال الالمان ليوغوسلافيا واليونان .

وقال لى زميل ـ كان متصلا يومئذ بالقصر ورجاله ـ ان فاروق كان يريد ان يطلق زوجته « الملكة فريدة » منذ عام ١٩٤٢ ، لولا معارضة حسنين . وانه ـ أى فاروق ـ هم اكثر من مرة بطلاق فريدة،ولكن حسنين وقف امامه يعارض ويبصره بالنتائج الوخيمة التى تنجم عن هذا الطلاق .

ولكنه طلقها بعد وفاة حسنين !

وأذهب الى أبعد من هذا فأقول انه لو كان حسنين قد امتد به الأجل وعاش لما سافرت الملكة نازلى وبناتها الى أوربا وأمريكا لتثير من المشاكل والفضائح مازلزل قوائم العرش وهى لم تسافر الا لأنها لم تعد تطيق الحياة فى مصر بعد وفاة حسنين .

ولما وقعت المخازى التى جعلت اسم مصر سبة فى الأفواه ومنها مثلا ما ارتكب من جنايات فى حق الوطن وحق الجيش ابان حرب فلسطين .. ولكن حسنين لم يعش وكانما موته كان دقة الناقوس التى انذرت بقرب هبوب العاصفة على العرش وأسرة محمد على !

حقائق سريعة موجزة مركزة ، فيها الرد على الذين زعموا او يزعمون ان حسنين كان المسئول عن فسق وفجور فاروق .. وأنه كان عامل الانحلال والفساد فى حكم فاروق،وأنا هنا ـ فى هذه الفصول ـ اقول ما للرجل وما عليه ، ومع ذلك فأنا أعرف انني قد اغضبت اصدقاء حسنين .. واغضبت خصوم حسنين ! اغضبت هؤلاء لأنني انصفت الحقيقة ولم أحتفى مع الهاتفين بأن حسنين كان بطلا وشهيدا وقديسا مبرأ من كل عيب !

واغضبت اولئك لانني فندت اتهامهم ، وهو ان حسنين كان المسئول الاول عن فساد فاروق ! ولانني قلت ان حسنين كان مرشدا ومهذبا وقائدا ، لا قوادا لفاروق !

***

ونصل الآن الى اوائل عام ١٩٤٠ .

وفى العام المذكور عرف حسنين المطربة اسمهان ، واعجب بها ـ كما قالت هى ـ وكما أحس اصدقاؤه ، او اعجب بصوتها فقط ـ كما قال هو ـ !

وكان اسمهان ـ يوم عرفها حسنين ـ تقيم بفندق ميناهاوس وكان حسنين يزورها فى الفندق المذكور وكان اذا لم يجدها يترك لها رسالة بخطه .. وعرف نزلاء الفندق والموظفون ان كبير رجال حاشية الملك فاروق يتردد على المطربة الشابة ، وكان طبيعيا ان يخرج هذا الخبر من فندق ميناهاوس وينتشر هنا وهناك ، الى ان يصل الى القصر والذين فيه ! ودهش الذين يعرفون حسنين ويعرفون مبلغ حذره وحرصه وتكتمه .. دهشوا لقلة احتياطه ولعدم مبالاته ان يعرف الناس ان له علاقة بالمطربه اسمهان .. وذات مساء ـ وكان حسنين رحمه الله ـ جالسا فى غرفة مكتبه بقصر عابدين ـ انطلق صوت اسمهان باحدى اغنياتها المعروفة !

وروى لى حسنين نفسه التفاصيل فقال : وظننت ان أحد اجهزة الراديو العديدة فى السراى هى مصدر الصوت وانها تنقله من محطة الاذاعة .. وانتهت الأغنية وأعقبتها أغنية أخرى لاسمهان .. ثم أغنية ثالثة .. عجبت وقلت : ترى هل تذيع محطة الاذاعة هذه الليلة برنامجا خاصا لاسمهان !؟ولكن عندما انطلق صوت اسمهان بأغنية رابعة وخامسة ، شككت فى الامر وقمت من أمام المكتب ومشيت الى النافذة واطللت منها ، فرأيت «جلالة الملك» واقفا وأمامه على مائدة صغيرة جهاز فونوغراف ؛والى جانبه احد خدم القصر يحمل بضع اسطوانات .. ورفع الملك رأسه ورآنى وقهقه ضاحكا وصاح :

ـ مبسوط ياحسنين ؟

***

وأدرك حسنين ان حكايته مع اسمهان او اعجابه بصوتها ـ كما كان يقول ـ لابد ان تكون قد وصلت الى مسامع الملكة نازلى ..

فهل جزع او اهتم ؟ كلا ! بل استمر فى اعجابه وفى ترددم على اسمهان ٠

وليس لهذا التصرف من جانبه سوى تفسير واحد وهو انه كان يتعمد اثارة غيرة الملكة نازلى ٠٠ جريا على سياسته معها وهى اثارتها واثارة غيرتها ووجدها والتياعها اليه من وقت الى آخر ، والا ــ وكان رحمه الله يعرف طبيعة الملكة نازلى حق المعرفة ــ فان نار الشوق التى فى صدرها لاتلبث ان تهدأ ثم تبرد وتجمد وتموت !

ولم يكن موت هذه النار من برنامج سياسته !

وذات يوم جاءتنى أسمهان تشكو وتقول :

ــ ايه حكاية صاحبك ده ؟

قلت :

ــ صاحبى مين ؟

قالت :

ــ صاحبك اللى اسمه حسنين ٠

ضحكت انا ٠٠ وقلت :

ــ دلوقتى بقى اسمه «صاحبى اللى اسمه حسنين» وعمل ايه صاحبى اللى اسمه حسنين ؟!

قالت :

ــ كلمنى اليوم بالتليفون ومن غير بونجور او سعيدة او سلامات قال : «قولى لى يامدام اطرش ٠٠ هل صحيح اننى آزورك فى بيتك ؟» وقبل ان استطيع الرد او سؤاله عن ايه الحكاية ٠٠ عاد يسألنى :

ــ وهل صحيح انك بتزورينى فى بيتى ؟

وقبل ان ارد مضى يجيب هو على نفسه ويقول :

ــ مش كده ٠٠ لا انا ازورك ٠٠ ولا انت تزورينى ! الحمد لله ٠٠ متشكر يامدام اطرش ! ٠٠ وانهى المحادثة واقفل التليفون !

وضحكت انا طويلا وقلت لها :

ــ ولم تفهمى ايه الحكاية ؟

قالت :

ـ لا .. لم افهم ؟

قلت :

ـ حسنين كان يكلمك ، والى جانبه شخص آخر ، لابد انه كان يحقق معه في علاقتك به .. ولقد اراد حسنين ان يبرىء نفسه من هذه التهمة ، فطلبك في التليفون ووجه اليك الأسئله وتولى هوالاجابة عليها ولكن بطريقة يفهم منها الشخص المذكور انها اجابتك انت ..

وصاحت اسمهان غاضبة :

ـ تهمه ! .. معرفتي تهمة ؟..

وانطلقت رحمها الله ـ تسب وتشتم .. ثم كأنها تذكرت شيئا كانت نسيته .. فسألتني .

ـ ومن يكون هذا الشخص الذي يحقق مع حسنين ؟

قلت :

ـ الملكة نازلي ..

وزال في الحال غضب اسمهان ، وابتسمت غبطة وسرورا .. فقد ارضى كبرياءها ان تكون غريمتها التي تغار منها صاحبة الجلالة الملكة نازلي .

واضطر حسنين بعدئذ ان يقتصد في اعجابه بأسمهان وان يكف عن زيارتها في دارها واستقبالها في داره .

وقابلت اسمهان هذا الفتور من جانب حسنين بعدم المبالاة ومع ذلك فقد كان لايمر شهر دون ان يتحدث الاثنان معا بالتليفون .. وكان هذا الحديث بالتليفون يطول ساعات .

كان يسمع لها مثلا اغنية جديدة من الاذاعة فيطلبها في دارها بالتليفون ويبدى اعجابه بالاغنية .. او يشرح لها ماقي الاغنية من قوة او ضعف .. ويقترح عليها كذا وكيت .. وقال لها ذات مرة : ان صوتها هو أصلح صوت لغناء قصائد المرحوم الشيخ على محمود ، بل انها تغني قصيدة : «يانسيم الصبا تحمل سلامي» خيرا مما يغنيها الشيخ على محمود نفسه .

وكانت اسمهان تلقاه مثلا في حفلة ساهرة تغني فيها ويكون هو من بين المدعوين اليها .. ثم تلاحظ انه غادر الحفلة قبل نهايتها .. فتعود الى مسكنها وتطلبه بالتليفون لتعاتبه وتسأله:

هل صوتها لم يعد يعجبه ؟ والا فلماذا غادر الحملة قبل ان يسمع الوصله الاخيرة ؟

وهكذا .. ولكنهما كفا عن تبادل الزيارات .. ومع ذلك فان الملكة نازلى لم تكن مطمئنه تماما الى وفاء حسنين .. ولم تكن غيرتها وشكوكها تهدا يوما الا لتثور اياما ، وذلك لان حسنين لم يكن «اولا» حريصا على اطمئنان الملكة نازلى وثقتها في وفائه ، بل العكس هو الصحيح ، أى انه كان حريصا على ان يثير دائما غيرتها عليه وشكها في اخلاصه ووفائه .. ولانه «ثانيا» كان يجتاز مرحلة السن الحرجة التى يمر بها كل رجل وامرأة . وكان - رحمه الله - يومئذ في الخمسين من عمره .

وكان حسنين طوال عمره موضع اعجاب النساء . فقد كان فيه كل ما يعجب المرأة .. كان ممشوق القامة ، حلو الحديث، حسن الهندام ، جذابا ، مؤدبا .. اذا أقبل على سيدة يتحدث معها خيل اليها ان حسنين لايرى سواها ولا يهتم بسواها .. وكان الى جانب هذا رياضيا ممتازا وبطلا مبرزا من أبطال السيف ، ورحالة مشهورا جاب مجاهل الصحراء وجابه اخطارها ، واكتشف واحة أو واحتين ودوى نبأ اكتشافاته في جوانب العالم ، وكرمته الدول والهيئات العلمية العالمية .. ونال من الأوسمة والنياشين الاجنبية مالم ينل مصرى في مثل سنه ..

وكانت ثقافته واسعة متعددة الألوان .. كان يستطيع ان يتحدث بسهولة وانطلاق - مثلا - في الشعر العربى القديم، والشعر العربى الحديث ، وفي المسرح ، والفرق بين المدرسة الانجليزية في التمثيل ، والمدرسة الفرنسيه وفي الصيد والقنص ، وفي الطيران ، وكان يتحدث في «الموضة» وتطوراتها وكان يمكنه ان يناقش - وعلى قدم المساواة - اية سيدة خبيرة في الأزياء !

لم يكن عجيبا اذن ان تقبل عليه السيدات ، وان يلقى عندهن من الحظوة والقبول مالا يلقاه كثير من الرجال !

وقد قالت عنه ابنة رامزى ماكدونالد زعيم حزب العمال

السابق ، ورئيس اول وزارة بريطانيــة للعمــال ، قالت عن حسنين انه اجمل رجل قابلته في حياتها •
وقالت عنه الرحالة الانجليزية روزيتا فوريس : انه ساحر خطر مخيف !

كان يمكنه اذن ، وبحكم منصبه الرفيع••وبفضل الاوساط والبيئات التى يتحرك فيها •• كان يمكنه ان يختار اى عدد يشاء من الصداقات والصديقات من بين من نسميهن «سيدات الطبقة الراقية» ولكن حسنين كان «ذواقه» وكان ذوقه شعبيا آصيلا !
كان يجد راحه ومتعة مابعدهما راحة ومتعة فى الجلوس ـ فى غير كلفه ـ مع بنات الشعب من الراقصات والمغنيات !
وكان حديثه ممتعا حقا وهو يشرح لون الجمال او «الحلاوة» فى كل منهن !•
مااجمل المطربة لـ ••• مثلا مااجملها لو لبست «الملاية اللف وعقصت منديل الظرافة على جبينها فوق الحاجبين» •• ودقات «شبشبها» مع رنة الخلخال !
ويحاول ـ رحمه الله ـ ان يقنع المطــربة المذكورة ، بلبس «الملاية اللف» ومن تـحتها القميص «التوالى» !
وهكذا •• دخلت اســمهان ، ثم خــرجت من حيــاته ولو الى حين !
ودخل معهــا فى نفس الوقت عــدد عــديد من المغنيــات والراقصات ••
وأمسى رجال القصر والحاشية يتندرون «بغزوات» حسنين •• مع الراقصة فلانة •• او المطربة علانة ••

ووجد فاروق في هذه القصص مادة يتشفى بها من امه الملكة نازلى التى جحدت ذكرى أبيه الملك احمد فؤاد •• وفرطت فى واجبات مقامها السامى بصفتها ام ملك مصر ••
مضى فاروق يتشفى ـ ولم يدر انه يخدم مصــلحة حسنين بنقل هذه الاخبار الى امه الملكة نازلى •
واخيرا••فاضت كأس الصبر ، وحزمت الملكة نازلى حقائبها وسافرت غاضبة ثائرة الى فلسطين ••

ولم يكن في وسعها ـ والحرب العالمية الثانية قائمـة ـ ان نسافر الى اوروبا ..

سافرت اذن الى فلسطين وأقامت في القدس بفندق الملك داود .. وكان هذا في اواخر عام ١٩٤٢ ..

وطالت غيبتها عن مصر .. وبدأت الأخبار ترد على القصر ، وكيف ان صاحبة الجلالة نازلى ملكة مصر أمضت السهرة في رقص متواصل مع بعض الضباط الانجليز ..!

وكنا ـ كماقلت ـ فيزمن الحرب .. وكانت القدسمملوءة بالضباط الشبان الانجليز !.

ومرة أخـرى لجأ فاروق الى حسـنين وطلب منـه ان ينقـذ المـوقف وان يسـافر الى القـدس ويعـود ومعه الملكة نازلى ..

ولكن حسنين رفض هذه المرة ان يلبى نداء «مولاه» وينقذ الموقف . واعتذر من عدم السفر بأسباب شتى لم يكن منبينها السبب الصحيح ..

وكان السـبب الصـحيح لامتناعه عن السـفر الى القـدس هو خـوفه من ان يقابل أسـمهان في فـندق الملـك داود ، فان أسـمهان كانت قد عادت الى زوجهـا حسن الاطـرش أمير جبـل الدروز وعقـد قران الاثنين في شـهر اغسطس عام ١٩٤١ في حفلة كبيرة اقيمت في دمشـق وشهدها الجنرال كاترو ..

وكانت اسمهان تضيق بالحياة مع زوجها .. وبالحياة في جبل الدروز .. ومن ثم كانت تقوم برحلات عديدة في كل شهر تقريبا الى القدس وبيروت .. وخصوصا القدس وكانت تختار الاقامة بفندق داود ..

وكان حسنين يعرف هذا .. ومن هنا اعتذر من عدمالسفر الى القدس .. والا فماذا يكون الموقف ؟ ، او ماذا يكونموقفه وماذا يفعل اذا التقى بأسمهان ؟..هل يتجاهلها؟.. آويحييها كما يجب ان يحيى الصديق صديقه ؟!

وماذا يكون موقفه إذا وجدنفسه فياحدى قاعات الفندق.. او في قاعة الرقصمع نازلى ملكة مصر .. وأسمهان اميرةجبل الدروز ؟

وكانت اسمهان اذا دار الشراب برأسها قادرة على عمل كل شيء .. جسورة جزيئة لاتهاب احدا ولا تبالى بشيء ..

وكان حسنين يعرف هذا .. ومن هنا رفض ان يسافر لانه خاف من ان تنتهز اسمهان فرصة وجوده ووجود الملكة نازلى لكى تفتح « محضر تحقيق » مع نازلى .. تحقق فيه معها فى موضوع «محضر التحقيق» الذى كانت جلالتها اجرته بشأنها مع حسنين ..!

وتظهر الحقيقة ويقع حسنين بين مطرقة الملكة نازلى وسندان اسمهان !!

وهكذا .. اعتذر حسنين من عدم السفر .. ولكنه اقترح على الملك فاروق ان يعهد بهذه المهمة الى «رفعة» رئيس الوزراء مصطفى النحاس «باشا» وقال : ان رفعته هو خير من يصلح للقيام بهذه المهمه لأن جلالة الملكة نازلى وفدية «هكذا !» مثل المرحوم والدها عبد الرحيم صبرى باشا الذى كان من اخلص الوفديين واصدقهم تأييدا للزعيم سعد زغلول ..ولأنها تحترم النحاس «باشا» وتكن له صداقة اكيدة .. ومن هنا لن ترفض لرفعته طلبا او مشورة ..

وفوتح مصطفى النحاس «باشا» فى الامر .. وسر «رفعته» سرورا كبيرا وقال : انه يعد هذا التكليف من جانب «الفاروق» شرفا وثقة يعتز بهما مدى الحياة !

وسافر السيد مصطفى النحاس ومعه السيدة حرمه الى القدس .. ونجح فى مهمته ، واستجابت الملكة نازلى فعلا لرجائه ، وعادت الى مصر ..

عادت ، ولكن على شرط .. ولا اعرف ماذا كانت نازلى قد فاتحت النحاس « باشا » فى موضوع « شرطها » هذا او لم تفاتحه .. ولكنى اعرف انها لم تكد تعود الى مصر حتى فاتحت ابنها الملك فاروق فى امر زواجها برئيس ديوانه احمد محمد حسنين ، وطلبت منه أن يصدر أمره الى حسنين بأن يتزوجها .. ! لأن حسنين — كما سبق ان قلت — كان صارحها بانه لايمكن أن يتزوجها خوفا من أن يطرده الملك من خدمته وهو رجل فقير .. الى آخره .

ولكن اذا امره الملك ان يتزوجها فلا خوف عليه اذن من الطرد .. وهل يطرد فاروق زوج امه ؟!

ولم يشأ فاروق ان يتقهقر امام امه نازلى او يسلم لها بطلبها دون قيد او شرط .. لأنه وافق ، ولكن بشرط ..!

وهذا الشرط ان تكتفى نازلى بعقد زواج عرفى !..

وهكذا كان .. وتزوج احمد حسنين ابن المرحوم الشيخ محمد حسنين العالم الأزهرى بالملكة نازلى ، ارملة الملك احمد فؤاد ، ووالدة صاحب الجلاله فاروق الاول ملك مصر ..

وكان احد شهود عقد الزواج المرحوم الاستاذ سليمان نجيب مدير دار الاوبرا .. وكان حسنين يثق كل الثقة فى حذره وكتمانه .. ومثله الملك فاروق .

ولقد حاولت ان اعرف اسم الشاهد او الشهود الآخرين .. وكذلك اسم المحامى الشرعى الذى عقد هذا الزواج العرفى ، فلم اوفق .

وربما كان الشاهد الآخر هو المرحوم مراد محسن باشا ناظر الخاصة الملكية .. او لعله كان احد خدم فاروق المقربين ..

ربما .. وربما .. ولكننى لا استطيع ان اقطع بقول .

***

واختارت الملكة نازلى سراى الدقى التى ورثتها عن ابيها عبدالرحيم صبرى لتكون دارا للزوجية .. تقابل فيها «عريسها» حسنين !.. لأن نازلى ـ ولعلها المرة الاولى ـ خجلت او استحيت من ابنها ان تقابل زوجها فى جناحها بقصر القبة او بقصر عابدين حيث كان يجتمع بها زوجها الأول الراحل .. أحمد فؤاد !..

ولم تمض شهور معدودات على عقد هذا الزواج ، حتى بدت اولى ثمراته .. يوم رشح فاروق رئيس ديوانه احمد حسنين باشا للوزارة الجديدة التى كان مقدرا لها ان تخلف وزارة النحاس باشا فى شهر ابريل عام ١٩٤٣ ..

وسوف اتناول بالتفصيل هذه المرحلة من حياة احمد حسنين حين اعرض للجانب السياسى منها واكتفى الآن بعرض رؤوس المسائل او العناوين :

١ ـ قامت وزارة ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ، برئاسة مصطفى النحاس «باشا» على كره من الملك فاروق ، وحسنين الذى كان بعد حادث ٤ فبراير لطمة على وجهه وفشلا مخجلا لسياسته كرئيس لديوان الملك ٠

٢ ـ اقسم حسنين لفاروق على ان يرد له اعتباره ٠٠ وان ينتقم من السفير البريطانى مايلز لامبسون ٠٠ ومن رئيس الوفد مصطفى النحاس ٠

٣ ـ قدر حسنين ان الفرصة مواتية لاقالة مصطفى النحاس ووزارته من الحكم ٠٠ فى ابريل عام ١٩٤٣ ٠

٤ ـ قال فاروق لحسنين باشا انه يطلق يده فى الموضوع وانه يعهد اليه شخصيا بتشكيل الوزارة الجديدة التى تقوم بالحكم بعد اقالة مصطفى النحاس باشا ووزارته ٠

٥ ـ اختار حسنين باشا فعلا اعضاء وزارته ٠٠ واعد كشفا بأسمائهم ٠٠

***

وبينما اجراءات الاقالة وتشكيل الوزارة الجديدة فى مراحلها الاخيرة ٠٠ كانت عيون الانجليز بالمرصاد !

واتصل الخبر بمايلز لامبسون ٠٠ وابرق الى لندن بالتفاصيل ٠٠ وجاء الرد فورا من لندن فى شكل انذار وهو ان الحكومه البريطانية ترى ان الحرب توشك ان تدخل فى مرحلة دقيقة حاسمة وهى غزو اوربا التى تحتلها جيوش هتلر ومن ثم فانها ـ اى لندن ـ لاتسمح باجراء اى تعديل فى الاوضاع القائمة فى مصر ٠٠ وتنصح ببقاء وزارة الوفد ومصطفى النحاس باشا فى الحكم !!

وحمل السفير البريطانى مايلز لامبسون هذا الانذار الى الملك فاروق ٠٠

وكنت اود ان اقف بالحديث هنا عن قصة نازلى ، وحسنين ٠٠ وحسنين واسمهان ٠٠ وان انتقل الى الجانب السياسى من حياة احمد حسنين باشا ٠٠

ولكننى وقد عرضت لعلاقة حسنين باسمهان ٠٠ ارى ان امضى فى القصة الى نهايتها ٠٠ وكيف ان اسمهان عادت

واتصلت بحسنين فى عام ١٩٤٤ ، وما كان لهذا الاتصال من اثر فى حياة زوجها المرحوم احمد سالم ٠٠ وبسببه اطلق عليها الرصاص ، ثم حاول الانتحار الى آخره ٠٠

وما كان لهذا كله من اثر فى العلاقة بين الزوجين : الملكة نازلى ، وحسنين ٠٠

والقال والقيل ٠٠ اللذان احاطا بحسنين عقب حادثة احمد سالم واسمهان ٠٠

ووزارة الوفد ، وكيف ارادت ان تستغل هذه « الفضيحة » ضد عدوها رئيس الديوان أحمد حسنين ؟

وهل كان هذا كله — اى حكاية حسنين ، واسمهان ، واحمد سالم — هل كان سببا لعدم اختيار حسنين باشا لرئاسة الوزارة التى خلفت وزارة النحاس باشا التى اقيلت فى ٨ اكتوبر عام ١٩٤٤ ؟ مع انه كان المرشح الوحيد لرئاسة الوزارة قبل ذلك بعام او نحو ذلك فى ابريل عام ١٩٤٣ ٠٠

كانت اسمهان قد ضاقت بحياة الزوجية وقيودها ٠٠ وضاقت بغيرة زوجها حسن الاطرش ٠٠ وضاقت بالحياة المملة الرتيبة فى قصر زوجها بالسويداء عاصمة جبل الدروز ٠٠ ومن هنا راحت تلتمس أوهى الاسباب للسفر حينا الى بيروت، وحينا الى القدس ٠٠ حيث الحياة مرحة طليقة لا قيود ولا رقابة زوج محب غيور !

بل وأمكنها أن تقنع زوجها الامير حسن الاطرش ، بالحضور معها الى مصر مرة ومرتين ٠٠ ونشرت الصحف خبر حضور سعادة الامير حسن الاطرش محافظ جبل الدروز ومعه زوجته الاميرة آمال الاطرش !

وآمال هو اسمها الحقيقى ٠٠ أما « اسمهان » فاسم مستعار لدنيا المسرح والغناء ٠

***

عادت اذن الى مصر ٠٠ فى صحبة زوجها ، وفى يدها جواز سفر دبلوماسى أعطتها اياه سلطة الانتداب الفرنسى فى سوريا بصفتها زوجة زعيم درزى كبير ، ومحافظ لجبل الدروز ٠

وكان الاستاذ زكى سعد أحد مديرى البنك الدولى الآن ٠٠ كان يومئذ مديرا لادارة الجوازات والجنسية ، وأنا أعرف — ومما

سمعته منه شخصيا ـ انه لم يكن يحسن الظن كثيرا بالمطربة اسمهان ، وانه كان يعارض في اقامتها بمصر ·· وكان يرفض تجديد الاذن لها بالاقامة··بل وحدث مرة انه استمضى رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام ـ وكان يومئذ صاحب الدولة حسين سرى باشا ـ استمضاه أمرا باخراج اسمهان من الديار المصرية ·

وجاءتني اسمهان يومئذ تبكي ! ·· وزرت « صاحب الدولة» رئيس الوزراء فى مكتبه ·· وتفضل الرجل يومها واستجاب لوساطتي والغى أمر الاخراج ، وأمر وكيل وزارة الداخلية بتجديد اذن الاقامة لاسمهان لمدة عام ! ··

وها هي ذي اسمهان تعود الى مصر ·· والاستاذ زكي سعد لا يستطيع أن يمنعها من الدخول ، فقد عادت بصفتها زوجة لرجل له جاهه ونفوذه ومقامه الرسمي في قطر عربي شقيق ·

وطابت لها الاقامة في مصر ·· ولما عادت الى سوريا مع زوجها بعد الزيارة الاولى ·· غادرت مصر وهي كارهة ·

وفي الزيارة الثانية لمصر ·· كانت اسمهان قد انتوت أمرا ، وهو ألا تعود مع زوجها الى جبل الدروز ·

وطلبت منه ان يطلقها ·· ورفض هو الطلاق··وهنا فعلت ما كانت تفعله في كل مرة تريد فيها الطلاق وهو محاولة الانتحار،وتناولت عددا كبيرا من أقراص الأسبرين ·· وطلقها زوجها حسن الاطرش ·· وتركها في القاهرة وعاد وحده الى جبل الدروز ·

وغاب عن اسمهان أن زواجها كان «حصانة» لها عند سلطات الامن وادارة الجوازات ·· فلما طلقت سقطت عنها « الحصانة » المذكورة ·

ولم يتردد الاستاذ زكي سعد في أن يصدر أمره بخروجها من مصر ·

وخرجت اسمهان من مصر ·· وسافرت الى القدس واقامت كعادتها في فندق الملك داود ·

وكانت تمضي ايامها في التنقل بين بيروت « فندق سان جورج » وبين القدس ·· ولكنها لم تجرؤ على العودة الى سوريا

او جبل الدروز ، لأنها كانت تعلم ان زوجها السابق الامير حسن الأطرش حاقد عليها ، وانه صاحب نفوذ وسلطان وأتباع موالين مخلصين مطيعين طاعة عمياء .

وأن رصاصة طائشة — أو يقال عنها كذلك فى محضر التحقيق — قد تصيب منها مقتلا !

ومن هنا وزعت أيامها — كما قلت — بين القدس ، وبيروت ..

ولم يلبث المال الذى كان بيدها أن تبدد فقد كانت — رحمها الله — مسرفة كل الاسراف .. وجاء يوم عجزت فيه عن تسديد حساب الفندق .

وحجزت ادارة فندق الملك داود على حقائب ثيابها واضطرت اسمهان أن تبيع الحلى القليلة التى كانت تقتنيها وأن تقترض من هنا ومن هناك .

***

وبينما هى فى هذه الورطة أو هذه المحنة زار القدس الاستاذ اسكندر الوهابى وكان يشغل يومئذ منصبا كبيرا بوزارة الخارجية المصرية .. وأعجب بأسمهان ، وسحره صوتها وفتنتها .

وكان طبيعيا أن ترجوه أسمهان أن يتوسط بما له من نفوذ فى امر السماح لها بالعودة الى مصر .. لكى تستأنف الغناء والعمل فى السينما .. وعاد الاستاذ اسكندر الوهابى الى مصر ، وتحدث الى الاستاذ حسين سعيد خال الملكة فريدة — وكانت لا تزال يومئذ ملكة مصر — وأطنب له فى وصف أسمهان وفى جمال صوتها وفى فتنتها وسحرها .. الخ .

وكان الاستاذ حسين سعيد يشغل يومئذ منصب مدير ستوديو مصر للسينما وسافر حسين سعيد الى القدس وقابل أسمهان . ووقع بدوره آسير فتنتها وسحر صوتها .

ووقع معها — بالنيابة عن ستوديو مصر — عقدا للعمل فى الافلام التى تنتجها وتخرجها شركة مصر للسينما والتمثيل ونص فى العقد على أن أجر أسمهان عن عملها فى اول فيلم هو ثلاثة عشر ألف جنيه ، وهو مبلغ يزيد كثيرا على الأجر الذى كانت تحصل عليه كبيرات الممثلات والمطربات فى ذلك الوقت .

وعاد الاستاذ حسين سعيد الى القاهرة ليبذل مساعيه الحميدة

من أجل الاذن لاسمهان بالعودة الى مصر ، وسمعنا يومئذ أنه بذل هذه المســـاعي عند السيدة حرم « رفعة » رئيس الوزراء يومئذ مصطفى النحاس « باشا » ٠

ونترك القاهرة ٠٠ ونعود الى القدس ٠٠ حيث كانت اسمهان لا تزال مقيمة بفندق الملك داود فى انتظار وصـــول الاذن لها بالعودة الى مصر ٠

هذا ٠٠ وقد سددت ديونها للفندق من العربون السخي الذى حصلت عليه بموجب نصوص عقدها مع شركة مصر للســـينما والتمثيل ٠

وذات يوم نزل بالفندق الاستاذ أحمد سالم والفنانة المعروفة تحية كاريوكا ، وكلاهما كان صديقا لاسمهان ٠ غير أن تحية لم تلبث أن غادرت القدس الى لبنان وحلب لاحياء بعض حفلات الرقص التى كانت تعاقدت عليها ٠

وتركت أحمد ســـالم فى القدس ينتظر عودتها ٠٠ ولكنها عندما عادت من حلب وجدت أن أحمد سالم قد تزوج اسمهان بعقد زواج شرعى صحيح ٠

***

ونعود الآن الى القاهرة والى ادارة الجوازات والجنســـية ٠٠ وجدت الادارة المذكورة أن امامها طلبا قويا مؤيدا بأســـباب قوية مشروعة ٠٠ هذه السيدة ــ أسمهان ــ كانت تعمل فى مصر وفى محطة الاذاعة كمطربه محترفة ٠٠ وأفراد أسرتها ٠٠ ووالدتها وشقيقاها الاثنان يقيمون فى مصر ٠

وبيدها عقد اتفاق على العمل مع شركة مصر للســـينما والتمثيل ٠٠

ثم هى أصبحت بموجب عقد شرعى صحيح زوجة لمصرى ، هو أحمد سالم رحمه الله ٠

وفوق هذا وذاك لا يمكن لها أن تغفل وساطة أو شـــفاعة السيدة حرم رئيس الوزراء ٠

واخيرا ، لا آخرا ، بسبب قوى آخر ولعله أقوى الاسباب وقد قص على الاستاذ زكى سعد نفسه هذه التفاصيل ونحن فى قطار القاهرة ــ دمياط ذات يوم فى صيف علم ١٩٤٥ ــ قال

ســـيادته ـ وهو كما قدمت ـ لم يكن يحسن الظن كثـــيرا باسمهان ، ... قال لى :

ـ كان فى امكانى الا أقيم أى وزن لعقد اسمهان مع ستوديو مصر للسينما ، وان أرفض الاذن لها بالعودة الى مصر .. كذلك لم يكن لزواجها من أحمد سالم أى وزن من الجهة القانونية لأن اسمهان رعية اجنبيه والقانون القائم يومئذ لا يعترف بزواج المصرى من أجنبية الا بعد موافقة وزارتى العدل والداخلية .. فاذا لم يحصل الزوجان على هذه الموافقة فان زواجهما لايمكن ان تترتب عليـــه اية نتائج بالنسبة لنا فى ادارة الجوازات والجنسية .

ومضى الاستاذ زكى سعد فى حديثه وقال :

ـ كان يمكننى اذن أن أرفض الاذن لها بالدخول الى مصر ، ولكنى تلقيت تقريرا من قنصليه مصر بالقدس جاء فيه : ان الأمير حسن الاطرش أقام قناصـــة من الدروز على الحدود بين فلسطين وسوريا وأمرهم باطلاق الرصاص على زوجته السابقة اسمهان اذا هى حاولت العودة الى سوريا . وهذا الخطر القاتل قد يكمن لها كذلك عند حدود لبنان ـ فلسطين ! ولهذا السبب راجعت نفسى وضميرى اذ لم يكن فى استطاعتى أن احكم بالنفى المؤبد على اسمهان فى القدس ، أو بالموت اذا هى حاولت مغادرة فلسطين الى سوريا او لبنان .

راجعت نفسى وسمحت لها بدخول مصر والاقامة فيهـا وقد زارتنى فى مكتبى عقب وصولها الى القاهرة ، فحدثتها طـويلا عن السبب الحقيقى الذى حملنى على السماح لها بدخول مصر ، ثم قلت لها : « اننا نعدك ابنة لمصر لانك أمضيت فيها من سنى حيـاتك أكثر مما أمضيت فى وطنك .. ولا مانع عندنا مطلقا من أن تقيمى فى مصر ما طابت لك الاقامة فيهـــا ، ولكن على شرط ألا تسمع عنك السلطات الا ما يسر » .

***

وهكذا عادت اسمهان الى مصر .

ولقد فهمت هى من حديث الاستاذ زكى ســـعد معهـا ان السماح لها بالعودة الى مصر لم يكن بسبب عقدها مع ســتديو

مصر ، ولا بسبب زواجها من احمد سالم ٠٠ وكانت تزوجته لكى تستطيع العودة الى مصر ٠

ولكن هذا الزواج لا دخل له بموضـــوع اقامتها فى مصر ، ولا يقدم ولا يؤخر ، كما فهمت من حـــديث مدير الجوازات والجنســـية ٠

وكان لهذه الحقيقة أثر فى نفس اسمهان ، أثر لم يلبث أن بدا فى سلوكها مع زوجها احمد سالم ، وذلك ان اسمهان بدأت تضيق بحياة الزوجيةوبقيود الزواج وبغيرةاحمد سالم وبسؤاله ابن كانت ؟ واين امضت ســهرتها ؟ ومع من ؟ ومن الذى كان يحدثها بالتليفون ؟ ولماذا قطعت حديثها التليفونى عندما دخل؟!

وبدأ الخلاف والخصام بين الزوجين ٠

وذات يوم ، ذهبت أسمهان الى مسكن تحية كاريوكا تطلب مقابلتها ٠

وكان طبيعيا أن تعجب تحية وتدهش ٠٠ ما سر هذه الزيارة وما وراءها ؟ ٠

لقد كانت آخر مقابلة بينهما ـ بين تحية وأسمهان ـ بفندق الملك داود بالقدس، يوم عادت تحية من حلب «سوريا»ووجدت أسمهان قد اختطفت منها أحمد سالم وتزوجته ٠

وكان شتم وسب وخصام بين أسمهان وتحية ! ٠٠

وهاهى ذى اسمهان تزور تحية ٠٠ وتطلب مقابلتها!وتحية طيبة القلب ٠٠ ولقد رحبت بأسمهان وأحسنت أستقبالها ٠

وقالت أسمهان :

ـ علوزه منك خدمة ؟ ٠٠

ـ بكل سرور ٠٠

قالت :

ـ عاوزه تطلبى احمد سالم اليوم بالتليفون فى الســاعة كذا ٠٠ وسوف أرد أنا على التليفون ٠٠ وتطلبى منى أن تكلمى زوجى احمد سالم ٠

وشرحت اسمهان لتحيه السر والسبب ٠

ووافقت تحية ٠٠ وأية امرأة لا توافق فى مثل ظروفها على السخرية والهزء من رجل كان تخلى عنها من أجل امرأة أخرى ٠٠

وكانت أسمهان واحمد سالم يعيشان معا فى ذلك الوقت فى « فيللا » أستاجرتها اسمهان بشارع الهرم ·

وفى الساعه المحددة دق جرس التليفون عند اسمهان وكان زوجها أحمد سالم موجودا معها ·· وتناولت هى السماعة ·

وسمعها أحمد سالم تقول : «ايوه موجود ! ·· ومين عاوزه ؟! وعايزاه ليه ؟ طيب ·· حاضر ·· ماتزعليش آهو جاى يكلمك!»

ثم التفتت الى احمد سـالم وقالت بابتسـامة ذات معنى أو معان :

ـ تحية كاريوكا عايزه تكلمك ياسى احمد !

وكانت مفاجأة للمسكين ·· وقام وتناول سماعة التليفون وقد وقفت بجانبه اسمهان ·· تنصت الى الحديث ·

ولم يكد أحمد سالم يقول : «آلو» حتى انطلقت تحية بصوت عال مجلجل تعاتبه وتوبخه على اخلافه وعوده ومواعيده وتقول له انها لم تطلب مقابلته ، وانه هو الذى طلب مقابلتها وألح وألحف فى الرجاء حتى قبلت ·· وحددت له الساعة ·· فلماذا لم يحضر فى الميعاد المتفق عليه ·· ودى مش أخلاق ·· ومش آداب الى آخره ·

هنا ·· والمسكين فاغر فاه ـ وقد اخذته المفاجأة ـ لا يعرف ماذا يقول ؟!

وأنهت تحية حديثها وقطعت المواصـلة التليفونية ·· ولم تترك له أسمهان وقتا يفيق فيه من دهشـته ·· بل أخـذت بخناقه تهزه بعنف وتقول له :

ـ يا انا ·· يا انت فى البيت ! مش ممكن أعيش معاك ·· طلقنى ·· !

ومشهد عاصف ·· وبكاء ودموع ·· وأقسام وايمان واسرع احمد سالم ـ رحمه الله ـ الى غرفة الحمام ، وتناول زجـاجة ما ، فيها مطهر مما يستعمله النسـاء فى أمورهن وأفرغ مافى الزجاجة فى جوفه ، يريد الانتحار ·

وعلا الصراخ والعويل ·· ودقت تليفـونات ·· واسرع الى « الفيللا » أصدقاء وصديقات الزوجين ·

وحضر الطبيب على عجل ·· وغسلت معدة الزوج المسكين وتم الصلح بين أحمد واسمهان ·

وخرجت اسمهان من المعركة ٠٠ فى شكل « شهيدة » يخونها زوجها ٠٠ ويغازل امرأة أخرى ٠٠ ومع ذلك تصفح عنه وتغفر له وترضى بالحياة معه ! ٠

ومن حق هذه الزوجة بعد ذلك آن تقول لزوجها : «حسبك» ولا تتشدد معى فى الحساب أين كنت ؟ ومع من كنت !؟

ولكن احمد سالم لم يكن ذلك الزوج ٠٠ فقـــد مضى يدقق فى الحساب ويحاسب زوجته عن كل كبيرة وصغيرة وعن كل ساعة لا تمضيها معه ٠٠ أين كانت ؟ ومع من كانت ؟!

واخيرا داخله الشك فى امرها ٠٠ ولكنه لم يصارحها بشكوكه ٠٠ بل مضى يراقبها ويتبعها دون أن تعلم ! ٠

ورآها ــ دون أن تراه ــ رآها تخرج من دار حسنين باشــا بميدان عبد المنعم فى الدقى ٠

وذهب الى دكان بقالة قريب ، وطلب حسنين باشا بالتليفون فى داره ٠٠ ولما رد حســـنين قال له انه لايعرف كيف يبـدأ حديثه ؟ ٠٠ فهو يحترم حسنين باشا ويقدر صفاته الممتازة ٠٠ ولكنه كزوج يغار على زوجته وله حقوق ٠٠ ثم قال :

ــ ومن حقى آن اسأل رفعتك ماذا كانت تفعل زوجتى عندك ؟ ولماذا تزورك من غـــير علمى ومن غير اذن منى ؟ بل ــ وانت جنتلمان ــ لماذا تستقبل فى دارك ســيدة متزوجة من غير ان يكون زوجها معها ؟

فاذا كنت دعوتها لزيارتك ، فان من حقى ان أســألك لماذا لم تدعنى معهـــا ؟ ٠٠ واذا كانت هى قد زارتك من غـير أن تدعوها فان المسألة تحتاج الى تحقيق فى الاسباب والظروف ٠ الى آخره ٠٠

واصغى حسنين الى « عتاب » أو حساب احمد سالم فى صبر حليم ٠٠ ولما تكلم كان فى صوته حزن وأسف !

حزن وأسف المظلوم البرىء الذى اتهمه أحمد سالم فى اغلى ما يعتز به وهو شرفه وعفته ونزاهته !

قال ــ رحمه الله ــ بصوت هادىء حزين :

ــ عيب يا أحمد ! دا انت زى ابنى ٠٠ ومراتك زى بنتى ٠٠ وانا كنت فاكر انها قالت لك ، وانك عارف بزيارتها لى ٠

ومضى حسنين يقول : « انه مثل جميع من في البلد ـ يعجب بصـوت آمال « اسم اسمهان الحقيقى » ويهمه حقيقة ألا تغنى الا ما يوافق طبقات صوتها ٠

ومضى حسـنين باشا ـ رحمه الله ـ فى حديث فنى عن الموسيقى والاغانى والصوت وطبقاته ٠

ثم قال : ان آمال زارته لكى تستأنس برأيه فى أغانى فيلمها الجديد القادم : فيلم « غرام وانتقام » ٠

وانتهت المحادثة !

وتظاهر احمد سالم بأنه صدق حسنين واقتنع ٠٠ ولكنـه ـ طبعا ـ لم يصدق حرفا مما قاله حسنين ٠

وعاد الى داره ، أو دار اسمهان ليسألها : لماذا زارت حسنين باشا ، ولماذا لم تستأذنه فى هذه الزيارة ؟

واجابت : بأن حسنين صديق قديم ، وانها عرفته من قبل أن تعرف أحمد سالم ، وليس فى نيتها ان تقاطع اصـدقاءها القـدامى من أجله ٠٠ كما انه ليس من عادتها أو طبعهـا ان تستأذن احدا فى زياراتها ٠٠ وانها حرة تزور من تشـاء فى أى وقت تشاء ٠

ـ واذا لم يعجبك ٠٠ فأنت حر ! وطلقنى وارح بالك وبالى ٠

وكلام كثير فى هذا المعنى ٠

ومرة اخرى حاول المسكين الانتحار ٠٠ واسعفوه وانقذوه ٠

وبدأ احمد سـالم يسرف فى شرابه ٠٠ يحاول أن يخدر اعصابه الثائرة ٠

وكانت اسمهان كذلك تدمن الشراب ٠

وهكذا مضت الحياة بينهما فى شراب وعراك ٠

وذات مسـاء انتصـف الليل ولم تعد اسمهان ٠٠ وجلس أحمد سالم ينتظر ٠

والساعة الاولى صباحا ، ولم تعد اسمهان وتناول احمـد سالم التليفون وسأل عنها فى دار صـديقة لها ـ كانت تكثر يومئذ من التردد عليها ـ وقالت الصديقة المذكورة ان اسمهان كانت زارتها بعدظهر اليوم ولكنها انصرفت قبل الثامنة مساء ٠

واخيرا ٠٠ وفى نحو الساعة الثالثة صباحا ، عادت أسمهان

ووجدت زوجها قائما ينتظر ! وشيء ما في عينيه أخافها وحبس أنفاس التحدي في فمها ٠

سألها اين كانت ؟ فتلعثمت واضطربت ٠٠ واخيرا قالت : انها كانت عند صديقتها فلانة !

وذكرت اسم الصديقة التي كان احمد سالم سألها ، وعرف منها ان اسمهان تركتها قبل الساعة الثامنة مساء !

قال ـ رحمه الله ـ وهو يصر على أسنانه :

ـ كنت عندها لدلوقت ؟ ٠

قالت : نعم ٠٠

قال : ولكنى سألتها عنك فقالت انك انصرفت من قبل الساعه الثامنة ٠

وسكتت أسمهان ٠٠ فقد احست للمرة الاولى بالخوف من زوجها احمد سالم !

وعاد يسألها :

ـ كنت فين الدلوقت ؟ ٠٠ عند حسنين ؟

ووثب واقفا ٠٠ ولكنها كانت أسرع منه الى الباب ! وكان ـ رحمه الله ـ قد اخرج من جيبه مسدسا ٠٠ صوبه اليها وهي تجري وأطلق النار ، ولكنه لم يصبها وهربت اسمهان ولجأت الى دار احد جيرانها حيث أمضت مابقى من الليل ٠

واتصلت بالتليفون باللواء سليم زكي حكمدار بوليس القاهرة يومئذ وكانت صديقة له ولأسرته وابلغته ان زوجها احمد سالم اطلق عليها الرصاص يريد قتلها ، وطلبت منه ان يحميها ٠

وأوفد اللواء سليم زكي ـ رحمه الله ـ الاميرالاى امام ابراهيم ليحاول اصلاح الامر ما بين الزوجين ، وكان سليم زكي يعرف بحكم صداقة أسرته لأسمهان او آمال الاطرش ٠٠ كان يعرف كل ما يحدث في بيت الزوجية ٠

***

وذهب الاميرالاى امام ابراهيم الى « الفيللا » التي كانت أسمهان تقيم فيها هي وزوجها احمد سالم ٠

ووجد احمد سالم متمددا فوق فراشه ٠٠ وقد شد فوقه الغطاء ٠٠ وكأنه يحاول ان يخفي تحته شيئا ما كان بيده !

وانطلق احمد سالم يسب ويشتم في اسمهان وفي حسنين وحاول امام ابراهيم ان يهدىء من ثورته ، ثم حاول ان يقترب منه ولكن احمد سالم صاح به ان يقف فى مكانه ولا يقترب واعلن ان بيده مسدسا وانه سوف يطلق الرصاص على كل من يحاول القبض عليه !

ودارت مناقشه بين الرجلين ·

امام ابراهيم يتكلم بهدوء ولطف يحاول ان يهدىء من ثورة احمد سالم وان يقنعه ان ليس هناك ما يخشاه ·· ويحـاول في نفس الوقت ان يقترب قدما بقـــدم وخطوة بخطـوة من الفراش الممدد فوقه احمد سالم ·· !

واحمد سالم يصف اسمهان بأقبح النعوت ويروى ما فعلته وما تزال تفعله معه وكيف انها تخونه مع حسنين !

وفى لحظة ما ·· اعتقد امام ابراهيم انه اصبح على قرب كاف من الفراش ، فوثب على أحمد سالم محاولا الامساك بيده التى تمسك بالمسدس ·

وانطلقت رصاصة اصابت الاميرالاى امام ابراهيم ، واعقبتها رصاصة اخرى دخلت فى صدر أحمد سالم ، واستكنت فى احدى رئتيه !

***

وكانت الضجة الكبرى ، وخرجت الصحف تحمل العناوين بالبنط الكبير وتروى مأساة احمد سالم وأسمهان ·

ولكن الصحف لم تنشر شيئا من اقوال احمد ســـالم عن احمد محمد حسنين باشا رئيس ديوان الملك ·· لأن البوليس والسلطات كتمت الأمر عن الصحف ·

ونقل أحمد سالم تحت الحراسة ـ أو مقبوضا عليه ـ الى القصر العينى ، وقد بقى أياما طويلة فى خطر الموت ·

وقد وجهت اليه تهمة الشروع فى قتل زوجته اسمهان ·· وتهمة مقاومة واطلاق الرصاص على الاميرالاى امام ابراهيم اثناء القيام بواجبه ·

***

قلت ان الصحف لم تنشر شيئا من أقوال احمد سالم عن احمد حسنين لأن البوليس كتم الامر عن الصحف ، والنيابة لم تستطع استجواب احمد سالم لخطورة حالته ٠

ولكن الحكومة ـ حكومة الوفد أو وزارة ٤ فبراير ـ سمعت طبعا بكافة التفاصيل وكذلك سمع بها القصر وجميع من في القصر ٠

وعرفت نازلي ان زوجها احمد حسنين قد « عاد » الى اسمهان ٠٠ أو اسمهان قد عادت الى حسنين !

اما الوفديون فقد سروا سرورا كبيرا وحمدوا الله الذى مكن لهم من عدوهم رئيس الديوان احمد حسنين ٠

وأعود هنا بالقارىء الى الوراء ٠

سبق ان قلت ان حسنين كان اقسم بعد حادث ٤ فبراير الذى عده لطمة على وجهه ٠٠ اقسم على ان ينتقم للقصر ولنفسه من سفير بريطانيا ومن مصطفى النحاس ٠

وانه اعتقد في شهر ابريل ١٩٤٣ ان الفرصة مواتية للانتقام ولاقالة الوزارة ، ورد اللطمة للسفير وللنحاس ٠

ولكن لندن أرسلت انذارا الى القصر تقول فيه : انها لا تسمح في الظروف الحاضرة بتغيير الوزارة او اجراء أى تعديل في الاوضاع ٠

وعرف الوفديون يومئذ ان انقلابا أو اقالة كانت توشك ان تقع ٠٠ وان وراءها حسنين باشا رئيس الديوان !

وأضمروا الشر للرجل ٠

واصبح العداء سافرا بين حكومة الوفد ورئيس الديوان ، وذات يوم ـ وقبل حادث احمد سالم واسمهان بشهور قليلة ـ ذات يوم تقدم نائب وفدى الى « معالى » وزير المعارف بسؤال عن المدارس الصناعية التابعة لوزارته وعن نشاط « ورشها » في صناعة الاثاث والرياش ٠٠ وهل لهذه المدارس ديون عند بعض كبار الموظفين ؟ ٠

ووقف وزير المعارف يجيب على السؤال ويقول ان الموظف الكبير الوحيد المدين لاحدى المدارس الصناعية هو صاحب المقام الرفيع احمد حسنين باشا رئيس الديوان وان رفعته كان أوصى

احـــدى المدارس الصناعية على صـــنع طقم كذا وعدد موائد ومقاعد كيت .

وان المدرسة الصناعية المذكورة انجزت الطلب وارسلت الأثاث المطلوب الى حسنين باشا .. وبعثت معه بالفـــاتورة وقدرها كذا جنيها وكذا مليمات :

ولكن حسنين لم يدفع وان المدرسه طالبته مرة ومرتين .. فلم يدفع ..

وأخيرا حولت المدرسة الأوراق الى وزارة المعارف .. ومضى وزير المعارف يقول أن الوزارة قد بح صوتها من مطالبـــة حسنين باشا بسداد الدين .. ولكنه لم يدفع !

وكانت فرصة ! .. ووقف اكثر من نائب وفــدى ليخرج لسانه لرئيس الديوان ويسخر منه ويشمت بهويطالب الحكومة بأن تكون حازمة وان تفعل كذا وكذا مع المدين المماطل الذى اسمه احمد محمد حسنين !

ووقف النائب الاستاذ فكرى اباظة يدافع عن حسنين باشا ويقول للنواب الوفديين ـ وكان صديقنا يومئذ كما كان دائما من نواب المعارضة ـ وقف يقول لهم ماممناه ان هذا الدين ينهض دليلا على شرف ونزاهة وامانه احمد محمد حسنين ! .. وان هذا الرجل الذى يشغل هذا المنصب الكبير الخطير فى القصر والذى كان يمكنه ان يستغل منصبه ـ كما فعل آخرون غيره ـ ليجمع ثروة طائلة .. هذا الرجل عاجز عن سداد دين لايزيد عن مائه او مائتين من الجنيهات .

عـاجز عن سـداد الدين لانه رجـل فقير وشريف ونزيه وأمين ..

وهاج النواب الوفديون ضد صديقنا فكرى اباظة . .وعاد هو يقول ان حملتهم هـذه ضد رئيس الديوان هى صغار فى صغار !..

واشــتد هياجهم وصاح بعضــهم ان فـكرى اباظة يشـ... المجلس ..

واستمر فكرى اباظة فى الكلام .

واخـيرا طلب منـه رئـيس المجلس ان يكف عن الـكلام وان يجلس ٠

ولكن فكرى مضى فى كلامه ولم يجلس ٠

هنا وثورة النواب تزداد وهياجهم يزداد وفكرى أباظة ماض فى الكلام والدفاع عن رئيس الديوان واخـيرا أمره رئيـس المجلس بأن يخـرج ويغادر قاعة المجلس ورفض فكرى اباظة ان يخرج ٠٠

ودقت الاجراس ٠٠ واسرع حـــرس المجلس ٠٠ وامرهم الرئيس باخراج النائب المحترم فكرى اباظة من قاعة الجلسة ٠

وحمل الحراس صديقنا فكرى اباظة ٠٠ وخرجوا به وهو يصيح باعلى صوته مخاطبا نواب الوفد :«يامساكين انكم تلعبون بالنار ٠٠ انكم تلعبون بالنار ! »

***

وبعد ساعة واحدة من هذا الحادث فى جلسة مجلس النواب ذهب سير والترسمارت الموظف الكبير يومئذ بالسفارة البريطانية وقابل رئيس الوزراء مصـــطفى النحاس وقال له مامعناه ان الحكومه البريطانية التى تؤيد بقاء وزارة رفعته ضد رغبـات القصر تعد نفسها والحالة هذه مسئولة عن تصرفات الوزارة ٠

وانها لاتقر تصرفات نوابه فى جلسه اليوم وتنظر الى هذه الحملة ضد رئيس الديوان بعدم الارتياح ٠٠ وترجو من رفعة رئيس الوزارة أن يعمل شيئا يزيل به الأثر السيىء الذى خلفته هذه الحمنة الظالمة فى النفوس ٠

واقترح جنابه ان يحذف من مضبطة الجلسة كل مادار وكل ما قيل حول هذا السؤال وحول حسنين باشا ٠

ووافق السيد مصطفى النحاس ٠

وفى اليوم التالى اجتمع مجلس النواب ٠٠ ووقف النائب فكرى اباظة وبيده مضطبة الجلسة السابقة وقال ان فى المضبطة نقصا يريد ان ينبه الية :

وسأله رئيس المجلس عن النقص المذكور ، فقال :

ــ لم اجد شيئا فى مضبطة الجلسة عن حـادث طـردى من المجلس ! ٠٠

وصاح النواب المحترمون :
ــ ماحصلنش ..
وسالهم فكرى اباظه :
ــ الم تطردونى من الجلسة ؟
ــ ابدا .. ماحصلش ! ..
ــ والكلام اللى قلتوه عن حسنين باشا ؟
ــ ماحصلش ..
ــ والكلام اللى قلته انا ؟
ــ ماحصلش ..
وفكر فكرى اباظة .. وسأل قبل ان يجلس :
ــ يعنى ماحصلش سؤال .. وماحصلش جواب من وزير المعارف .. وماحصلش حاجه ابدا ؟..
وصاحوا جميعا :
ــ برافو عليك .. ادنت فهمت !.. ماحصلش !
وهكذا انتهت هذه المهزلة .. ولكنها خلفت وراءها فى نفوس الوفديين حقدا جديدا ــ ان جاز هذا التعبير ــ ضد رئيس الديوان حسنين باشا لان حذف كل مادار حوله فى الجلسة السابقة قد فوت على الوفديين غرضهم فى النشر والتشهير به!
ومن هنا كان سرورهم كبيرا بحادث احمد سالم وبأسمهان.. وبالدور الذى لعبه عدوهم حسنين باشا فى الحادث المذكور..

وارسلوا احدهم الى احمد سالم فى مستشفى قصر العينى يعرض عليه ان يوكل عنه أحد كبار المحامين الوفديين .
وكان غرض الوفديين هو ان يقف المحامى الوفدى الوكيل عن احمد سالم .. يقف فى محكمة الجنايات ويروى علنا وعلى رءوس الاشهاد قصة حسنين واسمهان وكيف ان احمد سالم هو الضحية المسكينة لرئيس الديوان الى آخره .. الى آخره .

***

وما من شك فى انها كانت تكون الضربة القاضية على احمد حسنين !

ولكن القدر شاء غير مادبر الوفديون ٠٠ ذلك انه لم تمر أيام على الحادث المذكور حتى سافرت اسمهان بسيارتها الى راس البر ٠٠ وانقلبت بها السيارة فى الترعه ٠٠ وغرقت ولاقت منيتها قبل الأوان ٠

وكان هذا فى شهر يولية ٠

وفى شهر اكتوبر — وقبل ان تعرض قضية احمد سالم على محكمه الجنايات أقيلت وزارة الوفد ٠ وهكذا نجا احمدحسنين من اكبر فضيحة كان يمكن ان تهدد مستقبله ولكنه لم ينجمن اثرها وكان من آثارها انه بعد ان كان فى شهر ابريل ١٩٤٣ المرشح الوحيد لرئاسة الوزارة التى تخلف وزارة الوفد ٠٠ عدل عن اختياره الى اختيار المرحوم الدكتور احمد ماهر ٠

وكانت ثورة الغضب فى صدر احمد سالم قد ماتت بموت اسمهان ٠٠ ومنهنا لم يقل شيئا عن حسنين باشا عندمانظرت قضيته امام محكمه الجنايات ٠٠

الكتاب الثانى

أحمد محمد حسنين
فى الحياة العامة

علي ماهر .. والاعتداء على الدستور والحياة النيابية

المذكرات التى أدونها هنا نقلا عن احمـد حسنين باشا لم اسمعها منه فى جلسة واحدة او فى جلستين بل فى عدة جلسات تمت بين عامى ١٩٤١ و١٩٤٢ .

والذى لاحظته ـ واسجله هنا ـ ان حسنين كان حريصا او محترسا الى حد ما فى حديثه عن على ماهر ايام كان هذا رئيسا للديوان ثم رئيسا للوزارة . ولم يتحدث حسنين معى بصراحة ويفرغ مافى صدره او معظم ما فى صدره عن على ماهر الا بعد خروج على ماهر من رياسه الوزارة .

كذلك ربما كان لموقف المعارضة الشديدة الذى وقفته دائما من على ماهر اثر فى اطمئنان حسنين الى وهو يتحدث عن صاحب المقام الرفيع .

***

١ ـ قال لى حسنين بصراحة انه هو المسئول الى حد كبير عن تعيين على ماهر رئيسا لديوان الملك وانه قال لفاروق ذات يوم: « اظن يامولانا انه قد حان الوقت لكى نعين على ماهر رئيسـا للديوان » .

٢ ـ وان على ماهر اخطأ فى اقالة الوزارة النحاسية الوفدية فى ديسمبر ١٩٣٧ لانه كان من رأيه ـ راى حسنين ـ ان يبقى النحاس فى الحكم اطول مدة ممكنة حتى «تبان» سيئات حكمه وحكم الوفديين امام الشعب بشكل قاطع حاسم .

٣ ـ وان الملك فاروق كان يثق فى اول الامر فى على ماهر وكان لعلى ماهر عند فاروق نفس النفوذ الذى كان يتمتـع به

مكرم عند النحاس . ولكن على ماهر بدأ يدس لمحمد محمـود رئيس الوزراء بعد اسبوعين اثنين من ايام وزارته .

٤ ـ وان على ماهر كان دائما يدس لخصومه على اساس ان هذا ذو ميول انجليزيه وان ذاك كذلك .. فبعد ثلاثة اسابيع بدأ على ماهر يصبفي اذن فاروق كلاما عن محمد محمودوكيف انه ذو ميول انجليزية . وهكذا نجح في اضعاف ثقة فاروق فى محمد محمود .

٥ ـ وان على ماهر عندما تولى منصب رئيس الديوان كانله نفوذ كبير عند فاروق الى درجة ان فاروق كان يخافه ويعمل له حسابا . بل كان اذا تأخر دقائق عن موعد مامع على ماهر اقبل يعتذر لعلى ماهر عن تأخره عن الميعاد .

ويقول احمد حسنين ان على ماهر نجح كرئيس للديوان فى أول الامر نجاحا كبيرا .. «ويومئذ حمدت الله» .. هكذايقول حسنين .. فقد وفيت الدين الذى وضعه الملك فؤاد فى عنقى وأديت امانتى وهاأنذا قد نجحت فى تعيين رئيس ديوان يعرف واجبه .

٦ ـ يعتقد حسنين ان على ماهر كان افضل رئيس ديوان وانه لولا مطامعه وشهوته فى تولى رياسة الوزارة لكان خيرا له ولفاروق وللبلد لو بقى رئيسا للديوان .

٧ ـ بعد أقل من شهر واحد من تولية محمد محمود رياسة الوزارة ـ بعد اقالة وزارة النحاس ـ بدأ على ماهر يدس له عند فاروق ويضع العراقيل عن طريق الوزارة .

وعندما وضح الهدف الذى يسعى اليه على ماهر وهو اسقاط محمد محمود لكى يتولى هو رياســة الوزارة . وأدرك فاروق ماهنالك هبطت قيمة على ماهر فى نظره الى حد ما .. بعد ان عرف ان على ماهر له مطامع شخصيه وشهوات واغراض مثل غيره من زعماء مصر .

ومن هنا فقد على ماهر كثيرا من نفوذه عند فاروق وبعد ان كان فاروق يعتمدعلى «على ماهر» امسى على ماهر هو الذىيعتمد على تأييد فاروق .

٨ ـ كان على ماهر هو الذى اشار باقالة وزارة النحاس فى شهر ديسمبر ١٩٣٧ وباسناد رئاسة الوزارة الى محمد محمود . ومع ذلك فقد سعى ـ بعد شهور قليلة ـ الى مقابلة النحاس سرا وفى ظلام الليل على كورنيش رمل الاسكندرية لكى يتآمر معه على اسقاط وزارة محمد محمود . ولما عرف فاروق بخبر هذه المقابلة مط شفتيه .. وتوالى هبوط اسهم على ماهر .

٩ ـ كان على ماهر وهو رئيس للوزارة يقول لفاروق «جاءنى السفير مايلز لمبسون اليوم وطلب منى كذا ولكننى رفضت وقلت له مش ممكن ..» ثم يعود بعد يومين ويقول لفاروق : «جاءنى السفير اليوم وطلب منى كيت وكيت .. واظن يامولانا نقدر نساوم ونعطيه ماكان طلبه منذ يومين فى مقابل ان يتنازل عن طلباته الاخيرة»

وهكذا ادركنا فى القصر ان على ماهر كان يلبى طلبات الانجليز بينما هو يتظاهر بانه صامد امامهم كالطود الشامخ .

١٠ ـ لما توفى حسن صبرى باشا كان على ماهر هو السياسى الوحيد الذى استشاره فاروق يومئذ فى الموقف . ولم يعرف احد بهذا الخبر او بمقابلة على ماهر لفاروق لان المقابلة لم تنشر فى بلاغ ديوان كبير الأمناء .

ولقد خرج على ماهر يومئذ من مقابلة فاروق وقال لخاصته « الوزارة فى جيبى » ويظهر أنه كان رشح لرئاسة الوزارة صديقه محمد محمود خليل الذى أشاع الخبر بين أصدقائه وتلقى منهم التهانى .

١١ ـ ولكن حسنين رشح لرئاسة الوزارة حسين سرى . وكانت مفاجأة غير سارة لعلى ماهر .

هذه هى المذكرات التى وجدتها مدونة فى كراسة .. ولعل القراء قد لاحظوا أنها مدونة بأسلوب اشبه ما يكون بالاختزال . بل هى تكاد تكون رءوس موضوعات .. كل رأس منها يصلح موضوعا لحديث مستفيض .

ولكننى أكتب هنا قصة أحمد محمد حسنين لا قصة على ماهر او مصطفى النحاس او محمد محمود . ومن هنا لن أعرض

لاحد من هؤلاء الا بالقدر الذى يقتضيه الحديث عن المرحـــوم أحمد حسنين ٠

وأبدأ برئاسة الديوان ٠

قلت فى الفصول السابقة أن المرحوم أحمد حسنين كان ذا مطامع واسعة ٠ وكان يسعى لان يكون الرجل الاول فى الدولة بعد الملك ٠٠ وكان البرنامج الذى وضعه ذا خطوات ٠

الخطوة الاولى رئاسة ديوان الملك ٠

الخطوة الثانية رئاسة الوزاره ٠

وبين الخطوتين ٠٠ خطوة لابد منها للتثبيت والتأمين ودعم المركز ٠٠ وهى الزواج من نازلى أم الملك ٠

ولكن بعض أصدقاء حسنين ينكر على قولى أنه كان ذا مطامع ٠٠ أنه كان يريد رئاسة الوزارة ٠٠ ويحـــاول أن يدفع عن حسنين هذه « التهمة » كأنما الطموح نقيصة أو سبة يجب أن ندفع وتفند ٠

وقد يجد هذا البعض من أصدقاء حسنين فى صدر هــذا الفصل ما يؤيد قوله ٠٠ فيسألنى لمـــاذا أشار حسنين عـلى فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان ٠٠ ولم يطلب المنصب لنفسه اذا كان ــ كما تقول ــ طموحا طامعا فى المناصب ؟

والجواب : ان حسنين كان يعرف يومئذ ــ فى أواخر عــام ١٩٣٧ ــ ان الوقت لم يحن بعد لتوليه المنصب المذكور ٠٠ وان فاروق يحب على ماهر ويثق فيه الى حد كبير باعتباره « رجل أبيه » الملك أحمد فؤاد وموضع ثقته ٠٠ وان فاروق يريد أن يعين على ماهر رئيسا للديوان لكى يقف بجانبه كما وقف الى جانب أبيه احمد فؤاد ٠

وكانت الخصومة وأسباب الخلاف قد ظهــرت وتعددت بين فاروق وحكومة الوفد برئاسة مصطفى النحـــاس ٠٠ وكانت رئاسة الديوان فى حاجة يومئذ الى رجل قوى أو «أزرق الناب» فى السياسة ومناوراتها لكى يستطيع الوقوف فى وجه الاغلبية الوفدية الكبيرة ٠٠ ولم تكن لفاروق ثقة كبيرة يومئذ فى كفاءه حسنين كسياسى ومناور أزرق الناب ٠

كذلك لم يكن من مصلحة أحمد حسنين أن يصطدم يومئــذ

بالوفد وحكومة الوفد ومصطفى النحاس وهو الاصطدام الذى كان لابد من وقوعه بين الوفد وبين الذى يتولى رئاسة الديوان.

وأمر آخر يعرفه كل الذين عرفوا أحمد حسنين ودرسوا أخلاقه .. وهو أنه كان يريد الشيء .. ولكنه ينكر أنه يريده أو يشتهيه .. وكان يتطلع الى المنصب ولكنه يزعم أنه زاهد فيه لا يريده .

كانت سياسته ــ اذا أراد أو اشتهى أمرا ما ــ أن يناور ويداور ويحاول أن يحمل أصحاب الشأن على أن يعرضوا عليه الأمر أو الشيء الذى يريده ويشتهيه .. تماما كما فعل فى أمر زواجه من الملكة نازلى .

أما ان يطلب الشيء صراحة ، فلا .. لم يكن هذا من خلق أو سياسة حسنين .. وفى ضوء هذه الحقائق وهذه الاخلاق وهذه السياسة نفهم لماذا تطوع حسنين وأشار على فاروق بتعيين على ماهر رئيسا للديوان .

لان فاروق كان يحب ويثق الى حد كبير فى على ماهر ولأن على ماهر كان الوارث الطبيعى للمنصب المذكور .. ثم سبب آخر وهو أهمها جميعا .. كان حسنين يعرف على ماهر ، ويعرف عنه ما لا يعرفه فاروق .. وكانت الوسيلة الوحيدة لان « ينكشف » على ماهر أو « يكشف عن حقيقة نفسه » هى تعيينه فى منصب رئيس الديوان بالقرب من فاروق .

أو بعبارة أخرى كان تعيين على ماهر فى رئاسة الديوان هو الخطوة الاولى للقضاء على نفوذ على ماهر عند فاروق .

وقد صح ماتوقعه حسنين .. ونجحت سياسته و « انكشف » على ماهر أمام فاروق .. وهبطت أسهمه .. هبطت أثناء توليه رئاسة الديوان .. وتوالى هبوطها بعد توليه رئاسة الوزارة .

ثم لم يمض عام ١٩٤١ حتى كان على ماهر قد فقد نفوذه القديم عند فاروق .

وأعود الآن الى بداية الحديث عن رئاسة الديوان .

قلت فى فصل سابق أن الدكتور عباس الكفراوى طبيب فاروق فاتحنى ذات يوم وكنا فى قصر كنرى هاوس بالقرب من لندن ــ فى أمر منصب رئيس الديوان الشاغر واقترح على

أن افاتح حكومة الوفد فى أمر تعيين الاستاذ نجيب الهلالى فى المنصب المذكور .

واعتقد ان عباس الكفراوى لم يرشح نجيب الهلالى لرئاسة الديوان الا بعلم واذن فاروق . ولكن حكومة الوفد لم توافق على هذا الترشيح لأن الاستاذ نجيب الهلالى لم يكن يومئذ وفديا صميما بل كان لا يزال حديث العهد بالوفدية .

ولانه كان خصما للاستاذ محمود فهمى النقراشى الذى كان له نفوذه ولم يكن قد خرج أو أخرج بعد من الوفد .

وثالثا واخيرا لأن حكومة الوفد كانت ترغب فى تعيين الاستاذ عبد الفتاح الطويل المحامى المعروف رئيسا للديوان . وكان الاستاذ الطويل قد تولى من قبل منصب الوكيل البرلمانى لشئون القصر .

وكان حسنين ـ اذ عرضنا قبل عودتنا الى مصر لحديث المنصب الشاغر وأسماء المرشحين لرئاسة الديوان ـ كان يقول : « ياريتنى كنت أنفع . لكن يا خسارة ما انفعش أبدا لأنى يا محمد زى ما أنت عارف ما أفهمش حاجة فى السياسة .. وده منصب سياسى عاوز واحد يفهم فى السياسة » .

وكان يكررها لعل وعسى أن أقاطعه وأقول : « بل أنت تنفع .. أو انت خير من يصلح رئيسا للديوان » ؟

وعدنا الى مصر فى أواخر شهر يوليه ١٩٣٧ وواجهت حكومة الوفد فى أول شهر من تولية فاروق سلطاته الدستورية عدة مسائل أو مشاكل منها حكاية المرحوم يوسف الجندى ويمين الولاء التى يقسمها الجيش وهل تكون للملك وحده أم للملك والدستور .. وحكاية التاج التى أشرت اليها فى فصل سابق .. ثم منصب رئيس الديوان .

وقد رشحت حكومة الوفد على التوالى للمنصب المذكور الاستاذ عبد الفتاح الطويل .. الاستاذ نجيب الهلالى .. الدكتور حافظ عفيفى .. الاستاذ محمد أمين يوسف .

ورفض فاروق هذه الأسماء ورشح من جانبه على ماهر .. ورفضت حكومة الوفد هذا الترشيح .

***

قالت نازلى ملكة مصر السابقة ذات يوم عقب وفاة زوجها الملك أحمد فؤاد .. قالت لشقيقها حسين صبرى :

ـ ان فاروق طفل وعنيد ، وأنا أخاف عليه من هذا «الطقم» القديم الموجود فى السراى « طقم » سعيد ذو الفقار وشوقى وعبد الوهاب طلعت وغيرهم .. وأخشى أن يملأوا رأسه بالكلام الفارغ ضد الوفديين أو يوغروا صدره ضد مصطفى النحاس كما كانوا يفعلون مع « المرحوم » أبيه .. وهذه تكون مصيبة لان فاروق اذا اصطدم بالوفد فسوف يأكله مصطفى النحاس . وأنا أعلم أن لك أصدقاء بين كبار الوفديين واطلب منك أن تذهب وتقول لهم بلسانى ونيابة عنى أن نازلى تقول لكم : « فاروق ابنكم فخذوه وربوه وعلموه . وانها تضعه أمانة فى أيديكم ولكنها تنصحكم فى نفس الوقت أن تبعدوا عنه بل وعن السراى كل هذا « الطقم القديم » .

أو بعبارة أخرى لقد أرادت نازلى أن تلجأ الى شهامة الوفديين .. وكان رجال « الطقم » القديم ـ كما اسمتهم ـ هم : سعيد ذو الفقار كبير الامناء ، وشوقى باشا السكرتير الخاص ، وعبد الوهاب طلعت باشا مدير الادارة العربية .

وذهب حسين صبرى باشا الى صديقه السيد عبد الحميد البنان وأبلغه رسالة شقيقته الملكة السابقة ونقل عبد الحميد البنان الرسالة الى احمد ماهر ومصطفى النحاس .

ولكن الوفد او حكومة الوفد لم تعمل بمشورة نازلى فلم تطلب اقصاء او طرد اى موظف كبير من موظفى القصر .. بل ابقوا القديم على حاله .. ولو انهم كانوا عملوا بنصيحة نازلى وتقدموا الى مجلس الوصاية طالبين فصل أو نقل فلان وفلان وفلان من كبار موظفى السراى لاجابهم مجلس الوصاية الى طلبهم .. خصوصا أن رئيس المجلس المذكور الامير محمد على توفيق كان يكره جميع كبار موظفى السراى بالجملة والقطاعى .

وشريف صبرى عضو المجلس هو شقيق الملكة السابقة نازلى .. وكان طبيعيا أن ينفذ مشورة شقيقته .

والعضو الثالث عبد العزيز عزت باشا كان رجلا مسالما ويميل ـ اذا مال ـ الى جانب الوفديين .

ولكن حكومة النحاس الوفدية أهملت أو لعلهـــا استهانت بالامر كله ولم تر داعيا أو ضرورة لعمل أى شيء ٠

وكان الوفديون يعتقدون يومئذ أن الجو قد صفا لهم ٠ وانهم باقون فى الحكم الى ما شاء الله ٠٠ فخصمهم القوى العنيد الملك أحمد فؤاد قد مات ٠٠ وأسباب الخصام والصدام بينهم وبين الانجليز الذين كانوا أصحاب الكلمة الاولى فى شـــئون مصر وحكم مصر ٠٠ هذه الأسباب قد زالت بعد عقد معـــاهدة عام ١٩٣٦ ، وعلى العرش غلام صغير أو « ولد » كما كانوا يصفون فاروق فى مجالسهم الخاصة ــ ولد صغير لا يجرؤ على الوقوف أمامهم ٠٠ وهم أصحاب الاغلبية الساحقة فى مجلس البرلمان ٠

صـــفا لهم الجو اذن وطاب ٠٠ فما الحاجة اذن وما الضرورة لاجراء عملية قاسية مثل فصـــــل أو طرد عدد من كبار موظفى السراى ٠

وهكذا بقى « الطقم » العـــديم ٠ وتولى فاروق ســـلطاته الدستورية وليس فى القصر كله مسئول واحد أو موظف كبير واحد يحب الوفديين أو يرضى أن يقول فيهم كلمة واحدة طيبة حتى ولو كانوا من رجال الملك أحمد فؤاد ٠٠ الطاغية المستبد الذى لم يكن يؤمن بشيء اسمه الشعب أو حقوق الشعب أو الدستور أو الحياة النيابية وكان « رجاله » هؤلاء من نفس رأى « مولاهم » أحمد فؤاد ٠

واقترحت حـــكومة الوفد أول ما اقترحت تعيين الاســـتاذ عبد الفتاح الطويل رئيسا لديوان جـلالة الملك ٠٠ وقالت فى تأييد أو فى تزكية هذا الاقتراح أن الاستاذ الطويل سبق له أن تولى منصب الوكيل البرلمانى لوزارة شئون القصر ٠٠ وانه والحالة هذه على علم وخبرة بهذه الشئون وانه على علاقات طيبة مع جميـــع موظفى القصر ٠٠ الذين يذكرونه ويذكرون العمل معه بالحمد والثناء ٠

وهنا قال كبار موظفى القصر : نعوذ بالله من عبد الفتـــاح الطويل والعمل مع عبد الفتاح الطويل ٠

لقد كان كذا وكذا ٠٠ ولقد قاسينا من العمل معه كيت وكيت ٠٠ ثم ٠٠ ما معنى أن يكون رئيس الديوان وفديا من صميم الوفديين ٠

وكان هـذا هو اعتراض فاروق ٠٠ فقـد قال : ان رئيس الديوان بطبيعة عمله ومنصبه هو حلقة الاتصال بين الملك أى رئيس الدولة وبين الوزارة ٠٠ وهو الحكم والميزان ٠٠ وهو مطالب بتسوية أى مشكلة أو خلاف فى الرأى قد يقوم بين القصر والوزراء ٠٠ ومن هنا يجب أن يكون رجـلا مستقل الرأى محايدا لا يميل مع الهوى ٠٠ لا رجل حزب قد أقسم يمين الولاء والطاعة لرئيس حزبه مصطفى النحـاس ٠٠ والا فكيف يمكن لرجل حزبى مثل عبد الفتاح الطويل اذا اختلف القصر مع الوزارة فى أمر من الامور ٠٠ كيف يمكن له أن يتحرر من هواه الحزبى والا يميل بكفة الميزان ؟ غير معقول ٠

ثم قال فاروق :

ـ أنا أريد أن يكون الى جانبى رئيس ديوان يقول دائما كلمة الحق ٠ ويسوى المشاكل ويصون حقوقى ٠٠ لا رجل وفدى سوف يكون همه أن يأخذ منى لكى يعطى حكـومة حزبه ٠٠ واذا وقعت فى خلاف مع النحاس وجـدت أننى قد وقعت فى خلاف مع النحاس وعبد الفتـاح الطويل ٠٠ وتصـبح المشكلة مشكلة مع رئيس الحـكومة ومع رئيس الديوان ٠

وطبعا لم يكن هذا الرد المنطقى القـوى من تفكير فاروق الذى كانت سنه يومئذ ثمانية عشر عاما هلالية ٠ أو سبعة عشر عاما ميلادية ٠٠ والذى كان نصف أمى لم ينل من العلم الا قشورا بل أقل من القشور ٠٠ والواقع أنـه كان الرد الذى لقنه اياه السيد عبد الوهاب طلعت ٠

وكان عبد الوهاب طلعت لا يزال يومئذ الصـديق المخلص للسيد على ماهر ٠٠ وكان يقوم بدور همزة الوصل أو «ضابط الاتصال» بين على ماهر وفاروق ٠٠ ينقل الى على ماهر أولا بأول كل ما يدور بين القصر والوزارة ٠٠ ويعـود بآراء على ماهر وفتاواه فى المشاكل وبما ينبغى أن يقوله فاروق لرئيس الحكومة ٠

وعدل مصطفى النحاس عن ترشيح الاسـتاذ عبد الفتاح الطويل ، وعرض بدلا منه اسم دكتور حافظ عفيفى سـفير

مصر يومئذ فى لندن ·· وكان يقول :

ــ لقد اعترضتم على تعيين رجل وفدى فى منصب رئيس الديوان ·· وهاهــو حافظ عفيفى ·· رجل مســتقل كان موضع ثقة المرحوم الملك أحمد فؤاد ·· ولم يكن وفديا فى يوم من الايام ·· بل لقد كان فى وقت ما حرا دستوريا ومن الد خصوم الوفد والوفديين ·

وجاء الرد من القصر :

ــ كله الا كده ·· كله الا حافظ عفيفى ·· انه رجــل متهم بالعيب فى الذات الملكية ·

وكيف ذلك ؟

كان فاروق قد زار انجلترا صــيف عام ١٩٣٧ قبل عودته الى مصر ·· وكــان الدكتــور حافظ عفيفى قد « تشرف » بالمقابلة بصفته سفير مصر هناك ·

وجاء « ابن الحلال » الذى قال لفــاروق ان حافظ عفيفى خـــرج بعد المقابلة يقول : « ده لسه عيـــل صغير وبكره الوفديين يحطوه فى جيبهم » وهذه هى تهمة العيب فى الذات الملكية التى تمنع من تعيين حافظ عفيفى فى منصب رئيس الديوان ·

وكيف تطلبون تعيين حافظ عفيفى رئيســـا لديوان الملك وهو الذى قال عن الملك انه : « لسه عيل ؟ » ·

وأثناء هذه المفاوضات والمناقشات حــول رئيس الديوان ومن يرشح له · كان الخلاف قد بدأ بين الاستاذ مكرم عبيد وعثمان محــــرم من جانب ، والنقراشى ومحمـــود غالب من الجانب الآخر ·

وتطور الخلاف واشتد ·· وقرر النحاس أو مكرم عبيــد أو كلاهما معا ان التعاون مع النقراشى وزميله محمود غالب داخل هيئة الوزارة أصبح أمرا مســـتحيلا · وانتهى الامر بخروج الاثنين من الوزارة ·

ورأى الوفد ــ أو النحاس ومكرم عبيد ــ أن من الصواب استرضاء النقراشى الذى كان معدودا يومئذ من كبار أقطاب الوفد وله نفوذه وله أنصاره وخصــوصا بين شــباب الوفد

واعضاء الهيئة الوفدية .. رأوا أن يسترضوه فعرضوا عليه منصب مندوب الحكومة المصرية لدى شركة قناة السويس وكان المنصب شاغرا يومئذ . ولمن يشغل هذه الوظيفة أو هذا المنصب مكافأة سنوية قدرها خمسة آلاف جنيه .

وتم العرض في « بيت الامة » وفي مكتب سعد زغلول وكان الوفد لا يزال يجتمع ويعقد اجتماعاته في بيت سعد وكان رئيس الوفد مصطفى النحاس يستقبل زائريه في مكتب سعد زغلول .

وفي هذا المكتب استقبل النحاس « زميله » النقراشي وعرض عليه المنصب المذكور وابدى النقراشي شكره وقد بدا عليه التأثر الشديد وقام وعانق مصطفى النحاس . واعتقد الجميع أن المسألة قد سويت .. وان السحابة انقشعت وان خروج النقراشي من الوزارة لن يؤثر على علاقاته مع زملائه أعضاء الوفد .. أو على مركزه في هيئة الوفد .

ولكن جريدة « البلاغ » لم تسكت بل انتهزت هذه الفرصة وخرجت بمقال لصاحبها الصحفي الكبير تعاتب فيه ــ أو تعيب على النقراشي قبوله للمنصب ذي الخمسة آلاف جنيه .

وجريدة « البلاغ » كانت معدودة يومئذ لسان حال القصر وكان صاحبها المرحوم الاستاذ عبد القادر حمزة قد بدأ يشن هجومه العنيف على الوفد ورئيس الوفد وحكومة الوفد ..

وقالت الجريدة في مقالها المذكور انها لاتصدق هذا الخبر بل وترفض ان تصدق ان رجلا مشهودا له بالنزاهة والاعتزاز بالنفس مثل محمود فهمي النقراشي يرضى أن يساوم على مبادئه وعلى نزاهته .. فيتراجع عن خطوة خطاها .. الى آخره .

وكلاما كثيرا في هذه المعاني . وكان للمقال أثره المقصود .. وأعلن النقراشي ــ رحمة الله ــ انه لم يقبل المنصب المعروض وانه ماض في سياسته وفي معارضة مشروعات عثمان محرم وزير الاشغال .

وتكهرب الجو من جديد .. وعاد الخلاف الى ماكان عليه .. وبدا أن فصل محمود النقراشي من عضوية الوفد المصري أمر

لابد منه ٠٠ وهنا ارتفعت اسهم الاستاذ عثمان محرم الذى كان اختلف مع النقراشى ٠٠ ومكرم عبيد الذى كان اختلف مع محمود غالب ٠٠ وارتفعت كذلك أسهم نجيب الهلالى ٠٠ لانه ـ كما ذكرت فى مقال سابق ـ كان خصما للنقراشى وكان بين الاثنين عداء او كراهية لا يعرف أحد على وجه التحقيق كيف بدأت ٠

ارتفعت أسهم الاستاذ الهلالى فى دوائر الوفد ٠٠ وبين يوم ويوم أصبح مقربا من رئيس الوفد مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد ومعدودا من كبار أقطاب الوفديين ٠

وتذكر النحاس ومكرم عبيد ان محمد التابعى كان ارسل اليهما من انجلترا خطابا ذكر فيه خلاصة حديث دار بينه وبين الدكتور عباس الكفراوى طبيب فاروق الخاص ٠٠ وكيف ان طبيب الملك يرشح نجيب الهلالى لمنصب رئيس الديوان ٠٠ تذكرا هذا الخطاب وهذا الترشيح ٠٠ فتقدما الى القصر يقترحان تعيين الاستاذ الهلالى رئيسا للديوان ٠

وقال فاروق : « اشمعنى دلوقت ؟ لقد رفضتم تعيين الهلالى أيام كان مستقلا والآن ترشحونه بعد ان اصبح وفديا ؟ ٠٠ كلا ٠٠ »

وأصر فاروق على أن رئيس الديوان يجب أن يكون رجلا مستقلا ٠٠ ومن غير رجال الاحزاب ٠

***

وعادت حكومة الوفد ورشحت لمنصب رئيس الديوان المرحوم الاستاذ محمد أمين يوسف الذى كان يشغل منصب وزير مصر المفوض فى واشنطون وكان موجودا يومئذ « فى اجازة » ٠

وعاد رسول الوفد يحمل رد القصر على هذا الترشيح بالرفض ٠٠ لماذا ؟ لأن فاروق كان قد اجتمع بمحمد أمين يوسف على ظهر الباخرة النيل أثناء عودة « جلالته » من رحلته الى أوروبا ٠٠ وعودة المرشح المذكور بالاجازة من أمريكا وقد لاحظ فاروق ان وزيره المفوض كثيرا ما يرفع الكلفة بينه وبين « مولانا » فيضحك مثلا أمامه بصوت عال ٠ وفى كلمة

واحدة فان «مولانا» لم يستخف دم الاستاذ محمد أمين يوسف .

وانتهى الوفد الى هذه النتيجه وهى ان فاروق مصمم على رفض اى مرشح وكل مرشح تقدمه حكومة الوفد . لانه يريد تعيين على ماهر رئيسا للديوان .

***

وبعث مصطفى النحاس رسولا الى القصر يقول بلسانه ان على ماهر رجل « مستحيل » والتعاون معه امر مستحيل كما تدل السوابق .. وان حكومه الوفد النيابية الدستورية لا يمكنها ان تقر تعيين السيد على ماهر فى هذا المنصب الخطير لانه رجل سبق له ان اشترك مع محمد محمود باشا ثم مع اسماعيل صدقى باشا ومن قبلهما مع أحمد زيور باشا فى الاعتداء على الحياة النيابية وعلى الدستور .

والوفد حامى الحريات وحامى الحياة النيابية وحامى الدستور لايستطيع ان يوافق على تعيين هذا الذى اعتدى على الحريات وعلى الحياة النيابيه وعلى الدستور .

وتأزم الموقف بين فاروق وحكومه الوفد . ولم يكن الخلاف حول الذى يعين رئيسا للديوان سوى سبب واحد او مصدر واحد من مصادر الخلاف فقد كان هناك أكثر من مصدر وأكثر من سبب واحد .

كان هناك مثلا « القمصان الزرق » وهى الهيئة أو المنظمة التى انشأها الوفد على غرار القمصان السود فى ايطاليا الفاشية و « القمصان البنى » فى المانيا النازية . وقال فاروق يومئذ - أو قيل له - ان النحاس باشا يمهد بقمصانه الزرق لاقامة نظام ديكتاتورى يحكم به مصر كما يحكم موسولينى فى ايطاليا وهتلر فى المانيا .

وكانت هناك مسألة التاج الذى يشتهيه فاروق وكان يريد ان تقام له حفلة كبرى يدعى اليها ملوك ورؤساء الدول فى العالم .. وكان المفروض ان تكتتب جميع الطوائف والطبقات بتكاليف صنع هذا التاج .

وكان الوفد - او حكومة الوفد - يعارض أولا فى حكاية التاج هذه ويقول ان التاج امر مخالف للشريعة الاسلامية ،

ولكن فاروق طلب من المرحوم الاستاذ الشيخ المراغى شيخ الجامع الازهر يومئذ أن يعلن أن ليس فى « التاج » شيء يخالف الاسلام · وتحدث شيخ الأزهر فعلا الى جريدة « المصرى » فى هذا المعنى وأعلن ان الاسلام عرف ولا يزال يعرف التاج والتيجان وان ليس فى حمل التاج ما يخالف تعاليم الاسلام· « وكان الشيخ المراغى — رحمه الله — كما هو معروف رجل القصر » ·

وهنا تراجع الوفد ·· ووافق على مشروع التاج ، ولكن موافقته كانت من طرف اللسان !

وخاف خصوم الوفد ان تكون حكاية التاج هذه سببا فى اطالة عمر وزارة الوفد اذ ان جمع المال اللازم من طبقات الشعب قد يستغرق شهورا ·· وعمل التاج — وكان المقرر ان يكلف بصنعه محل « كارتييه » الجواهرجى الشهير فى باريس — سوف يستغرق شهورا ·· ثم الاستعدادات الضخمة لحفلة التتويج التى سوف يدعى اليها ملوك ورؤساء حكومات العالم ·· الى آخره ·· كل هذا قد يستغرق عاما أو عامين ··

خاف اذن خصوم الوفد ان يكون مشروع التاج سببا فى اطالة عمر وزارة مصطفى النحاس فقالوا لفاروق أن الوفد لم يعدل عن معارضته ويوافق على تقديم التاج الا لانه يجد فيه فرصة طيبة لتحريض الشعب ضد « مولانا » ونشر اسباب التذمر والشكوى من صاحب الجلاله ·· ذلك لان فى البلاد أزمة اقتصادية وأسعار القطن فى هبوط ·· ولسوف يجمع اعوان الحكومة والوفد المال من الاهالى ومن الفلاحين بالقوة والاكراه ويقولون لهم ان هذه أوامر الملك الشاب لانه يريد ان يضع على رأسه تاجا وتقام له « زفة » يدعى اليها ملوك العالم ؟

واقتنع فاروق ·· وأمر باصدار بلاغ الى الصحف يعلن فيه عدم رغبته فى التاج مراعاة للحالة الاقتصادية فى البلاد وشفقة ورحمة برعاياه المخلصين ·

ولـكن فاروق احس مرارة الخيبة فى فمه فقد كان يشتهى فعلا تاجا يضعه على رأسه ومن ثم ازداد كرهه للوفد ولمصطفى النحاس الذى كان السبب فى حرمانه من تاجه المنشود ٠

وأدركت مما كنت اسمعه من افراد الحاشية المقـربين الى فاروق ان الامور تسير من سيىء الى اســوأ ٠ وكنت يومئذ أقوم – بصفة غير رسمية – بما يشبه مهمة «ضابط الاتصال» بين فاروق وحكومة الوفد ٠

وكنا فى أوائل شهر سبتمبر ٠ وذات مساء زرت «رفعة» رئيس الوفد ورئيس الحكومه فى داره فى سيدى بشر برمل الاسكندرية وكان يجلس مع « رفعته » الدكتور محمد صلاح الـــدين ٠٠

ولكننى لم اكد أبدأ الحديث فيما جئت من اجله حتى اشار النحاس الى صلاح الدين ان ينسحب فانسحب ٠

وتحدثت طويلا الى « رفعته » وكان حديثى كله فى معنى واحد وهــو ان « جـــلالة الملك » قد بدأ يسيء الظن بالوفد ورئيسه لانه اصبح يعتقد ان النحاس باشا يكرهه ويريــد الاعتداء على حقوقه ٠٠ وان بعض كبار الوفديين يتحــدث فى المجالس الخاصة عن فرصة الانتقام من الملك فاروق لما فعــله معهم ابوه الملك فؤاد ٠

ورفــع النحاس باشــا يديه واســتعاذ بالله وقال ان هذه كلها اكاذيب من صنع خصومه وأنه – واقســم بالله العظيم – « يحب فاروق ويستبشر به ويرى الخير فى وجهه »٠

– ثم استطرد يقول :

– وأنا لاافكر ، ومعاذ الله ان افكر فى الاعتداء على حق واحد من حقوقه الدستورية ، ولكننى فى نفس الوقت لا ولن أفرط فى حق واحد من حقوق الأمة وحقوق حكومتها النيابية التى كفلها الدستور ٠

وكان « رفعته » يشير الى مســالة تعيين رئيس الــديوان وحق الحكومة فى اختيار الذى يعين فى المنصب المذكور ٠

ثم قال انه لايستطيع ان يمنع « بالقوة » تعيين على مــاهر باشا رئيسا للديوان ولــكن ٠٠٠

ـ وليكن هذا مفهوما منذ الان ·· ولكننى لن أوافق على هذا التعيين ··

قلت :

ـ وأمر آخر يأخذونه عليكم وهو ان الوزارة لم تقم حتى الان بعمل ما تظهر به ارتياحها وسرورها بخطبة جلالة الملك ·

وكان فاروق قد اعلن خطبة الآنسة صافيناز ذو الفقار ·

قال وهو يدق بيده المائدة الصغيرة :

ـ أهي دى معاهم حق فيها ·· ايوه معاهم حق ·· تمام معاهم حق ··

ثم قال انه سوف يقيم بعد غد حفلة شاى فى حديقة انطونيادس ابتهاجا بالخطبة الملكية السعيدة ·

وأقيمت الحفلة ودعى اليها جميع الشيوخ والنواب وكبار موظفى القصر · وتخلف عن حضور الحفلة مكرم « باشا » عبيد [illegible] ·

[illegible] ·· وما ان رآه الشيوخ [illegible] حتى احاط به عدد كبير منهم يرحبون به ويرجونه ان يسوى الخلافات التى بينه وبين زملائه اعضاء الوفد ·

وبينما هم كذلك اقبل مصطفى النحاس ، ورأى النقراشى فتقدم منه ومد اليه يده ، وتصافح الرجلان ، وصفق الحاضرون وهتف الاستاذ حسن يس بحياة النحاس وردد الحاضرون الهتاف ثم هتف بحياة النقراشى ، وردد الحاضرون الهتاف ، وهنا تعانق النحاس والنقراشى ودوى التصفيق الحاد وعلا الهتاف ·

وتفاءل الحاضرون خيرا واستبشروا بعودة المياه الى مجاريها بين النقراشى ومصطفى النحاس ·

وبعد الحفلة ذهبت اعود الاستاذ مكرم عبيد فى داره وصعدت اليه فى غرفة نومه وكان مستلقيا فى فراشه ولا بد ان احدهم كان ابلغه بالتليفون خبر مقابلة النحاس مع النقراشى وكيف تصافحا وتعانقا وصفق لهما الشيوخ والنواب ، لانه سألنى عن التفاصيل فرويتها له ··

وعلت فمه ابتسامة يعرفها اصدقاؤه ·· وقال :
ـ كده ·· طيب لما نشوف ··
ثم تناول سماعة التليفون الموضوع بجانب فراشه وطلب دار « رفعة » الرئيس ، وكان النحاس باشا قد عاد الى داره مباشرة بعد انتهاء حفلة الشاى ، وبعد حديث قصير عن وعكة مكرم وما الذى يشكو منه قال الاستاذ مكرم وهو يضحك ضحكته القصيرة المتقطعة :

ـ مبروك يا باشا ··
ولابد ان النحاس باشا سأله « مبروك على ايه ؟ » لانه قال مع الضحكة القصيرة المتقطعه ـ مبروك الصلح مع النقراشى ··

ولم اسمع طبعا ماذا قال مصطفى النحاس ، ولكننى فهمت من رد مكرم عبيد ان النحاس انكر ان هناك صلحا لان مكرم قال :
ـ انا كمان استغربت الخبر وقلت مش معقول ··
وانتهى الحديث ، وعادت الابتسامة الطبيعية المشرقة الى فم الاستاذ مكرم عبيد ·· ذلك لان الاستاذ مكرم عبيد كان لايزال يؤمن الايمان كله فى ذلك الوقت ان كل عضو يختلف مع رئيس الوفد مصطفى النحاس يجب ان يبتر من جسم الوفد بلا تردد او رحمة ··

كان هذا هو مبدأ مكرم عبيد فى عام ١٩٣٧ وهو نفس المبدأ الذى طبقه عليه مصطفى النحاس فى عام ١٩٤٢ ·
ولقد كان لاختلاف النقراشى مع مصطفى النحاس ومكرم عبيد نتيجة لم تخطر ببال احد فى اول الأمر ·

لقد توقعوا مثلا ـ وهو ما حدث فعلا ـ ان يغضب احمد ماهر لغضب صديقه وزميله النقراشى وان يقف الى جانبه يؤيده ويدافع عنه وعن رأيه ·· ولكن احدا لم يتوقع أن تغضب السيدة الجليلة صفية زغلول كل هذا الغضب من اجل النقراشى الى حد ان تهدد باغلاق بيت الامة او بيت سعد فى وجه الوفد ومصطفى النحاس اذا استمر هذا الخلاف ·· وهو ماحدث فعلا بعد ذلك ببضعة شهور ·

ان احدا من أعضاء الوفد لم يكن يتوقع هذه الغضبة من جانب « ام المصريين » ٠ ولكنها غضبت ولم تخف انتقادها المر لمصطفى النحاس ومكرم عبيد وسياسة الاثنين التى توشك ان تمزق الوفد ـ تراث سعد ـ شيعا واحزابا ٠٠

وقيل يومئذ ان السيدة الجليلة لم تكن تنتظر سوى حادث ما ـ اى حادث ـ لكى تعلن سخطها وغضبها على مصطفى النحاس ومكرم عبيد ٠٠ وان حكاية النقراشى لم تكن السبب الحقيقى وان كانت السبب المباشر لغضب السيدة ام المصريين٠

وقال لى لاستاذ مكرم عبيد فى حديث طويل ان السيدة الجليلة غاضبة من الوفد منذ زمن طويل وانها كانت تتحين الفرصة التى تعلن فيها هذا الغضب ٠٠

قال : لقد ادخلوا فى روعها انها «جان دارك» مصر ٠٠

سالته : من هم الذين ادخلوا هذا فى روعها ؟

قال : بعض أقاربها وأنسبائها ٠

ومضى الاستاذ مكرم عبيد فى حديثه فقال :

ـ لقد قالوا لها اننا اخطانا فى حقها يوم سافرنا الى لندن لامضاء المعاهدة « معاهدة ١٩٣٦ » ولم نصحبها معنا لكى تشترك مع بقية زعماء مصر فى امضاء المعاهدة بصفتها أرملة سعد زغلول ٠٠ ولقد عاتبتنا حضرتها على هذا ٠٠ كما لامنا بعض الناس اننا لم نطلب من مجلس الوصاية الانعام عليها بالوشاح الاكبر من نيشان محمد على ٠٠ أسوة بالذين انعم عليهم منا بالوشاح المذكور ٠٠ وذات مرة استدعتنى الى مقابلتها وقالت لى انها لاحظت اننا لم نعد نستشيرها فى أمورنا وفى شئون البلد كما كنا نفعل من قبل ٠٠ وانها قد أصبحت فى نظرنا كمية مهملة ٠٠ قال مكرم :

ـ واستغفرت الله واكدت لها انها ما زالت عندنا كما كانت موضع الاحترام والتقدير ولكن اذا كنا لم نعد نستشيرها كما كنا نفعل فذلك لانه ليس هناك ما نستشيرها فيه ٠٠ وقد كنا نسالها الرأى ايام كنا فى المعارضة وكنا نعرض عليها بيانات الوفد ونداءات رئيس الوفد الى الامة وما اشبه ٠٠

أما اليوم ففى أى الامور استشيرها انا مثلا ؟ هـل اذهب اليها كوزير للمالية واستشيرها فى أمر الاعتماد المخصص لبناء دار جديدة لمحكمة مصر الشرعية ؟ أو يذهب اليها زميلى وزير الخارجية ويستشيرها فى امر فتح قنصلية جديدة لمصر فى مدينة ميلانو ..

اذن فقد كانت السـيدة الجليله - يرحمها الله - غاضـبة ساخطة على الوفد ورئيسه وسكرتيره ولم تكن تنتظر سـوى الفرصة الملائمة لاعلان هذا الغضب ..

وقد سنحت الفرصة واعلنت أم المصريين غضبها وانها تقف الى جانب النقراشى ، وكان النقـراشى - رحمـه الله - من انسبائها وزوجا لسيدة كريمة من بنات الاسرة ..

وهكـذا .. كسـب النحاس ومكرم خصما جديدا قويا فى شخص زوج سعد وأم المصريين ، وكانت صفية هانم زغلول صديقة لنازلى ملكة مصر .. وكانت نازلى تحترم ام المصريين احتراما شديدا .. ولا عجب فقد كانت الآنسة نازلى صبرى تقبل يد صفية هانم زغلول قبل ان تصبح سلطانة مصروزوج السـلطان احمد فـؤاد .. وزارت ام المصريين القصر .. واستقبلها فاروق وامه نازلى بالتحيه والاكرام ..

ولم تخف السيدة الجليلة رأيها وخيبة املهـا فى مصطفى النحاس ومكرم عبيد وسياستهما التى توشك ان تمزق الوفد شيعا واحزابا ..

وأدرك فاروق انه أذا وقع خلاف بينه وبين الوفد وحكـومة الوفد فان ارملة سـعد زغلول ام المصريين سـوف تقف الى جانبه وتؤيده امام الشعب الذى كان ولايزال يقدس ذكرى زوجها الراحل العظيم .

وهكذا .. لم يكن قد مضى على عودة فاروق من رحلته الى اوروبا وممارسته لسلطاته وحقوقه الدستورية شهران اثنان - من ٢٨ يولية الى اخر سبتمبر ١٩٣٧ - حتى كانت حكومة الاغلبية الوفدية تواجه جبهة قوية معارضه مكونة من :

رأس الدولة فاروق

جميع كبار موظفى القصر او «الطاقم» القديم الذى ترعرع ونما فى عهد الطاغية احمد فؤاد .

علي ماهر وأعوانه وأذنابه في القصر وخارج القصر ·
أحـــزاب الأقليـــة · الاحرار الدســـــتوريين والوطنيين والاتحاديين « ولم يكن حزب السعديين قد تكون بعد »

وفوق هذا وذلك خلاف في صفوف الوفد يوشك ان ينتهي بخروج النقراشي واحمد مـــاهر ومعهما عدد من الشــــيوخ والنواب ·
كل هذه العوامل مجتمعة اضعفت هيبة الوفـــد في نفس فاروق ·
ومن ثم أقدم على ما كان مترددا في الاقدام عليه خوفا من صولة الوفد وشوكته ·· وتحدى حكومة الوفد ، وأصـــــدر أمره « الكريم » بتعيين علي ماهر رئيسا للديوان ·
وكان هذا في شهر اكتوبر ١٩٣٧ ··
اذن فقد اقدم فاروق على اتخاذ الخطوة التي كان مترددا في اتخاذها ·· فاصدر امره بتعيين علي ماهر باشا رئيسا لديوانه·

وكان هذا التعيين او هذه الخطوة ايذانا بسياسة التحدي التي سار عليها فاروق ورجاله ·· سياسة التحدي للوفـــد ورئيس الوفد وحكومة الوفـــد واغلبيتها الماحقـــة في مجلسي البرلمان ·· وايذاناً بسياسة الاستهانة والاستهتار بسلطـــة البرلمان وحقوق الشـــيوخ والنواب ممثلي الأمة ·· أو بعبارة أخرى : سياسة استهانة القصر واستخفافه بالحكم النيـــابي وحقوق وحريات وسلطات الشعب ·
ولسوف يقول التاريخ ان المســـئول عن هـــذه السياسة وهذا الاتجاه الخطير الذي سارت فيه سياسة القصر ابتداء من خريف عام ١٩٣٧ ·· المســـئول هو رئيس الديوان الســـيد علي ماهر ···
ولقد سمعتها بنفسي من جميع كبار موظفي القصر ولا احب ان اذكر هنا اسماء حتى لا احرج احدا منهم ·

وكان احمد حسنين ـ رحمه الله ـ قال لي ذات يوم ونحـــن على ظهر الباخرة «النيل» في طريق عودتنا مع فاروق الى مصر ـ وقد اكون اشرت الى هذا الحديث ـ قال :

ــ ان اخشى ما أخشاه ان يسير فاروق فى نفس الطريق التى سار فيها ابوه من قبل ‥ ولقد صحبتنا خمسة شـــهور وعرفت الملك ودرست أخلاقه عن قرب ولعلك لاحظت انه عنيد وانه اذا داس احد على طرفه شب على قدميه وضرب المعتدى بشــدة وعنف ‥ ولهـذا ارجـوك أن تقنـع اصـحابك الوفـديين بأن فـؤاد قـد مـات ‥ وان فـاروق لا ماضى له معهـم وانه فى امكانهـم بشىء من السياسـة والكياسـة ان يكسـبوه · وعليهـم ان يقـدروا مركزه وشـعوره بأنه لايزال غلاما وأن أقاربه الامراء سوف يضحكون ويسخرون منه ويعيرونه بحداثه سنه وقلة خبراتة اذا هو أظهر ضعفا امام الوفديين ويعقدون المقارنات بينه وبين ابيه ‥ قل للوفديين ان يجعلوا لهذه المسألة تقديرا فى حسابهم فلا يقدموا على عمل يكشف عن ضعف هذا الملك الشاب أو يثير سخرية آقـاربه الامراء ‥ والا فانه لن يسكت بل سـوف يشب على قدميه ويرد الصاع صاعين ‥ ويوم يسير فاروق فى نفس الطريق التى سار فيها ابوه الملك احمد فؤاد أى طريق اقالة الوزارات وحل مجالس النواب فانه سوف يسير فى الطريق ويندفع فيها الى نهاية الشوط لانه شاب وعنيد ومعتز بحب الشعب لـه والتفافه حوله ‥ وليس له ــ ما كان لابيه ــ من خبرة ومرونة ودهاء ‥

وهذه هى خلاصة حديث احمد محمد حسـنين على ظهـر الباخرة «النيل» قبل وصولنا الى الاسكندرية بيومين اثنين ·

وفى اليوم السابق على وصولنا الى الاسكندرية ‥ وكنت متكئا بذراعى على حاجز السـفينة شـعرت بيـد على كتفى واذا به فاروق · والقيت فى الماء بالسيجارة التى كـانت فى يدى ·

وقال فاروق :

ــ لعلك كنت « سارحا » فى مصر التى نصل اليها غدا ‥ وأنا أفكر فيها كثيرا فى هذه الأيام وفى المسئوليات التى سوف أحملها على كتفى ·

ثم قال ــ من حديث طويل ــ انه لا يعرف شـيئا عن

أحوال البلد ولم يدرس سياسة البلد ، وسياسه الاحـزاب ، وان امامه خمس سنوات سوف يقضيها فى الدرس والبحث ٠٠ وانه لن يتدخل فى شـــئون الحكم الا باقـل قدر ممكن ، ثم ـ وهذه كلماته بحروفها ـ :

ـ وفى البلد اغلبية تحكم وسوف اتركها تحكم ٠٠ والشعب وحده هو الذى يغيرها اذا شاء ٠

ووصلنا الى الاسكندرية فى صـباح اليوم التالى ٠ وارتدى فاروق ورجال حاشيته سترة الردنجوت ٠

وكان اول من صعد الى ظهر الباخرة المرحوم سعيد ذو الفقار باشـــا كبير الامناء وخلفه المرحوم مراد محسن باشـــا ناظر الخاصة ٠٠

واسرع فاروق ليقابل كبير امنائه الشيخ فى منتصف الطريق احتراما من الفتى للشيخ العجوز ورحمة به ٠

ومد فاروق يده ليصافح كبير امنائه وعلى فمه ابتســـــامة ترحيب ٠٠ واذا بالشـــيخ كبير الامناء ينحنى فوق يد فاروق ويلثمها ٠٠ واشهد آن فاروق حاول فى رفق أن يسحب يده حتى لا يلثمها الشيخ العجوز ٠٠ ثم تركها ٠٠

وتقدم مراد محسن باشـــا ولثم بدوره يد الملك ٠٠ وتراجع الرجلان بظهريهما الى الوراء ٠٠

ثم صعد رئيس الوزراء والوزراء ٠٠ وبعضهم اكتفى بالانحناء فوق يد الملك الغلام ٠٠ وبعضهم الآخر لثم « اليد الكريمة » ٠

واعتقد ان هذه اللحظة كانت نقطة التحول فى اخلاق فاروق او فى نظرته الى البلد وكبار البلد من ساسه وزعماء ٠٠ فقـد كانت هذه أول مرة ينحنى فيها شيوخ مسنون فى مثل سن ابيه او جده ويلثمون يده ٠

ثم لم يمض يومان او ثلاثة حتى تحـــدث مصطفى النحاس رئيس الوزراء عن « حكمة جلالة الملك المحبوب وعن ارشـاداته الساميه ونصائحه الغالية » ٠٠

حكمة وارشـادات ونصـائح غلام امى او نصف امى ؟ وكان فاروق يعرف عن نفســه وعن جهله اكثر مما يعرف الناس ٠٠ ماذا كان ينتظر من شــاب حديث الســن والخبرة ورث الملك

والعرش والسلطان والثروة الطائلة والصحة والشباب والوسامة ـ يومئذ ـ ووجد من حب الشعب وتهليله ما وجد ٠٠ ومن خضوع كبار البلد وزعمائه ولثمهم ليده وتراجعهم بظهورهم الى الوراء امامه ٠٠

ماذا كان ينتظر منه الا ان يدور رأسه وتنقلب فيه الاوضاع والموازين ؟! ٠٠

واعود الى اصل الحديث : كان تعيين على ماهر رئيسا للديوان بالرغم من معارضة حكومة الاغلبية الدستورية ايذانا ببدء سياسه التحدى والاستهانة بالحكم النيابى وبالدستور ٠

وبدأت سياسه المرمطة المقصودة ، وراسم خطوطها « رفعة » رئيس الديوان على ماهر « باشا » ٠

كل طلب تتقدم به حكومة الوفد مرفوض ، المراسيم التى ترسلها الوزارة الى القصر للامضاء ٠٠ تعطل وتبقى فى الديوان ٠

وفى الصحف ـ بين الحين والحين ـ غمز ولمز فى حكومة الوفديين ٠

وفى جريدة « البلاغ » بالذات ـ وكانت يومئذ كما سبق ان قلت لسان حال القصر وعلى ماهر رئيس الديوان ـ فيها وبقلم صاحبها الصحفى الكبير القدير مقالات نقد مرير لمصطفى النحاس وحكومته ٠

مثلا : مصطفى النحاس رجل مصاب بلوثة فى عقله ! ومصطفى النحاس يهدف لقلب نظام الحكم ويسلح عصابات قمصانه الزرق بالخناجر ! ومصطفى النحاس قليل الادب فى حق « سيد البلاد » يتأخر عن مواعيده مع فاروق ، ولأنه يخلع طربوشه ويمسح عرقه امام فاروق ٠٠ الى آخره ٠٠ الى آخره ٠

وكنا نعرف ان وراء هذه الحملة السيد على ماهر رئيس الديوان ، ثم بدأ الخلاف بين الوزارة ورئيس الديوان حول مدى حقوق الملك الدستورية ٠٠ وما هى التعيينات التى تتم بمراسيم والتعيينات التى ينفرد بها الملك ويصدر بها « امرا ملكيا كريما » ٠

وتمسكت الوزارة بنصوص الدستور ٠٠ وخصوصا بالنص القائل ان الملك يحكم بواسطة وزرائه ، لانه غير مسئول ٠٠ وان الملك يسود ولا يحكم ٠

وقال علي ماهر ان الملك يسود ويحكم معا .

وهكذا مضى رئيس الديوان « ينفخ » فى رأس الملك الشاب .. ويفهمه ـ بالقول والعمل ـ ان ليس فى البلد كله مخلص لجلالته سواه ، لأنه حريص على حقوقه .. ولأنه ينزع له فى كل يوم حقوقا جديدة تزيد فى سلطة الملك وسلطانه .

وهكذا وضع علي ماهر اساس سياسة المزايدة في حقوق الملك على حساب حقوق الشعب والبرلمان .

هذا بينما وقفت احزاب الاقلية المعارضة وزعماؤها يتفرجون شامتين فى الوفد وحكومة الوفد مسرورين فرحين بالمرمطة التى يتلقاها مصطفى النحاس .

ولقد نسوا انه اذا كان هذا هو نصيب الاغلبية من الاحترام والتقدير او الهزء والاستهانة فماذا يكون مصيرهم ونصيبهم هم اذا تولوا الحكم ؟

ولكنهم لم يفكروا ولم يقدروا ، او لم يهتموا لأن شهوة الحكم كانت عندهم اقوى من كل شيء .. وكان كل همهم ان يحطموا الوفد والوفديين حتى ولو حطموا معهم حقوق البلد ودستور البلد أو باعوها للجلاد ثمنا لرءوس الوفد والوفديين .

***

وكان الخلاف بين الوفد والنقراشي باشا قد بلغ مداه واصدر الوفد قرارا بفصل النقراشي من عضوية الوفد .

واتخذ النقراشي « مكتبا » له بشارع المدابغ ـ شريف الآن ـ ولم يكن المكتب للتجارة او السمسرة او المحاماة او لعمل ما مما تفتح المكاتب من اجله ، ولكنه كان للمعارضة ..

وهكذا كان مكتب المرحوم النقراشي باشا اول مكتب فيما اعلم يفتح للمعارضة .. وكان النقراشي يقابل انصاره فى المكتب المذكور ..

وبدأ الناس يتحدثون عن احمد ماهر وكيف انه ضالع مع صديقه وزميله النقراشي وانه ينتظر الفرصة لاعلان خروجه على زعامة مصطفى النحاس .

وكان المرحوم أحمد ماهر يومئذ رئيسا لمجلس النواب .

وكانت الوزارة تتخبط فى سياستها او قل ان شئت انه لم

تكن لها سياســـه مرســـومة • كانت مثلا تعارض فارو ، فى مسائل صغيرة وكانت ترفض له طلبات صغيرة وتقف منه موقف « العناد » ومن ثم تحمله على الاعتماد على دعاة السوء من خصوم الوفد وتغريه بالاصغاء اليهم والى مشورتهم • هـذا بينما كانت فى نفس الوقت تتســـاهل فى امور خطيرة وترفض ان تتخذ قرارات حاســـمة او تخطو خطوات جريئة يفرضـــها الموقف المضـــطرب مخافة ان يكون فى هذه القرارات او هذه الخطوات ما يخالف نصوص الدستور او روحه ومعناه •

وضعفت هيبة الحكومة ، وارتفع مقام القصر وراح كل موظف كبير فى الدولة يتطلع الى القصر ويلتمس رضـا القصر ، وعمت الفوضى •

واذكر اننى كتبت يومئذ مقالا فى « آخر ساعة » وجهت فيـه الحديث الى « رفعة » مصطفى النحاس باشا وقلت فيه ما معناه :
« اخشى من فرط حرصك على الدستور ان تضيع الدستور » •

وكان اعوان على ماهر باشا يتحدثون صراحة فى كل مجلس عن قرب سقوط وزارة الاغلبيه البرلمانية الوفدية وكان الاحرار الدستوريون يتحدثون عن قرب عودتهم الى الحكم ••

وسافرت انا الى اوربا فى مساء ٢٧ نوفمبر عام ١٩٣٧ عـلى ظهر احدى البواخر • وفى صـــباح اليوم التالى دخل على خادم الباخرة يحمل الشاى ونسخة من البرقيات التى اذاعها ماركونى اثناء الليل •

وبينها برقية من القاهرة تقول ان مصريا اســـمه كذا اطلق الرصاص على رئيس وزراء مصر ، بينما كان فى ســـيارته فى طريقه الى حفلة عامه •

وارسلت برقية الى النحاس باشا هنأته فيها بنجاته ثم قلت له : « احكم او اترك الحكم » •

***

وفى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٣٧ اصدر فاروق امره الملكى باقالة وزارة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا •

وهكذا تحققت مخاوف احمد محمد حسنين • وخطا فاروق اول خطوة فى نفس الطريق التى سار فيها ابوه احمد فؤاد •

خطاها بمشورة رئيس ديوانه السيد على ماهر .
ونفس السيد على ماهر كان مستشـــــار الملك احمد فؤاد ورجله الاول فى حـزب الاتحـاد او حـزب السراى او حـزب « القش » كما سماه الزعيم الخالد ســـعد زغلول . وكان هو صـــاحب الفتوى فى اقالة وزارة النحاس الاولى فى يونية عام ١٩٢٨ . وكانت هـــذه اول اقالة فى تاريخ الحكم النيابى فى مصر . فالسيد على ماهر الذى أفتى وفتح باب الاقالات أمام أحمـــد فؤاد فى عام ١٩٢٨ ، هو نفس السيد على ماهر الذى افتى وكتب صيغة الاقالة وفتح نفس الباب أمام فاروق فى آخر ديسمبر ١٩٣٧ .

واندفع فاروق فى نفس الطريق حتى بلغ نهاية الشـــوط فلا حرمه للدستور ولا للبرلمان ولا للشعب وممثليه ولا لحقوق الاغلبية ..
امر كريم مكتوب بخط جميل على ورق مصـــقول وممهور بامضاء « سيد البلاد » فاروق يكفى لشل الدســتور وتعطيل نصوصه لفظا ومبنى ومعنى وطرد الحكومة التى اختارها الشعب لغير ما سبب سوى السبب الذى يفتى به رئيس الديوان .. على هواه .

***

ولم يفاجأ الوفديون بهذه الاقالة ، فان شائعات اقالة الوزارة كانت قد ملأت الجو . كما كان انصار على ماهر وزعماء الاحرار الدستوريين ـ كما سبق ان ذكرت ـ قد ملأوا البلاد اخبارا عن قرب سقوط حكومه الوفد ، وعودتهم هم الى الحكم .

ولكن الوفديين لم يكونوا قد فقـــدوا كل امل .. ذلك ان موظفا من موظفى وزارة المالية اسمه امين عثمان كان نجمه بدأ يلمع لا لسبب الا لأنه صديق شخصى للسفير البريطانى ســير مايلز لامبسون ولرجال الســـفارة ولكبار رجال الانجليز فى مصر .
وكان هذا الموظف أو النجم الصـــاعد من « محاســـيب » الاستاذ مكرم عبيد الذى كان أتى به من وظيفته المتواضعة فى الاسكندرية واسبغ عليه رعايته وعطفه .

وكان امين عثمان يقوم بدور الوسيط ويسهل او يسوى الامور بين الوزارة والسفير البريطانى .. وقال امين عثمان للوفديين : « لا تصدقوا هذه الشائعات . عندى تأكيد من سير مايلز لمبسون ان حكومته لن تسمح باقالة الوزارة » .

قالها المرحوم امين عثمان لمصطفى النحاس . وقالها لمكرم عبيد . وقالها لكل من قابله من اعضاء الوفد ..

وبدا يومئذ ان الامر سباق بين على ماهر رئيس الديوان وبين امين عثمان وسيط الوفد ايهما الذى يسبق صاحبه ويفوز بثقة وتأييد السفارة البريطانية . هل يفوز على ماهر فتطلق السفارة يده فى اقالة الوزارة وتقف على الحياد ؟ أو يفوز امين عثمان وتتدخل السفارة وتحول دون الاقالة ؟

وهكذا كان الامر .. اكبر سلطتين فى الدولة .. القصر والوزارة الدستورية البرلمانية كلاهما يلتمس تأييد السفارة والسفير البريطانى .

وفاز على ماهر فوزا مبينا .. على امين عثمان وكانت الاقالة .

***

واجتمع مجلس النواب .. وامر رئيس المجلس احمد ماهر بتلاوة مرسوم الاقالة ثم قال انه لا يسمح بالتعليق عليها .. وهاج النواب الوفديون .. ووقف اكثر من واحد منهم يعلق ويعقب على الاقالة ..

واحمد ماهر يدق جرس الرياسة ويطلب من النواب عدم الكلام .. واشتد هياج النواب .. وكانت جلسة صاخبة .. واخيرا امر احمد ماهر بوليس المجلس باطفاء الانوار .. ورفع الجلسة وغادر منصة الرياسة .

واضطر النواب ان يغادروا المجلس ، ومن هناك ذهبوا الى النادى السعدى ، ولم يتردد المرحوم احمد ماهر فى الذهاب معهم فقد كان رحمه الله لا تنقصه الشجاعة .

ووقف احمد ماهر بين صيحات الغضب والاستنكار والسخط والشتائم والاتهام بالخيانة وقف يهاجم سياسة مصطفى النحاس الخاطئة التى ادت الى اقالة الوزارة .

واشتد هياج النواب وهياج اعضاء الوفد .

وغادر أحمد ماهر قاعة الاجتماع ، وانسحب معه تسعة وعشرون شيخا ونائبا من اعضاء الهيئة الوفدية ·

خرج ، وخرجوا ولم يعودوا لأنهم أسسوا الحزب السعدى وانتخبوا أحمد ماهر رئيسا للحزب ومحمود فهمى النقراشى وكيلا للحزب ·

واعلنت المغفور لها صفية هانم زغلول انها كانت فتحت بيت الامة او بيت سعد لأبناء سعد يجتمعون فيه ·· ولكنهم - وقد اختلفوا وتفرقوا - فانها تغلق بيت سعد ولا تسمح لأحد منهم بعقد أى اجتماع فيه ·

واقيلت وزراة الاغلبية الوفدية بفتوى من رئيس الديوان على ماهر ·· وكانت الفتوى « ان اعمال الوزارة تجافى روح الدستور » ·

لأن الوزارة قالت : ان الملك يسود ولا يحكم ·· بينما روح الدستور - هكذا يزعم رئيس الديوان - تنص على ان الملك يسود ويحكم ·

وآذن ففى موقف الوزارة مجافاة لروح الدستور ·· وهكذا أقيلت وزارة مصطفى النحاس وخلفتها فى الحكم وزارة مؤلفة من الاحرار الدستوريين ومن كبار المستقلين برياسة المرحوم محمد محمود باشا ·

وكان محمد محمود هو «الوريث» السياسى الطبيعىلمصطفى النحاس · فقد كان حزبه هو حزب المعارضة · وكان - رحمه الله - زعيم المعارضة ·

ومن هنا لم يكن فى استطاعة على ماهر ان يقفز الى رياسة الوزارة مباشرة بعد اقالة مصطفى النحاس · والا لكانت المسألة «مكشوفة» ·

ترك « رفعته » اذن محمد محمود يتولى رياسة الوزارة ·· ولكن الى حين !

***

واستصدرت الوزارة أمرا بحل مجلس النواب ··وأجريت انتخابات جديدة وكانت «جديدة» حقا فى نوعها فان التنافس بين المرشحين الوفديين وخصومهم من رجال الاحزاب الاخرى لم يكن يدور حول مبادىء او اختلاف فى السياسة الداخلية او

الخارجية • كلا • بل كان يدور حول مدى اخلاص الطرفين لفاروق •

وكان بعض المرشحين يلصقون اعلانات الدعاية لأنفسهم على جدران القاهرة مكتوبا فيها « انتخبوا فلانا مرشح السراى » او «لاتنتخبوا فلانا لانه مغضوب عليه من جلالة الملك المحبوب» ولم تجر الحكومة المؤتلفة هذه الانتخابات فى يوم واحد •• بل اجرتها على عدة ايام ••

اجرتها اولا فى الوجه القبلى ثم اجرتها فى الوجه البحرى •

وحشدت قوات من الجيش ورجال البوليس وبعثت بها الى مراكز الانتخابات فى الوجه القبلى للمحافظه على الامن العام •

ثم عادت ونقلت نفس القوات الى الوجه البحرى لنمحافظة على الأمن العام وكان واضحا ان قصد الحكومة هو الارهاب والتأثير فى حرية الانتخابات •• وادرك رجال الادارة فى الاقاليم ان المطلوب هو اسقاط مرشحى الوفد فعملوا على اسقاطهم •• واسفرت نتائج الانتخابات الاولى ـ فى الوجه القبلى ـ عما يشبه الفوز لحزب الاحرار الدستوريين دون السعديين •

وهنا شكا السعديون الى السراى من ان رجال الادارة المؤتمرين بأوامر رئيس الوزارة وزعيم الاحرار الدستوريين محمد محمود يضطهدونهم ويعملون على اسقاطهم لكى ينجح مرشحو الاحرار الدستوريين •

***

وصدرت الاوامر من رياسه الديوان رأسا الى مديرى الاقاليم «بمساعدة» مرشحى حزب السعديين •

وانقلبت الموازين فى انتخابات الوجه البحرى ورجحت كفة السعديين • اما حزب الوفد فقد سقط جميع مرشحيه فى الوجهين البحرى والقبلى ماعدا اثنى عشر مرشحا فقط •

اثنى عشر نائبا للوفد بعد ان كان له فى المجلس السابق المنحل فوق المائتى نائب •• وسقط فى هذه الانتخابات زعيم الوفديين مصطفى النحاس وسكرتير الوفد مكرم عبيد وجميع اعضاء الوفد وكبار الوفديين •

ولم ينجح من الوفديين البارزين سوى الاستاذ عبد الحميد عبد الحق الذى تولى زعامة المعارضة فى مجلس النواب الجديد ..

واجتمع المجلس الجديد فى شهر ابريل عام ١٩٣٨ .

وفى شهر يولية — على ما اذكر — بعث السيد على ماهر رئيس الديوان الى السيد مصطفى النحاس رئيس الوفد يطلب منه ان يقابله سرا على الكورنيش فى مكان ما برمل الاسكندرية . وفى ظلام الليل .

اما لماذا طلب ان تكون المقابلة على الكورنيش .. لا فى دار احدهما فان السبب بسيط .

خاف «رفعته» ان يراه احد وهو يدخل دار مصطفى النحاس .. او ان احدا يرى النحاس وهو يدخل داره وسوف يكون من الصعب تفسير او تبرير هذه الزيارة .

اما اذا رآهما احد معا وهما يتحدثان على الكورنيش فان من السهل ان يقال ساعتئذ ان المقابلة تمت بطريق الصدفة ..

النحاس باشا يحب المشى على قدميه .. وكذلك «رفعة» رئيس الديوان فأيه غرابة فى ان يلتقى الاثنان مصادفة على الكورنيش بينما كل منهما يتنزه سائرا على قدميه ؟

***

وكان غرض على ماهر من هذه المقابلة هو «التفاهم» مع زعيم الوفديين . والتفاهم على اسقاط وزارة محمد محمود خصم الوفد العنيد !

وهكذا ولما يمض على وزارة محمد محمود ستة شهور بدأ السيد على ماهر يعمل على اسقاط الوزارة التى كان قد جاء بها وداس بها على الاغلبيه البرلمانيه وعلى جسد الدستور !.

لماذا ؟ لكى يتولى هو رياسة الوزارة ..

ولا اطيل الحديث ..

نفس العقبات ونفس العراقيل التى كانت توضع فى طريق مصطفى النحاس .. وضعت فى طريق محمد محمود .. ونفس

الاشاعات التي كان يذيعها ويروج لها اعوان واذناب على ماهر في عهد وزارة مصطفى النحاس ، عادت وبعثت من جديد ٠

واحس محمد محمود ـ رحمه الله ـ وكان المرض انهك قواه واعصابه ـ احس ان بقاءه غير مرغوب فيه فاستقال ٠

ونال على ماهر مشتهاه ، وانتقل من رياسة الديوان الى رياسة الوزارة ٠ وكانت الحرب العالمية الثانية على الابواب ٠٠ وهتلر يدق طبول الحرب في كل صباح ، وموسوليني يخطب في كل يوم عن حرابه التي عددها ثمانية ملايين والتي تنتظر اشارة منه بالهجوم ٠

***

وكان وضع على ماهر فريدا في بابه فهو رئيس وزارة حزبية برلمانية ولكنه لاينتسب الى حزب ما وليس له في البرلمان حزب ما ٠٠

على من كان يعتمد اذن ؟ على من كان اعتماده في بقائه رئيسا للوزارة ؟ على فاروق ٠٠ وعطف فاروق ٠٠ لا على البرلمان ٠ فقد كان الاحرار الدستوريون ـ احد شقي حكومته المؤتلفة ـ ناقمين عليه بسبب مؤامرته ضد زعيمهم محمد محمود ٠وكان نفس شقيقه المرحوم الدكتور احمد ماهر زعيم السعديين اي الشق الآخر من حكومة على ماهر ٠ كان احمد ماهر ضده في السياسة فقد كان ينادي بوجوب دخول مصر الحرب الى جانب الحلفاء بريطانيا وفرنسا ٠٠ بينما كان شقيقه على ماهر يقول بوجوب تجنيب مصر ويلات الحرب ٠ ولم يكن هذا رأيه في اول الامر كما سوف نرى ٠

ولكن الحزبين ـ الاحرار الدستوريين والسعديين صدعا بامر القصر واذعنا لمشيئة فاروق وايدا سياسه على ماهر ٠٠

ومن هنا اصبح على ماهر يعتمد على فاروق ٠٠ بعد ان كان فاروق يعتمد على السيد على ماهر ٠٠

واصبح فرضا على رفعة رئيس الوزارة ان يعمل مايمكن عمله استبقاء لعطف فاروق اذا هو شاء الاحتفاظ بمنصبه في رياسة الوزارة ٠٠

واعلنت الحرب في اول سبتمبر ١٩٣٩ ، وفي اليوم التالى

دعى على ماهر باشا مجلس الوزراء للاجتماع .. وقال لزملائه الوزراء انه دعاهم للاتفاق على صيغة قرار اعلان الحرب ضد ألمانيا !.

وبهت الوزراء .. وقال احدهم وهو الاستاذ عبد الرحمن عزام :

ـ ولكن لماذا نعلن الحرب يارفعة الباشا ؟!

أجاب رفعة الباشا :

ـ طبقا لنصوص معاهدة عام ١٩٣٦ .

وانبرى الاستاذ عبد الرحمن عزام يفند هذا الرأى ويفسر مواد معاهدة ١٩٣٦ وان ليس فى المعاهدة المذكورة شىء يلزم مصر بدخول الحرب الى جانب بريطانيا ؟!

***

وبعد مناقشه طويله طلب عبد الرحمن عزام من على ماهر ان يترك له هذه المسألة ليسويها مع السفير البريطانى سير مايلز لامبسون ..

ووافق على ماهر ، وذهب عبد الرحمن عزام وقابل مايلز لامبسون وناقشه طويلا فى نصوص المعاهدة ، واستطاع ان يقنعه ان من مصلحة بريطانيا نفسها عدم اعلان مصر الحرب ...على المانيا ..

وهكذا سويت المسالة ..

ومع ذلك فان السيد على ماهر زعم فيما بعد انه صاحب الفضل فى تقرير سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب . ضد المانيا غداة اعلان الحرب !.

والواقع ان على ماهر باشا لم تكن له سياسة معينة ازاء الحرب العالمية الثانية .. او لعل سياسته ازاء الحربوالدول المتحاربة كانت مثل سياسته الداخلية ازاء الاحزاب وزعماء الاحزاب اى سياسة انتهازية .

كان يعتقد فى أول الأمر ، اى فى أول شهور الحزب ان النصر لبريطانيا وفرنسا ومن هنا ارادكما رأينا ان تعلن مصر الحرب ضد المانيا ثم عدل عن هذا الرأى مكتفيا بتقديم جميع المساعدات والتسهيلات الممكنة لبريطانيا .

ولقد اعلن فيما بعد ـ وبعد خروجه من الوزارة ـ اعلن انه

السيد على ماهر تلقى خلال الشـهور العشرة التى تولى فيها الحكم ثلاثه وثلاثين خطاب شكر من الجنرال ويلسون القائد العام للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ·

وقد شكر فيها القائد البريطانى رفعة رئيس وزراء مصر على الولاء الصادق والتعاون المخلص الذى يلقاه منه ·

ولقد ظل على ماهر على ولائه واخلاصه لبريطانيا وقضية بريطانيا من شـهر سـبتمبر سـنة ١٩٣٩ الى شهر يونيه ١٩٤٠ ·

اما من شهر يونية والشهور التالية فان رفعته نقل ولاءه واخلاصه من بريطانيا وحلفائها الى المانيا وحليفتها ايطاليا · لماذا ؟ ··

كان على ماهر يعتقد فى اول الحـــرب كما قلت ان النصر لبريطانيا وفرنسا ·· ولـكن انتصارات المحور بدأت تتوالى وراحت دول اوروبا تسقط واحدة بعد واحدة تحت سنابك جحافل هتلر ··

بولندة · الدانمرك · النرويج · هولندة · بلجيكا · وظل على ماهر على ولائه واخلاصه لانه كان يعقد الامل على فرنسـا وخط دفاعها المشهور « ماجينو » ·

ولكن هتلر حطم « ماجينو » وانهارت فرنسا واستسلمت ولم يحل منتصف يونية ١٩٤٠ حتى كان هتلر يدخل باريس والى جانبه جورنج مارين من تحت قوس النصر فى ميـــدان « الاتوال » ··

وهنا تحول على ماهر باخلاصه وولائه الى المانيا · ولااستطيع ان الوم الرجل · فلعله كمصرى مخلص كان يطلب الخير والأمان لبلاده ومن هنا حرص عـلى ان يقف دائما الى جانب الفـريق الغالب المنتصر ·

وعلى كل حال فان على ماهر باشا لم يضيع وقتا قبـل ان يطلق لسانه بالسخرية والتشهير ببريطانيا وفرنسا وضعف جيوشهما ·

وصرح ذات مساء فى مجلسه الخاص بانه لن يمضى شهر واحد حتى تستسلم بريطانيا ··

ورد عليه وزير حربيته اللواء صالح حرب باشا :

ـ بل شهران يارفعة الرئيس، فسوف تقاوم انجلترا شهرين ثم تسقط ..

واتصل خبر هذا الحديث بالسلطات البريطانية في مصر .

وكان فاروق بدوره قد بدأ يسخر من بريطانيا وفرنسا و «ينكت» عليهما في مجالسه . وكان يحيط به يومئذ بعض الامراء والشبان من المتحمسين لألمانيا النازية مثل عمر الفاروق وعباس حليم .

كذلك كان خدمه الخصوصيون من الايطاليين مثل بوللى وبيترو . ويروى ان فاروق خرج مرة للصيد . وكان معه بعض رجال السلك السياسى الاجنبى ومنهم السفير البريطانى مايلز لامبسون .

وأراد سير مايلز لامبسون ان يطرى مهارة فاروق في اصابة الهدف . فقال له عبارة اعجاب في هذا المعنى ..

وعلى الفور قال له فاروق :

ـ طبعا لان بندقيتى صناعة المانية .

ثم قهقه فاروق .. وقهقه معه مدعووه من الامراء الشبان .

ورأت حكومة لندن ان على ماهر باشا الذى كان قائدها جنرال ويلسون قد شكره في ثلاثة وثلاثين خطابا على صادق ولائه وحسن تعاونه .. قد انقلب الى النقيض واخذ يقيم العراقيل والعقبات امام السلطات البريطانيه العسكرية في مصر ..

وها هو ذا ملك البلاد يقفو اثره .. وارسل وزير خارجية بريطانيا يومئذ لورد هاليفاكس برقيته المشهورة «على ماهر يجب ان يخرج» .

وكان هذا اول انذار بريطانى او اول تدخل مكشوف واعتداء مفضوح على سيادة مصر المستقلة منذ عقد معاهدة ١٩٣٦ او معاهدة الشرف والاستقلال كما اسموها .

وذهب السفير البريطاني سير مايلز لامبسون الى القصر وقابل فاروق وابلغه نص البرقية او الانذار ، ثم قال :

انه ينصح بقيام وزارة وفدية او على الاقل وزارة يرضى عنها الوفد ويؤيدها .. وبادر فاروق وارسل عبد الوهاب طلعت «باشا» لمقابلة النحاس «باشا» في كفر عشما وعرض ظروف

وكان رفعة رئيس الوفد قد ترك القاهرة خوفا من الغارات الجوية ولجأ الى ضيافة اصهار السيدة زوجته في كفر عشما .

وقابله عبد الوهاب طلعت «باشا» وابلغه نص برقية لورد هاليفاكس ونصيحة سير مايلز لامبسون ، ثم قال ان «جلالة الملك» يستشيره فيما يجب ان يفعله ..

ولكن .. بينما كان مصطفى النحاس «باشا» يتأهب للعودة الى القاهرة وجمع اعضاء الوفد وعرض الامر عليهم واستصدار قرار برأى الوفد وما يجب عمله .. اذا بالأمر الملكى يصدر الى حسن صبرى بتشكيل الوزارة .

وكانت مفاجأةللوفد ، ومفاجأة للسفير البريطانى .. مفاجأة أغضبت النحاس كما اغضبت سير مايلز لامبسون .

وأسرع احمد حسنين الى السفارة وقابل السفير ليسالهعن سبب غضبه ؟ وقال سير مايلز : «وهذه التفاصيل التىاروبها هنا قصها على المرحوم حسنين »

قال :

ـ لقد كان كلامى واضحا وهو انالحكومة البريطانية تنصح باسناد الحكم الى وزارة وفدية او على الاقل الى وزارة يؤيدها الوفد ..

وقال حسنين وقد تظاهر بالدهشة :

ـ ولكن حسن صبرى باشا صديقكم ..وقد اخترناهبالذات لهذا السبب ..

قال السفير :

ـ نعم حسن صبرى صديقى .. ولكن ياباشا الصداقةشىء والسياسة شىء آخر .. ووزارة حسن صبرى لا هى وزارة وفدية ولا هى وزارة يؤيدها الوفد .

وأجاب حسنين وهو يمعن فى اظهار الدهشة والاسف :

ـ اذن فهذه غلطتى انا ، وانا المسئول عن هذا الخطأولكننى أقول انصافا لنفسى اننى حرصت عند اختيار اعضاء الوزارة علىان يكونوا جميعا من اصدقائكم .. حرصا على توافر التعاون الذى لابد من وجوده فى الظـــروف الحاضرة بين الســلطات البريطانية والسلطاتالمصرية .. ومن هنا اخترنا حسنصبرى .. ومحمود فهمى القيسى أليس صديقا لكم ؟

وراح حسنين باشا يذكر اسماء اعضاء الوزارة الجديدة ويشفع كل اسم منها بنفس السؤال : «أليس صديقا لكم؟» ثم أنهى حديثه ودفاعه بأن الغلطة غلطته هو ·· ·· وانه المسئول عن هذا الخطأ المؤسف ولكن يشفع له حسن نيته ·

ورضى سير مايلز او تظاهر بالرضا ، ووقفت المسألة عند هذا الحد ··

***

وكان على ماهر باشا مغيظا حانقا ·· بسبب ارغامه على الاستقالة وترك الحكم ·

واشاع انصاره وذيوله انه ذهب ضحية شجاعته ووطنيته ومواقفه ضد مطالب الانجليز ·· وصدق فريق كبير من الجمهور هذه الدعوى ·· وتمتع على ماهر باشا «بالبطولة» ولقب «البطل» بضعة اسابيع ··

ولكن الحقائق لم تلبث ان تكشفت فعرف الجمهور ان السيد على ماهر كان يريد - غداة قيام الحرب - ان تعلن مصر الحرب ضد المانيا وتقف الى جانب بريطانيا وفرنسا ·· وان السيد على ماهر تلقى خلال الشهور التى امضاها فى رئاسة الحكم ثلاثة وثلاثين خطابا من الجنرال ويلسون يشكر فيها رفعته على ولائه وصادق تعاونه مع السلطات البريطانية ··

تكشفت هذه الحقائق ·· وسقط ثوب البطولة عن رفعة الرئيس السابق ··

ومع ذلك فان على ماهر «باشا» لم يسكت ·· بل انطلق يقيم العراقيل ويخلق المتاعب فى طريق وزارة حسن صبرى وكان رفعته لايزال محتفظا بشىء من نفوذه عند فاروق ·

وذهب عبد الوهاب طلعت «باشا» صديق على ماهر او الذى كان صديقه الى يوم استقالته من رياسة الوزارة · ذهب الى حسن صبرى باشا وقال له ان على ماهر يشنع عليك ويتهمك بانك صنيعة الانجليز ·· وانك ··

ولكن المرحوم حسن صبرى باشا لم يتركه يتم حديثه بل قال له :

- ان على ماهر صديقى ·· وانا لااسمح لك بان تطعن فى اخلاقه امامى ·· وخصوصا انك كنت صديقا له ·

***

الموقف عليه ..

وقال حسنين باشا وهو ينهى هذه التفاصيل :

ـ وهكذا القى حسن صبرى باشا درسا فى الاخلاق على عبد الوهاب طلعت .. وعلى ماهر فى الوقت نفسه .

ثم حدثنى ـ رحمه الله ـ عن سبب اختيار حسن صبرى باشا رئيسالنوزارة . وعدم الاخذ بنصيحه سير مايلزلامبسون وهى اسناد الحكم الى وزاة وفديه او وزارة يؤيدها الوفد .. قال :

ـ لقد كان رأيى دائما ان الوفد هو القوة الشعبية الوحيدة فى هذا البلد وانه بهذه الصفة احق بالحكم من جميعالاحزاب الاخرى لأنه يتمتع بثقة الناخبين . وانا اعتقد كذلك ان الوفد قوة يمكن استغلالها فى استخلاص حقوق البلاد من الانجليز . ولقد عملت ولا ازال اعمل علىتسوية جميع الخلافات بينالملك ومصطفى النحاس وازالة اسباب سوء التفاهم التى خلفها عام ١٩٣٧ وما تلاه .. وهذه خطوة لابد منها قبل عودةالمياه الى مجاريها الطبيعية اى قبلعودة الوفد الى تولى الحكم . ومنهنا تفهم لماذا رفضت ان اعمل بنصيحة سير مايلز لامبسون .. لان العمل بهذه النصيحة كانمعناه ان الوفد .. وهو القوة الشعبية الوحيدة ، وقوتها فى استخلاص حقوقنا منانجلترا، انما يعود الى الحكمبارادة الانجليز وهذا امر ليس فى مصلحة البلاد ولا فى مصلحة الملك ولا فى مصلحة الوفد نفسه .واظن انك توافق على انه من مصلحتنا جميعا انه اذا عاد الوفد الى الحكم فيجب ان يعود بالطريق الشرعى السليم او بموافقة صاحب العرش .. لا بارادة الانجليز .

ثم قال ـ رحمه الله ـ وهو يبتسم :

ـ ورأيت ان نقوم بمناورة تمويه وتضليل ذرا للرماد فى عيون السفير البريطانى فطلبت من الملك ان يوفد عبد الوهاب طلعت لمقابلة النحاس « باشا » فى كفر عشما .. لكى الفت انظار السفارة وعيونها الى كفر عشما واصرفها عما يجرى فى القاهرة .. وهكذا بينما كان عبد الوهاب طلعت فى كفر عشما كنت انا قد اتصلت بحسن صبرى واعضاء وزارته واعددت

المراسيم بتشكيل الوزارة .. وفوجيء السفير البريطاني بوزارة حسن صبرى وبالامر الواقع .. صحيح ان حسن صبرى باشا صديق للسفير وللانجليز ولقد اخترناه لهذا السبب كسرا لحدة التحدى فقد كان اغفال نصيحة السـفير البريطانى تحديا منا لاشك فيه .. ولكن حسن صبرى مع ذلك مصرى وطنى مخلص لبلاده قبل كل شيء ..

***

هذا هو مجمـل حديث المرحوم احمد محمد حسـنين عن الظروف والاسـباب التى دعت لاختيار المرحوم حسن صبرى باشا رئيسا للوزراء في شهر يونيه عام ١٩٤٠ ، وللتـاريخ وحده ان يحكم على سياسة حسنين باشا .. وهل اصاب فيها او اخطأ ؟ .. وهل قيام وزارة وفديه او وزارة يؤيدها الوفد في يونيه ١٩٤٠ ، كان يجنب مصر مذلة حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .. وهل اغفال « نصيحة » السفير البريطانى كان السبب فى وقوع الحادث المشئوم المذكور ام لا ؟ ..

كل هذه الاسئلة فرضية سوف يجيب عنها التاريخ .

تولت اذن وزارة حسن صبرى باشـا الحكم .. وكان اول طلب جاءها من السـلطات البريطانية هو « اعتقال على ماهر بسبب نشاطه العدائى ضد بريطانيا وحلفائها » ورفض حسن صبرى هذا الطلب بالرغم مما كان يعرفه عن نشاط على ماهر ضد وزارته ومساعيه لاسقاطها ، والاشاعات التى كان يذيعها عنه وعن الوزارة ..

ولكنه ـ اى حسن صبرى ـ اوفد رسولا الى على ماهر يبلغه ما حدث وينصحه بالاخلاد للسكينة والكف عن « التشنيع » فى مجالسه الخاصة على بريطانيا وحلفائها .

ولم يعمل السيد على ماهر بالنصـيحة .. بل اسـتمر فى نشاطه العدائى ضد الانجليز وضد حسن صبرى الذى رفض ان يعتقله ..

وعاد المرحوم حسن صبرى واوفد رسولا آخر الى السـيد على ماهر وكان الرسـول فى هذه المرة الدكتور احمد ماهر شقيق على ماهر ..

وكانت النصيحة هذه المرة ان يغادر على ماهر باشا القاهرة الى قصره الاخضر فى ريف البحيرة ..

وعمل على ماهر بالنصيحة وسافر الى القصر الاخضر واقام فيه يومين ثم عاد الى القاهرة ..

***

ولا اعرف لماذا او كيف ؟ ولكن حسن صبرى باشا ـ وبعد شهر واحد من توليه الحكم ـ تقدم الى فاروق يلتمس تعيين احمد حسنين باشا رئيسا للديوان .. وكانت حجته ان المنصب شاغر منذ عام .. وانه ما دام حسنين باشا هو الذى يقوم فعلا بأعمال رئيس الديوان فان من المرغوب فيه رسميا فى المنصب المذكور ..

واعتقد ـ وان كنت اعترف ان ليس تحت يدى دليل يبرر هذا الاعتقاد ـ اعتقد ان حسن صبرى باشا انما تقدم بهذا الطلب استجابة لرغبة وتلميح من حسنين باشا . او لعله اراد أن يكافىء حسنين على حسن صنيعه يوم اشار باختياره رئيسا للوزارة التى خلفت وزارة على ماهر ..

وعلى كل حال فان فاروق رفض فى اول الامر ان يعين حسنين رئيسا للديوان .. لأنه كان يريد ان يحتفظ بالمنصب المذكور لعلى ماهر باشا .. ولم يكن ينتظر سوى الفرصة المناسبة التى تتحسن فيها العلاقات بين الانجليز وعلى ماهر .. لكى يعيده رئيسا للديوان ..

ولكن حسن صبرى لم يسكت بل مضى يكرر هذا الطلب او هذا الترشيح .. وفاروق يرفض .. حتى نشأ ما يشبه الازمة الوزارية لأن حسن صبرى جعل بقاءه فى رئاسة الوزارة رهنا بتعيين احمد حسنين رئيسا للديوان ..

واخيرا ـ وكان ذلك فى شهر اغسطس ١٩٤٠ على ما اذكر ـ وافق فاروق وصدر الامر بتعيين احمد محمد حسنين باشا رئيسا لديوان « جلالة الملك » ..

وتحقق لحسنين باشا ما كان يتمناه منذ عام ١٩٣٧ .

***

ولكن الاجل لم يطل بالمرحوم حسن صبرى باشا ٠٠ فبينما كان يلقى « خطاب العرش » فى يوم السبت الثالث من شهر نوفمبر ١٩٤٠ اصيب بنوبة قلبيه ٠٠ وفاضت روحه ـ رحمه الله ـ فى قاعة مجلس النواب ٠

وفى مساء نفس اليوم صدر مرسوم ملكى يكل الى عبد الحميد سليمان باشا القيام بأعمال رئيس الوزارة ٠ ريثما تتم المباحثات والاستشارات بشأن اختيار الذى يخلف حسن صبرى باشا فى رئاسة الوزارة ٠٠

وكان هذا المرسوم مناورة تمويه وتضليل اخرى من حسنين باشا رئيس الديوان لأن السفارة البريطانية فهمت ـ كما فهم الناس ـ من انابة عبد الحميد سليمان باشا للقيام بأعمال رئيس الوزراء ان امر اختيار الرئيس الجديد للوزارة قد يطول ويستغرق بضعة ايام ٠٠

ولكن السفارة والسفير والوفد والاحزاب ٠٠ كل هؤلاء فوجئوا بعد يوم واحد باختيار حسين سرى « باشا » رئيسا للوزارة ٠٠

***

وقص على حسنين ـ رحمه الله ـ تفاصيل ماحدث فى مساء وفاة حسن صبرى باشا ، فقال :

ـ كلمنى الملك بالتليفون فقلت له : «هل يأذن لى مولانا بمقابلته ؟» ٠ فقال : «ايوه ٠٠ لكن خليك فى مكتبك وأنا جاى عندك » ٠

وجاء فاروق وجلس وقد تكلف هيئة الجد ٠٠ وعرض على رياسه الوزارة ٠٠ وكان على ماهر باشا هو السياسى الوحيد الذى استقبله الملك سرا بعد وفاة حسن صبرى باشا واستشاره فى الموقف ٠٠ وادركت ان ترشيحى لرياسة الوزارة جاء من جانب على ماهر ٠٠ وانه مقلب من رفعته ٠٠ لكى يتخلص منى نهائيا ٠٠ يعنى ابقى رئيسا للوزارة اسبوعين او شهرا ، ثم اقال او ارغم على الاستقالة واخرج من السراى الى دارى لأبقى فيها نهائيا ٠

ادركت هذا بالبديهة .. ولأن فاروق الذى كان يعارض ويرفض تعيينى رئيسا للوزارة .. الفكرة اذن فكرة على ماهر ولغرض خفى .

ومضى حسنين فى حديثه ، فقال :

ـ واعتذرت بأدب من عدم قبول المنصب الكبير .

وقال لى الملك : «لاتتسرع .. فكر شويه كمان ، وسوف أعود اليك» .

وتركنيوانصرف .. وهنا دخل على عبدالوهاب طلعتباشا فطلبت منه ان يواتينى بدوسيهات رؤساء الوزارات والوزراء السابقين ..

وفى ادارة المحفوظات بقصر عابدين ملف او «دوسيه»خاص لكل رئيس وزارة سابق وكل وزير سابق وكل زعيمسياسى من الساسة المصريين .

وعاد الملك وسألنى :

ـ هيه ؟..

وقلت له :

ـ ياتقعدنى جنبك .. ياتخرجنى من السراى ..

قال : يعنى ايه ؟..

قلت : آنا لاأصلح لهذا المنصب .. ثم ان الناس سوف تقول ان حسنين ربى فاروق وكسب نفوذا عنده لكى يستغل هذا النفوذويعمل نفسه رئيس وزارة .. بينما فىالبلدعشرات ممن يصلحون خيرا منه لهذا المنصب .

وهنا تساءل فاروق : زى مين يعنى ؟ ..

قال حسنين : هذا ماابحث فيه الآن .

قال فاروق : ضرورى هنا المساء .. تقول لى مين ..

قلت : سمعا وطاعة .. سوف أقدم اسم المرشح هذا المساء ..

***

وخرج فاروق .. ووضعت أمامى «الدوسيهات» التى كان جاءنى بها عبد الوهاب طلعت .. وفتحت بعضها .. حتىيظن من يدخل وينظر اليها اننى كنت ابحث فيها .. ولكننى لم

احاول ان أبحث لانني كنت اخترت فعلا اسم المرشح لرياسة الوزارة ..

وعاد فاروق بعد نحو ساعة وسألني : «مين بقى ياسيدى الذى ترشحه ؟»

قلت : حسين سرى .

وصاح فاروق : «اعوذ بالله ، ده راجل بتاع الانجليز مش ممكن .. شوف لك حد تانى ..»

وتركنى وخرج .

وجلست انتظر عودته .. وكنت اعرف ان فاروق لايستريح الى حسين سرى ولا يحبه رغم وجود صلة النسب العائلية رغم اجتماعه به مرارا فى سهرات الاسرة ، فقد كان حسين سرى زوجا للسيدة خالة «الملكة فريدة» .

كنت اعرف هذا ولكننى مع ذلك صممت على التمسك بترشيح حسين سرى لرياسه الوزارة ..

وعاد فاروق وسألنى : « هيه ؟ وجدت مين غير حسين سرى ؟ » .

قلت : مش لاقى حد تانى يامولانا .. مافيش أمامى غير حسين سرى ..

وانفجر فاروق غضبا وصاح :

ـ ايه الحكاية ؟ دى مؤامرة انجليزية والا ايه ؟ ..

وطفرت دمعة من عينى ـ هكذا قال لى حسنين ـ ولا أدرى هل كانت دمعة صادقة ام كانت دمعة تمثيل ، فقد كان حسنين ـ رحمه الله ـ يجيد التمثيل ويعرف كيف يندمج فى دوره .

وتأثر فاروق ـ فقد كنا لانزال فى عام ١٩٤٠ وكان قلب فاروق لم يتحجر بعد ـ تأثر فاروق وتقدم من حسنين وقبله واعتذر اليه ..

ثم قال : لكن يا حسنين مش فاهم سر تمسكك بحسين سرى . اشمعنى يعنى حسين سرى وده بتاع الانجليز ؟

واجاب حسنين :

ـ معاذ الله ان ارغم مولانا على قبول امر ما ، ولكننى اعتقد اننى استطيع ان اخدم جلالتك واخدم البلد وانا فى منصب رئيس الديوان وحسين سرى فى منصب رئيس الوزراء ..

فاذا لم يوافق مولانا فانى ألتمس منه ان يتركنى اروح بيتى ٠
ـ يعنى ايه ٠٠ تفوتنى ؟ ٠٠
قال حسنين :
ـ لا يامولانا ٠٠ وانما علشان يكون مولانا حر فى اختياره وفى سياسته ٠٠
وعاد فاروق يتساءل :
ـ يعنى عايز تسيبنى دلوقت ؟٠٠
وهنا انطلق حسنين يتحدث عن حبه واخلاصه لفاروق وعن الخدمات التى أداها له ٠٠ وعن كيف كان يأمل انه قد كسب ثقة «مولاه» الملك ٠٠ ولكنه قد ادرك مع الأسف من حديث اليوم ان « مولاه » لا يثق فيه ٠٠
واغرورقت عيناه مرة اخرى ٠
واغرورقت عينا فاروق ٠٠ وقبل حسنين مرة اخرى وهنا راح حسنين يشرح لفاروق سبب ترشيحه لحسين سرى ٠٠ فقال :
ـ يعرف مولاى ان سياستى هى هى لم تتغير منذ اول يوم استلمتك فيه وانت آمير ٠ وسياستى هى ان تكون لك حقوقك ٠٠ وحسين سرى مهما يكن رأى مولانا فيه فانه نسيبك وهو لحرص الناس على حقوقك ٠٠ ونحن فى ظروف حرب عالمية ومفاجآت دولية خطيرة ٠٠ والحكم الآن فى أيدى احزاب اقلية لاتمثل البلاد ٠٠ والوفد صاحب الاغلبية الحقيقية مقصى عن الحكم ٠٠ وتعيين رجل مستقل غير حزبى مثل حسين سرى فى رياسة الوزارة قد يخفف ولو قليلا من حدة خصومة الوفد للسراى ٠ ثم ان حسين سرى رجل مقبول عند الانجليز ٠ وسوف يسكتون على تعيينه كما سبق ان سكتوا على تعيين حسن صبرى ولا يلحون ولا ينددون بوجوب قيام وزارة وفدية ٠٠ يعنى اننا بتعيين حسين باشا سرى نتفادى الاصطدام الآن بالانجليز ٠٠ وحسين سرى كذلك هو الوحيد الذى سوف يرضى بتنفيذ سياستى ، بل ويرضى بمساعدتى فيها ٠٠ وسياستى هى التمهيد لعودة الوفد الى الحكم بعد ان يقدم الوفد لمولانا الترضية الكافية والضمانات الكافية على عدم تكرار ماعملوه فى سنة ١٩٣٧ ٠

ولما انتهى حسنين من بيانه او من دفاعه ·· هز فاروق رأسه موافقنا وقال :

ـ وهو كذلك ·· فتشوا على حسين سرى ··

وكان الوقت بعد منتصف الليل ·

وراحت الرسل والتليفونات تبحث عن حسين سرى ··

ووقف عبد الوهاب طلعت باشا بباب السراى ينتظر وصول رئيس الوزارة الجديد ·· فلما وصل استقبله بالاحضان وهناه ·· فكان اول المهنئين ··

قال حسنين : «ويظهر ان عبد الوهاب باشا اراد ان يفهم حسين سرى انه هو صاحب الفكرة او صاحب الفضل فى احتياره لرياسة الوزارة ··»

وأشهد ان حسنين ـ رحمه الله ـ كان مخلصا فى تنفيذ سياسة التمهيد لعودة الوفد الى الحكم ·· وكان يصارح بها الساسة والزعماء الذين يطمئن اليهم ويثق فى سلامة تقديرهم وحكمهم ومنهم الدكتور محمدحسين هيكل رئيس حزب الاحرار الدستوريين ·

روى لى حسنين ان الدكتور هيكل زاره ذات يوم بعد قيام وزارة حسين سرى وقال له :

ـ قل لى ياأبو الحسن ·· وسيبك من شغل المشيخة والدروشة بتاعتك ·· ايه بالضبط سياستك دلوقت ؟ ·

فشرحت له سياستى وهى التمهيد لعودة الوفد الى الحكم لانه صاحب الأغلبية الحقيقية ·· هذا مع قيام حياة نيابية سليمة ووجود معارضة صالحة قوية تؤدى مهمتها على الوجه الصحيح ·· هذا مع الحد من طغيان الاغلبية والعمل علىوجود معارضة قوية ·

ووافقنى الدكتور هيكل علىسياستى هذه وتمنى لىالتوفيق فى تنفيذها ·

***

قامت وزارة حسين سرى فى نوفمبر عام ١٩٤٠ ، واقبل صيف ١٩٤١ ، وذهب مصطفى النحاس باشا ، ومكرم باشا الى مصيف رأس البر ليمضيا الصيف · فى أمان من الغارات الجوية ··

وذات يوم هبط على رأس البر الاستاذ مصطفى امين الذى كان يومئذ رئيسا لتحرير منجة « الاثنين » ٠

وقال مصطفى امين للأستاذ مكرم عبيد انه جاء يحمل رسالة من رئيس الديوان احمد حسنين باشا ٠ وفحوى هذه الرسالة انه اذا التمس «رفعة» رئيس الوفد مصطفى النحاس باشا مقابلة «جلالة الملك» فان التماسه سوف يجاب فى الحال ٠

وكان مصطفى النحاس لم يقابل الملك فاروق منذ أقيلت وزارته فى ديسمبر ١٩٣٧ وكان المعنى الواضح من هذه الرسالة او هذه المقابلة المطلوبة ان السراى تخطو الخطوة الاولى فى سبيل التمهيد لعودة المياه الى مجاريها بين صاحب العرش ، وبين الوفد صاحب الاغلبية فى البلاد ٠

ورحب الاستاذ مكرم عبيد بهذا الطلب ٠٠ وذهب لفوره وأبلغه لنسيد مصطفى النحاس ٠

ولكن النحاس باشا تشكك فى صدق الرسالة وفى صدق الرسول مصطفى امين وقال مامعناه : «ان هذا كله كلام فارغ وتخدير اعصاب » ٠

وكان رفعته ولاشك متأثرا بمناورة كفر عشما يوم زاره عبد الوهاب طلعت باشا ليستشيره باسم فاروق فى الموقف السياسى بعد تلغراف لوردهاليفاكس ٠٠ وكيف فوجىء بعدها بتأليف وزارة حسن صبرى باشا ٠

تشكك اذن مصطفى النحاس باشا فى جدية رسالة الاستاذ مصطفى امين ٠

واخيرا قال الاستاذ مكرم عبيد : ان الدليل على جدية اوعدم جدية الرسالة هو ان يطلب الاستاذ مصطفى امين بالتليفون حسنين باشا ويحدثه امامنا فى الموضوع ٠

ووافق مصطفى النحاس باشا وطلب مصطفى امين قصر عابدين بالتليفون ٠٠ وقال : اعطونى حسنين باشا ، واعطوه حسنين باشا ٠٠

وقال مصطفى :

ــ مكرم باشا واقف جنبى وعاوز يسمع منك الكلام الذى طلبت منى ابلاغه لمصطفى النحاس باشا ٠

وذول مصطفى امين سماعة التليفون لمكرم باشا عبيدوقال حسنين لمكرم نفس الكلام الذى كان نقله اليه مصطفى أمين ٠ وأضاف ان مقابله النحاس للملك امر مرغوب فيه وخطوة أولى لابد منها ٠٠

وسأله الاستاذ مكرم عبيد :

ـ وهل احضر انا ايضا الى القاهـرة مع مصطفى باشا ؟

وقال حسنين باشا :

ـ نعم ٠٠ يستحسن لو معاليك حضرت كمان ٠٠

وهنا قال مكرم باشا :

ـ اذن وأنا ألتمس مقابله جلاله الملك باسم مصطفى النحاس وباسمى ٠٠

وأجاب حسنين باشا :

ـ والالتماس مقبول ٠٠

وحدد حسنين موعدا للمقابله «الملكية الكريمة» ٠

***

وغادر النحاس باشا ومكـرم باشا مصيف رأس البـر الى القاهرة ٠٠

وفى القاهرة عرف مكـرم باشا ان المقابلة مقصـورة عـلى النحاس باشا وحده ٠

وغضب مكرم وتساءل عن معنى دعوته للحضور الى القاهرة وهل دعوه للحضور لكى يبلغوه ان الملك يريد ان يسـتقبل النحاس باشا وحده ؟ ٠٠

***

وتمت المقابلة ٠٠ بين فاروق والنحاس ٠

وتحدث فاروق عن الموقف وعما يلقاه مـن عنت الانجليز واضطهادهم له وسأل رئيس الوفد هل يقف الوفد الى جانبه اذا اصطدم يوما بالانجليز ؟٠

وتحمس مصطفى النحاس وأعلن انه وجميع الوفديين يفتدون «الملك» بدمائهم ورقابهم ٠

ومرر «رفعته» يده على عنقه تأكيدا لمعنى الفداء ، ثم اخرج من جيبه مصحفا واقسم عليه انه ورجال الوفد مخلصون لفاروق وانهم ٠٠ وانهم ٠٠ الى آخره ٠٠

وهكذا محت هذه المقابلة جميع الآثار السيئة التي كانت خلفتها اقالة وزارة النحاس باشا في ديسمبر ١٩٣٧

وخرج النحاس باشا من مقابلة فاروق ، وهو يدعو له ولعرشه بالعز والتأييد ..

***

وعاد النحاس ومكرم الى مصيف رأس البر ..

ولم يمض على عودتهما ايام معدودة حتى اقام بعض كبار الوفديين من المصيفين حفلة تكريم لمصطفى النحاس ـ ولعلها كانت حفلة موعزا باقامتها ـ وقام النحاس وألقى خطبة شن فيها على الانجليز حملة شعواء . واذكر انه قال بين ما قاله ان انجلترا تزعم انها تحارب من اجل الديمقراطية والحريات ، بينما هي تحارب الديمقراطية وتضطهد الحريات في مصر ..

ثم دعا رئيس الوفد لجلالة الملك المفدى ..فاروق ، وأعلن اخلاصه واخلاص الوفديين لصاحب العرش المجيد .

***

وكان هذا ـ كما قلت ـ في أواخر صيف عام ١٩٤١ .

واهتزت مقاعد وزارة حسين سرى تحت أصحابها ..

وحسب الناس أن أيام هذه الوزارة « الائتلافية » المؤلفة من أحزاب الأقليات .. حسبوا أن أيامها معدودة وان الوفد يوشك أن يعود الى الحكم ولكن ..

***

ولكنني اعود اليوم الى الحديث عن سياسة حسنين وهي التمهيد لعودة الوفد الى الحكم وكيف سار فيها وكيف عمل على تنفيذها .. وهل هو أخطأ في مماطلته وتسويفه ؟ ..

قال لي المرحوم حسنين باشا في حديث طويل في مساء يوم ٩ مارس عام ١٩٤٢ :

ـ لقد كان دائما من رأيي أن نظام الحكم القائم في مصر نظام غير طبيعي وغير مأمون ولا مرغوب فيه ، اذ أن الحكم كان في يد أحزاب الأقلية .. بينما تقوم الأغلبية بمهمة المعارضة .. وهذا وضع مقلوب ومن هنا بدأت أعمل لتصحيح

الأوضاع واعادة الامور الى سيرها الطبيعي ·· أي اغلبية تحكم وأقلية تعارض ·

وذات يوم ـ وقد أحسست أن الجو المناسب مهيأ تماما قلت للملك : « أظن يامولانا أن وزارة حسين سرى تعبت خلاص » ·

فقال لى ـ : « أيوه ·· والورقه اللى فاضله هى مصطفى النحاس » ··

***

وكنا فى أواخر صيف ١٩٤١ وكانت أحاديث الخلاف بين السعديين والدستوريين وبينهم وبين رئيس الوزارة حسين سرى على الألسنة فى الأندية والمجتمعات ·· وكان حسين سرى يرسل من وقت لآخر لسانه بكلام مقذع شديد فى حق بعض أقطاب السعديين حتى أنه تحدث مرة أمام بعض الكبراء فقال عن قطب سعدى كبير أنه يأوى اللصوص فى عزبته ويحميهم وان له دوسيها خاصا بين دوسيهات المشبوهين بوزارة الداخلية ·· ومع ذلك ـ هكذا قال حسين سرى ـ ومع ذلك فان السعديين يطلبون منى تعيين «المشبوه المذكور» وزيرا !؟ ··

ومضى حسنين يقول : وكانت أخبار هذا الخلاف تصل الى الملك أولا بأول ، ومن هنا وافقنى على رأيى عندما قلت له ان وزارة حسين سرى تعبت خلاص ··

ثم قال حسنين :

ـ لكن الملك دخل على فى صباح اليوم التالى لحديثنا وقال انه يرحب بقيام وزارة على رأسها مصطفى النحاس بس بشرط أن تكون وزارة ائتلاف تمثل فيها جميع الأحزاب ··

ولابد ان يكون الملك قد أفضى برأيه هذا ـ أو بحديثنا كله ـ الى آخرين من رجال الحاشية لأن الخبر بلغ رئيس الوزارة حسين سرى باشا فقد زارنى فى مكتبى وقال لى بلهجة غضب وعتاب مره :

ـ طيب ياأخى ماتجيب أصحابك الوفديين فى الحكم وتخلص مرة واحدة بدل ما تمرمط فى كده ··

***

والآن نلخص الموقف فى أواخر صيف ١٩٤١ :
فاروق تصالح مع مصطفى النحاس ..
مصطفى النحاس يخطب ويمتدح « المليك المفدى فاروق » ويسب الانجليز أعداء البلاد ..
فاروق يفوض رئيس ديوانه حسنين فى اعادة الوفديين الى الحكم على شرط أن تكون الوزارة ائتلافيه تمثل فيها الأحزاب تحت رئاسه مصطفى النحاس ..
وبدأ حسنين فى تنفيذ الخطوات الاخيرة وهى اقناع الوفد والاحزاب الاخرى بالاتفاق على هدنة وقبول الاشتراك فى الحكم ..

وقيل يومئذ ان الاستاذ مكرم عبيد تعهد باقناع النحاس باشا بقبول رئاسة الوزارة الائتلافية ..
واقتنع النحاس باشا فى وقت ما وأعلن فى حديث له أنه يمد يده الى الجميع من اجل العمل فى هذه الظروف الخطيره لمصلحة البلاد العليا ..
ولما لم تجب الاحزاب على هذه الدعوة عاد « رفعته » واعلن انه « قبض يده الممدودة » وأن الحكم للأمة وللناخبين أى انه رفض الأتلاف وتوزيع كراسى الوزارة .. وعاد الى طلبه القديم وهو الاحتكام للشعب فى انتخابات تجرى والحكم يكون لمن يفوز ..

***

ومر عام ١٩٤١ ..
وأقبل عام ١٩٤٢ ، وقد بدأ ثعلب الصحراء المراوغ ماريشال روميل كما وصفه يومئذ ونستون تشرشل .. بدا يتحرك من مكمنه ..
وكان الانجليز قد سمعوا طبعا وعرفوا بمساعي حسنين لاعادة الوفديين الى الحكم .. وسمعوا طبعا وعرفوا بمقابلة فاروق لمصطفى النحاس .. وسمعوا طبعا بخطبة النحاس باشا فى رأس البروكيف انه حمل عليهم واسماهم اعداء الديمقراطية وجلادى الحريات .. وان رفعته القى هذه الخطبه بعد مقابلته لفاروق ..

اذن ·· فان فاروق ضدهم،والوفد ورئيسه ضدهم ،والرأى العام فى مصر ضدهم ··

***

واحس حسنين انه فى سباق مع الزمن فذهب الى فاروق يقول ان السعديين والدستوريين قد ركبهم الغرور او لعلهم قد استعذبوا الحكم بعد بقائهم فيه اربع سنوات ، ومن هنا لا يريدون أن يخطوا من جانبهم خطوة الى ا وفديين ، بل ذهبوا يتدللون ويشترطون قبل قبولهم الائتلاف ان ينزل لهم الوفد عن كذا وكذا من الدوائر ، وان يكون لهم فى الوزارة كذا وكذا من المقاعد ·· وان النحاس باشا يرفض وقد عدل عن رأيه وعاد واسترد يده الممدودة ·· فماذا نعمل ؟··

وقال فاروق ·· «وهذا كلام حسنين باشا » :

ـ اذن هات النحاس باشا على شروطه ··

أى ان فاروق رضى بعودة النحاس باشا والوفد الى الحكم بلا قيد ولا شرط ··

ولكن حسنين لم يصدع بأمر فاروق ·· ولم يبادر الى الاجهاز على وزارة حسين سرى المتعبة ·· والعمل على عودة النحاس الى رياسه الحكم بدون قيد او شرط بل استأنف مساعيه عند الوفد وعند الاحزاب من اجل الاتفاق والائتلاف ··

وكأنما عز عنيه ان يسلم بفشله فى تأليف الوزارة القومية ·· ومن هنا عاود الكرة ·

وقد يتساءل قارىء : ولماذا اذن كان قد ذهب الى فاروق وأبلغه أن النحاس قد استرد يده الممدودة وأنه يرفض الائتلاف ؟ وبالغ فى وصف الصعوبات التى يلقاها ؟

والرد : لكى يحمل فاروق على اعطائه تفويضا مطلقا بالعمل ·· أو بعبارة أخرى لكى يحصل على تفويض على بياض ··

اذا نجحت مساعيه وأفلح فى حمل الوفد والأحزاب على الاتفاق فيما بينهم وتأليف وزارة قومية عاد الى فاروق ـ وقد تضاعف فوزه وقدره ـ وقال : « لقد حققت لمولانا رغبته ومع أن مولانا قد فوضنى فى عودة النحاس الى الحكم

على شروطه فانني قد نجحت فى عودة النحاس الى الحكم على شروط مولانا ٠٠ »

واذا لم تنجح مساعيه وأصرت الأحزاب على موقفها ومساوماتها ٠٠ وأصر النحاس باشا على استرداد يده التى كان مدها الى الأحزاب ٠٠ عاد حسنين الى فاروق وقال : « لقد صدعت بأمر مولانا وأعدت النحاس باشا الى الحكم بدون قيد أو شرط »

فى الحالة الأولى : يكسب حسنين كثيرا لأنه جاء فاروق بكسب يفوق ما كان يطلبه ٠ وفى الحالة الاخرى ، لايخسر حسنين شيئا لأنه لم يفعل شيئا سوى تنفيذ أوامر « مولانا » فاروق ٠٠

تلك أخلاق حسنين ٠٠ أو تلك كانت سياسته ٠٠

حادث ٤ فبراير

وهكذا ٠٠ مضت الايام ، وحسنين يسعى ويفاوض ويساوم رجال الاحزاب ، لانه كان حريصا على الفوز وعدم الهزيمة ٠٠

ولكن خوفه من هذه الهزيمة كان سببا فى اصابته بأكبر هزيمة حلت به فى حياته السياسية ، واعنى حادث ٤ فبراير ٠

ذلك انه اغفل الحقيقة التى كان ادركها منذ اسابيع او منذ شهور قليلة ، وهى انه فى سباق مع الزمن ٠٠ او لعله لم يقدر سرعة هذا الزمن ٠

او لعل انتصاره على مايلز لامبسون يوم فاجأه بالامر الواقع وتعيين حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة ، ويوم فاجأه مرة ثانية بوزارة حسين سرى ٠٠ لعل انتصاره فى هذين الحادثين ملأه ثقة بنفسه ، ومن ثم اراد ان يفاجىء الانجليز بقيام الوزارة الوفدية التى طالما الحوا فيها وتمنوا قيامها ٠٠ ولكنها وزارة وفدية تأتى الى الحكم بارادة فاروق ٠

وبفضل من فاروق لا بارادة الانجليز او بمشورتهم او بفضل منهم ٠٠!

وياله من انتصار لأحمد محمد حسنين ! ٠٠ هاكم وزارة الوفد برياسة مصطفى النحاس ٠

هاكم الوزارة التى تطلبونها وتقدمون لنا الانذارات بسببها .. ولكنها وزارة تلى الحكم وهى تلعنكم وتلعن سياستكم وتتهم حكومتكم بأنها تحارب الديمقراطية والحريات .

نعم يا له من انتصار لأحمد حسنين .. أو هكذا قدر أحمد حسنين .

ولكن رئيس الديوان المناور الداهيـة أخطأ هذه المرة فى الحساب ، وفى تقدير مدى خبث السياسة البريطانية أو المدى الذى يمكن ان تذهب اليه اذا تحرجت الامور وأحسـت ان مصالح بريطانيا فى خطر .

أخطأ فى الحساب والتقدير وترك الانجليز يسبقونه .

***

قلت ان ثعلب الصحراء ماريشال روميل تحرك من مكمنه .

وفى شهر يناير سنة ١٩٤٢ بدأ روميل هجوما عنيفا على الجيش البريطانى فى الصـحراء ، وأوفدت لندن وزير الدولة مستر ليتلتون الى القاهرة لكى يساعد وجوده فى منطقة الخطر على اتخاذ قرارات سريعة من غير حاجة الى استشارة لندن فى كل كبيرة وصغيرة .

وطلب مايلز لامبســون من السراى تحديد موعد يتشرف فيه وزير الدولة البريطانى مســتر ليتلتون بمقابلة « جلالة الملك » .

ولكن السراى أبقت وزير الدولة والســفير ثلاثة أيام فى انتظار الرد .

وكانت اهانة أغضبت الوزير والسفير .. أو هكذا قال لى حسنين رحمه الله وهو يشرح لى أسباب حادث ٤ فبراير .

روميل يشن هجوما عنيفا فى الصـــحراء الغربية وهزائم الجيش البريطانى تتوالى .. ومواقعه الحصينة تسقط تباعا فى أيدى جيش روميل .

النحاس باشا يخطب ضد الانجليز .. وزارة حسين سرى استقالت بسبب الازمة التى كان بطلها الاستاذ صليب سامى وزير الخارجية يومئذ وهى الازمة التى عرفت باسم ازمة وزير فيشى المفوض .. الرأى العام فى مصر هائج ضد الانجليز ..

يصفق ويهتف لكل انتصار يحرزه روميل وكل هزيمه تقع بالانجليز .. والمظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بسقوط انجلترا وحياة روميل .

وكان انقلاب بطله رشيد عالى الكيلانى وقع منذ شهور فى العراق .. واضطر الوصى على العرش يومئذ الامير عبد الاله ان يغادر بغداد ويلجأ الى البصرة .. والسيد نورى السعيد ان يسافر من بغداد ويلجأ الى القاهرة .. لان الانقلاب كان ضد الانجليز وضد أعوانهم فى العراق .

وخشى الانجليز ان تمتد هذه النار أو هذه المظاهرات من القاهرة الى الأرياف ، وان يحدث فى مصر ما حدث فى العراق .. فتكون الضربه قاضية على خطوط مواصلاتهم الخلفية بينما هم يحاربون روميل .. ومن هنا قرروا ان يعملوا .. وبسرعة .

والمصرى الوحيد الذى كان على علم سابق بما ينوى الانجليز عمله هو المرحوم أمين عثمان باشا .. بل لعلهم استشاروه او لعله هو الذى اشار عليهم بما يفعلونه .

أريد ان اقول ان مصطفى النحاس ومكرم عبيد كانا بريئين تماما من جريمة تدبير حادث ٤ فبراير .

ولكننى لااستطيع ان انفى عن مصطفى النحاس انه استفاد من الحادث المذكور ..

***

وعقد كبار الانجليز فى مصر مجلسا برئاسة مستر ليتلتون وحضور السير مايلز لامبسون وكبار قواد الجيش البريطانى . وفى الجلسة المذكورة تقرر تقديم الانذار البريطانى المعروف الى فاروق بوجوب تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزاة . والا ..

وحاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين ..

وقبل النحاس باشا رياسة الوزارة رغم الحاح الزعماء عليه بعدم القبول فى هذه الظروف او على الاقل بتاليف وزارة قومية انقاذا للمظاهر لوجه مصر وحتى لايقال اننا خضعنا .. للانذار البريطانى ونفذناه بحروفه .

***

واليكم التفاصيل :

قلت فى الفصول السابقة ان السفير البريطانى كان طلب من رئيس الديوان احمد محمد حسنين قيام وزارة وفدية او على الأقل وزارة يؤيدها الوفد .. وان حسنين ناور وداور وفاجأ مايلز لامبسون بوزارة على رأسها حسن صبرى باشا .. ومرة اخرى بوزارة حسين سرى باشا وسكت السفير البريطانى ، ولكن على مضض .. وقد اضمر فى نفسه شيئا .

وفى نفس الوقت كانت الهزائم تتوالى على الجيش البريطانى فى الصحراء الغربية .. وكانت المظاهرات تطوف بشوارع القاهرة تهتف بحياة المانياوسقوط بريطانيا .. وسقوطجورج السادس .

واحس الانجليز ان الشعب ــ شعب مصر ــ ضدهموفاروق ضدهم ..وصديقهممصطفى النحاس قد مل الانتظار..فانقلب هو بدوره ضدهم .

ومن هنا قرروا ــ وبنصيحة امين عثمان غفر الله له ــ قرروا ان يضربوا ضربتهم .

وفى نفس الوقت ــ ومرة اخرى ــ كان احمد محمد حسنين [illegible]ى لتأليف وزارة قومية .. هذا وبالرغم من ان مصطفى [illegible]اس كان اعلن مرة ومرارا انه يرفض ان يضع يده فى يد [illegible]رمه السياسيين .. ويرفض الاشتراك فى وزارة قومية . [illegible] لا يرأس الا وزارة وفدية خالصة .

[illegible] ذلك بالرغم من انفاروق كان قد رضى بقيام وزارةوفدية [illegible] لحسنين : «فليكن .. وهات النحاس باشا علىشروطه».

رغم كل هذا لم يشأ احمد محمد حسنين ان يسلم بالهزيمة أمام مصطفى النحاس اومايلزلامبسون ، فقد كان من خلقه عدم اليأس وعدم التسليم بالهزيمة .. وما دام فاروق كان يفضل قيام وزارة قومية او وزارة ائتلافية فليحاول حسنين المستحيل من اجل تحقيق رغبة مولاه .

وبينما حسنين باشا لايزال فى محاولاتهومداولاته ومفاوضاته مع زعماء الاحزاب .. وبعض كبار الوفديين ــ وكأنما نسى

انه فی ســـباق مع الزمن - بينما هو كذلك ضرب الانجليز ضربتهم .

وفي يوم الاثنين ٢ فبراير ١٩٤٢ استقالت وزارة حسين سرى باشا ، وأرسل مايلز لامبسون الى فاروق يطلب منه ان يكلف مصـطفى النحاس باشـا بتأليف الوزارة .. او يقبل اسناد رياسة الوزارة الى من يختاره مصطفى النحاس ويعـد بتأييده ..

وارسل فاروق واستدعى لمقابلته رؤساء الوزاراتالسابقين ورؤساء الاحزاب والرؤساء السابقين لمجس الشيوخ ومجلس النواب الى.. آخره ..

وشاورهم فى الامر وطلب منهم ان يختاروا من بينهم وزارة قوميه تواجه الاحداث الخطيرة التى تمر بها البلاد .

وقبلوا جميعهم ان يشـتركوا فى وزارة يرأسـها مصطفى النحاس .

ولكن مصطفى النحاس أصر على موقفه او على رفضه وفى اليوم التالى - الثلاثاء ٣ فبراير - ذهب مايلز لامبسون الى قصر عابدين وقابل رئيس الديوان احمد محمد حسنين وقال له انه علم ان مصـطفى النحاس باشـا يرفض الاشتراك فى وزارة قومية ولهـذا فانه - السـفير البريطانى - يطلب من حسنين باشا ان يقدم هذه النصـيحة للملك فاروق وهى ان يعهد الى النحس باشا بتأليف وزارة وفدية .

ومرة اخرى عز على حسنين باشا ان يسلم بالهزيمة ! ومن ثم فقد قال للسفير البريطانى ان المشاورات لاتزال جارية مع رؤساء الاحزاب لتأليف وزارة قومية وانه واثق من ان وطنية الزعماءسوف تتغلب على كل شىء .

وانصرف مايلز لامبسون .

انصرف لكى يعود عند ظهر اليوم التالى - الاربعاء - ويسلم حسنين باشا هذا الانذار .

وهذا نص الانذار :

اذا لم اعلم قبل السادسة مساء ان النحاس باشا قد دعى لتاليف وزارة فان الملك فاروق يجب ان يتحمل تبعات ما يحدث ·

***

ومن أخرى لم ييأس أحمد محمد حسنين ·· ولم يشأ ان يسلم بالهزيمة ـ بل لم يتردد في مواجهة الموقف الخطير ·

واستدعى الزعماء للاجتماع بقصر عابدين ·

وطال اجتماعهم ·· وطالت مناقشاتهم ·

ودخل عليهم حسنين باشا مرة ومرتين لكى يذكرهم ان عليه ان يرد على الانذار البريطانى وان يرسل جواب الملك فاروق قبل السادسة مساء ·

ولكن اجتماع الزعماء لم ينته الى النتيجة المرجوة بسبب اصرار النحاس باشا على موقفه ·

والوحيد بين رؤساء الوزارات السابقين الذى انضم فى الراى الى مصطفى النحاس كان أحمد زيور باشا صاحب العبارة المشهورة : « انقاذ ما يمكن انقاذه » ·

وغادر الزعماء والرؤساء السابقون قصر عابدين على ان يستأنفوا الاجتماع مرة أخرى ·· ولكن ·

حوالى الساعة التاسعة مساء امتلأ ميدان عابدين « ميدان الجمهورية الآن » بآلاف الجنود البريطانيين ، وهم بملابس الميدان ·· وبعشرات الدبابات ·

وطوقت الدبابات البريطانية قصر عابدين من جميع الجهات ·· وصوبت اليه مدافعها ·· وتقدمت احداها وحطمت الباب الرئيسى ـ أو كما كان يسمى « الباب الملكى » ـ ودخلت منه الى حرم القصر ·

ودخلت وراءها سيارة تحمل السفير البريطانى ومعه جنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر ·

ووقفت السيارة أمام باب القصر الداخلى ونزل منها مايلز لامبسون والقائد البريطانى ·

ودخلا القصر ، بينما كان يسير أمامهما ثمانية ضباط بريطانيين ومسدساتهم في أيديهم .
وتقدم كبير الأمناء بالنيابة يومئذ اسماعيل تيمور باشا يسألهم ماذا يريدون .. ولكن مايلز لامبسون نحاه بيده من طريقه وهو يقول :
ـ أنا أعرف طريقي ! .

وكان الجنود البريطانيون قد هاجموا حراس القصر وجردوهم من السلاح ، وحاصروا ثكنات الحرس وقاوم بعض افراد الحرس ، ولكن البريطانيين تكاثروا وتغلبوا عليهم واصيب بعض جنود الحرس بكسور في العظام وبجروح مختلفة .
وصدر أمر من القصر الى رجال الحرس بعدم المقاومة حتى لا تحدث مذبحة امام قصر عابدين .

وفي نفس الوقت كانت الطائرات البريطانية واقفة على قدم الاستعداد للتحليق فوق ثكنات الجيش المصري ومعسكراته وقذفها بالقنابل وتدميرها اذا بدرت من الجيش ايه مقاومة ..
وحاصر الجنود الانجليز كذلك اقسام البوليس في القاهرة وقطعوا جميع الاسلاك التليفونية بين قصر عابدين والخارج ..
كما حاصروا محطة الاذاعة المصرية لكي يمنعوا وصول الخبر الى الشعب ..

***

ودخل سير مايلز لامبسون « الذى كوفىء فيما بعد على عدوانه الشنيع بلقب لورد كليرن » .. دخل على فاروق وكان واقفا في غرفه مكتبه والى جانبه رئيس ديوانه احمد محمد حسنين ..
وكان يقف وراء السفير البريطاني جنرال ستون . بينما وقف خارج الغرفة الضباط الانجليز يحرسون الباب وفي ايديهم المسدسات ..

وقال السفير البريطاني لفاروق ما خلاصته انه يخيره بين التنازل عن العرش .. أو تكليف مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة ..

وقبل فاروق ان يعهد الى رئيس الوفد بتشكيل الوزارة ..
وقال مايلز لامبسون :
ــ الان .. هذا المساء
ووعده فاروق بذلك !
وانصرف مايلز لامبسون ومن معه ..
ولكن الدبابات البريطانية ظلت تحاصر القصر وثكنات الحرس ..
ومرة اخرى ــ وفى نفس المساء ــ ارسل حسنين باشا واستدعى الزعماء والرؤساء السابقين .. الى آخره
وتوافدوا على قصر عابدين ورأوا الدبابات البريطانية تحاصر القصر ..

وقال لهم فاروق انه قد قبل الانذار البريطانى وانه يعهد الى مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة ..
وهنا قال الدكتور احمد ماهر ..
ــ اسمع يا مصطفى باشا .. اننى اقول لك امام جلالة الملك وزعماء مصر انك تتولى الحكم مسنودا بالدبابات والحراب البريطانية ..

وقال اسماعيل صدقى باشا :
ــ نعم .. مسنودا بالحراب البريطانية حقيقة لامجازا وقد رأيناها باعيننا فى الميدان ..
وهنا قال مصطفى النحاس باشا انه لم ير شيئا من هذا.. لان الدنيا كانت ضلمه !
ثم قال فاروق :
ــ ولى عندك رجاء يامصطفى باشا .. وهو ان تذهب الان الى السفير البريطانى وتبلغه اننى قد عهدت اليك بتأليف الوزارة ..
قال مصطفى النحاس :
ــ ولكن الوقت متاخر يامولاى ..
ولكن فاروق الح .. وقال :
ــ سوف تجد سير مايلز فى انتظارك !

***

ومنعت الرقابة نشر أى خبر عن هذا العدوان فى مصر كما انها منعت ارسال اية برقيه فى هذا الموضوع الى خارج مصر .
وفى صباح اليوم التالى ـ ٥ فبراير ١٩٤٢ ـ توجه مصطفى النحاس الى مكتبه برياسة مجلس الوزراء ..

وكانت اللجان الوفدية قد استدعيت من مختلف جهات القطر لتهنئه « الرئيس الجليل » ..
وكان الشعب يجهل تماما ما حدث فى مساء ٤ فبراير وانطلقت المظاهرات .. وسارت الى دار الرياسة تهتف بحياة النحاس باشا ..
واقبل السفير البريطانى ليهنىء النحاس باشا ..

ثم خرج الاثنان معا الى الشرفة .. مصطفى النحاس ومايلز لامبسون وايديهما متشابكة ..
وهنا خرج احد اذناب الوفد يصيح بجموع المحتشدين ان تهتف بحياة السفير البريطانى ! !

وهتفت الجماهير .. ولما غادر مايلز لامبسون دار رياسة مجلس الوزراء حمله بعض شباب الوفد على الاعناق
واسرعت محطة اذاعة لندن واذاعت هذا الخبر وقالت ان الشعب المصرى قد حمل سفير بريطانيا على الاعناق !

***

وفى يوم ٧ فبراير ـ اى بعد الحادث بثلاثة أيام ـ تناولت الغداء مع حسنين باشا فى داره ، وقص على كثيرا من التفاصيل التى اوردتها هنا .. ومن بينها ان فاروق ـ عندما رأى اصرار النحاس على الانفراد بالحكم ورفض كل اقتراح خاص بقيام وزارة قومية او ائتلافية او محايدة تجرى انتخابات جديدة ـ قال لحسنين باللغة الانجليزية :

ـ يظهر ان النحاس باشا واثق من الارض التى يقف عليها . أى واثق من تأييد الانجليز له ! ..

ـ يظهر ان الانجليز وقد خسروا معركة بنى غازى ارادوا ان يكسبوا معركة عابدين ! ..

وكان الجيش البريطاني قد اخلى مدينة بني غازي ونراجع امام روميل ..

واقف قليلا عند حادث ٤ فبراير ..

على كثرة ما كتب ونشر عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فانه لاتزال هناك تفاصيل واسرار لم تنشر بعد . كما ان احدا من الذين كتبوا عن الحادث المذكور لم يحاول ان يجلو هذه النقطة وهي :

هل كان اعتداء الانجليز على السيادة المصرية وعرش مصر في حادث ٤ فبراير نتيجة قرار اتخذ فجأة عندما توالت انتصارات قوات المحور بقيادة الماريشال روميل في الصحراء الغربيه واشتد خطر غزو المحور ؟ ..

ام كان هذا الاعتداء ـ حادث ٤ فبراير ـ نتيجة سياسة تقررت ورسمت قبل ذلك بوقت طويل ؟ .. بعامين او بعام واحد على الاقل ؟ ..

ثم من هم الذين رسموا او قرروا هذه السياسة او هذا الاعتداء على سيادة مصر وعرشها ؟ ..

هل هم الساسه .. تشرشل وايدن في لندن .. ووزير الدولة مستر ليتلتون وسفير بريطانيا سير مايلز لامبسون في القاهرة ؟ .. او رجال الجيش البريطاني في مصر والشرق الاوسط .. جنرال ويلسون وزملاؤه .. ؟

ثم ما هو السبب او الاسباب التي حاولت السياسة البريطانية ان تبرر بها هذا الاعتداء الشنيع على سيادة وعرش بلد مستقل ؟

هذه النقطه او النقط لا تزال ملفوفة في غموض كثير .

***

ذات يوم في اوائل شهر يونية عام ١٩٤٠ تقابلت صدفة في محل « جروبي » مع مستر جرافتي سميث السكرتير الشرقي وقتئذ بالسفارة البريطانية ..

وجلسنا نتحدث عن معركة فرنسا وانهيار مقاومة الجيش الفرنسي وعن دخول ايطاليا الحرب . وشكا جرافتي سميث

مما تلقاه السلطات البريطانيه من معاكسات السلطات المصرية وكيف ان الحكـــومه المصرية قد انقلبت فى الايام الاخيرة من حكومة صـــديقة تنفذ المعاهدة ـ معاهدة ١٩٣٦ ـ باخلاص وتعاون ·· الامر الذى شكرها عليه الجنرال ويلسون فى نحو ثلاثين خطابا ارسلها الى رئيس الحكومة « صاحب المقام الرفيع » على ماهر باشا ·· انقلبت من هذا الى حكومة تضـــع العقبات والعراقيل ولا تبالى فى طريق السلطات البريطانية · ومن ذلك

انها رفضـــت اعتقـــال عدد كبير من وكلاء المحـــور ممن كانوا يشغلون مناصب مدنية او يقومون فى الظاهر بأعمال تجارية بريئة بينما هم فى الحقيقة يؤلفون شعبة تابعة لاقلام مخابرات العدو السرية ·· اى الجاسوسية ··

ثم قال مستر جرافتى سميث : ان ســـنيور دودونى مدير وكاله الانباء الايطاليـــة هو فى الحقيقـه رئيس الجاســـوسية الايطالية فى مصر ، ولقد طلبت الســـلطات البريطانية اعتقاله وعدم تمكينه من مغادرة مصر والعودة الى ايطاليا لأن المعلومات التى جمعها اثناء اقامته فى مصر تفيد ولا شك القيادة العليـــا للمحور فائدة كبيرة ··

ومضى جرافتى سميث فى حديثه يقول :

ـ ولقد قدر حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية طلبنا هذا حق قدره وفهم الاسباب التى تبرره ولهذا فانه ماطل ســـنيور دودونى عندما تقدم بطلب تأشـــيرة الخروج من مصر وابقى طلبــــه تحت البحث والنظر ورفض فى نفس الوقت ان يعيد اليه جواز سفره · ولقد اراد حسن فهمى باشا من هــذه المماطله والتســـويف ان يتيح للســـلطات البريطانيه الوقت الكافى لاقنـــاع الحكومة المصرية بوجهـــة نظرها وهى وجوب اعتقال سنيور دودونى ··

ولكن رئيس الحكومة على ماهر باشا تكلم بنفســـه مع ادارة الجوازات والح فى استعجال اتمام اجراءات (الفيزا) أو الاذن بمغادرة الاراضى المصرية الى سنيور دودونى !

بل لم يكتف على ماهر بهذا وذهب بنفسه الى ادارة الجوازات

ولم يبرحها الا بعد ان تمت اجراءات (الفيزا) وغادر المكتب ومعه جواز سـفر سـنيور دودوني وقد سلمه اليه بيده ٠ واستطاع السـنيور ان يغادر مصر تحت انفنا وبصرنا ونحن مكتوفو الايدى لا نستطيع شيئا ٠٠

وكان الغيظ واضحا فى نبرات صوت السـكرتير الشرقى للسفارة البريطانية وهو يروى لى هذه القصة ثم يتساءل اين الاخلاص والتعاون اللذان كانت السلطات البريطانية تلقاهمـا من قبل من حكومة على ماهر ؟ ! وهل هذه العقبات والعراقيل التى تضعها حكومة مصر امام المجهـود الحربى البريطانى مما يتفق مع المعاهدة المعقودة بين البلدين ؟ ٠٠

وانصرف مسـتر جرافتى سـميث وهو يقول لى ما معناه ان للصبر حدودا ، وان دوام هذا الحال من المحال ٠٠

***

ولقد تلقت السـلطات البريطانية فى مصر يومئذ تقارير فحواها ان الوزارة المصريه قد قلبت سياستها رأسا على عقب ٠ وان سياستها التى كانت تجرى ـ قبل انهيار فرنسا ـ عـلى اساس الاخلاص والتعاون مع انجلترا قد انقلبت واصـبحت تقوم على اسـاس ان النصر لدولتى المحور المانيا وايطاليا ٠٠ وان الهزيمة لبريطانيا ٠ وان بعض الوزراء المصريين قد صرحوا فى مجالسهم وفى حضور وبموافقه « رفعة » رئيسهم بما يفهم منه هذا ، بل لقد ذهب احدهم وهو صالح حرب باشا إلى حد القول بأن ايام بريطانيا معدودة وان مقاومتها لالمانيا لن تزيد على شهرين اثنين ٠٠

***

وكان ان خطت انجلترا خطواتها الاولى فى الاعتـداء على سيادة مصر واستقلالها وارسلت انذارها الاول مصـحوبا بالبرقية المشهورة التى ارسلها لورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانيه الى سفير بريطانيا فى مصر سير مايلز لامبسـون وترجمتها حرفيـا : « على ماهر يجب ان يذهب » ٠٠ اى يترك الحكم ! ٠٠

***

واستقالت وزارة على ماهر باشا ·· وفوجئ الانجليز كما سبق ان قلت باختيار حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة ··

***

وهكذا يمكن القول بأن الاعتداء على سياسة مصر وعرشها كان قد بدأ فعلا ــ وبصورة ما ــ فى صيف عام ١٩٤٠ ، ولم يكن هناك يومئذ خطــر داهم على مصر لأن القائد البريطانى الجنرال ويفــل كان منتصرا فعــلا عــلى الجيش الايطالى فى الصحراء الغربية ··

والتفكير فى فرض وزارة مصرية معينة وزعيم مصرى معين يتولى الحكم كان قد بدأ فى صيف عام ١٩٤٠ ·

ومن ثم يمكن القول وعلى اساس من الاســتنتاج المنطقى السليم ان حادث ٤ فبراير لم يكن نتيجة قرار او سياســة اتخذت فجأة وتحت ضغط خطر داهم ·· وانما كان الفصــل الأخير ، الخاتمة لسياسة مرسومة كان قــد بدأ تنفيذهــا ··

او قل ان شئت ان حادث ٤ فبراير كان تحقيق او تنفيذ الفكرة او « المشورة » التى تقدم بها مايلز لامبسون فى يونية عام ١٩٤٠ ! وهى ان تتولى الحكم وزارة يؤيدها الوفد ··

***

وفى منتصف شــهــر ابريل عام ١٩٤٥ ــ وكانت الحرب العالميه لاتزال دائرة ــ قمت برحلة الى تركيا مارا بلبنان ·· وتفضل صاحب الدوله السيد حسين العوينى ــ وقد قابلته فى بيروت ــ واعطانى خطاب تقدمة وتوصية الى صديقه سعادة السيد فؤاد حمزة وزير المملكة السعودية العربية فى انقرة ··

وكان السيد فؤاد حمزة ــ رحمه الله ــ مستودع اسرار كبيرا ولا اعرف بين دبلوماسيى العرب وســاستهم من يفوقه علما والماما بأسرار ما يجرى وراء الستار · ولعل مما ساعد على هذا المامه واتقانه لأكثر من لغة اجنبية واحدة ، وهو لبنانى الاصل ·· وكان مغرما بالاسفار ··

وكان اثناء الحرب العالمية الاخيرة وزيرا مفوضا لدولته لدى

حكومة ماريشال بيتان في فيشي وحكومة الاتحاد السويسرى في برن .. ثم لدى حكومة تركيا في انقرة ..

***

ولقد تمكن في هذه المناصب في البلدان الثلاثة من الوقوف على اسرار كبيرة منها ما يتصــل مباشرة بحادث ٤ فبراير .. وانا هنا انقل مباشرة عن مذكراتي :

حدثني ســعادة فؤاد حمزة بك الوزير المفوض للمملكــة العربية السعودية فقال انه لما كان في زيوريخ (سويسرا) في عام ١٩٤٢ ـ بعد وقوع حادث ٤ فبراير ـ قابله اللورد ... الذى كان يدير في الخفاء قلم المخابرات البريطانية في سويسرا وقال : ان الحكومة البريطانيه قد هالها ما يجرى ويقع في مصر تقررت خلع الملك فاروق وان الصعوبه كانت في اختيار الذى يخلفه على العرش .. ولقد فكرت الحكومة البريطانية في اول الأمر في حفيد الخديوى عباس حلمى ـ أى نجل الأمير السابق محمد عبد المنعم وكان لايزال يومئذ في سن الرضاعة ـ على ان يكون هناك وصى كما هو الحال في العراق ، ثم انتهى الرأى الى مفاوضة الخديوى عباس حلمى فاتصلوا به في ســويسرا وسافر سموه ـ رحمه الله ـ الى استانبول لكى يكون عــلى مقربه من مجرى الحوادث ! ..

في استانبول قابله مستر مرتون وسلمه رسالة من الحكومة البريطانية ..

ومستر مرتون هذا عاش معظم سنى حياته في مصر وكان يعرف البلاد ويعرف أعيانها وساستها حق المعرفة كما كان يجيد الحديث باللغة العربيه .. وكان في اول امره موظفـا بوزارة الزراعة المصرية استقال وعمل مندوبا لجريدة المورننج بوست ثم مندوبا لجريدة الديلى تلغراف ..

وكان بحكم عمله الصحفى أثناء الحرب كثير التجول والتنقل بين ميادين الحرب في الشرقين الأدنى والأوسط وقد قتل في حادث انقلاب سيارة في الصحراء الغربية . وقتــل معه في نفس الحادث قائد انجليزى مشهور اسمه جون كامبل ..

***

قلت ان الخديو عباس حلمي غادر سويسرا الى استانبول حيث قابله مستر مورتون وتحدث معه وسلمه رسالة من حكومة لندن ..

واقام الخديو السابق ينتظر « الاشارة » او الخطوة الثانية .. ولكن قلم المخابرات الالمانية احس ان هناك شيئا مريبا يجرى ..

وكذلك احس الخديو ان الالمان يشكون فيه .. وان عيونهم في استانبول يرقبون حركاته .. ويشكون فى سبب قدومه الى استانبول واتصاله بأعدائهم الانجليز فخشى الخطر على نفسه واسرع بمغادرة استانبول عائدا الى مقره الامين سويسرا ..

وقلت لفؤاد حمزة بك .

ـ ولماذا لم يرشح الانجليز لعرش مصر « ولى العهد » الامير محمد على توفيق وهو صديقهم الحميم .. ؟

قال : فى الواقع ان ترشيح البرنس محمد على للعرش لم يكن محل تفكير فى اى وقت لان الانجليز كانوا يعرفون انه غير محبوب وليست له أقل شعبية فى مصر .. ولقد فكروا فى الخديو عباس حلمى لانه كان محبوبا الى حد ما وكانت له شعبية .. ثم هو الرجل الذى كان الانجليز اغتصبوا منه العرش واعطوه لحسين كامل ثم لاحمد فؤاد .. ومن هنا رأوا ان يعيدوه او يعيدوا اليه عرشه ترضيه لشعب مصر حتى لا يثور او يقوم باضطرابات عند خلع فاروق المحبوب !؟ ..

***

قلت ان حسنين باشا اكد للسفير البريطانى مايلز لامبسون الذى لم يكن قد انعم عليه بعد بلقب لوردكليرن آنه قد روعى فى اختيار حسن صبرى باشا وجميع اعضاء وزارته انهم اصدقاء مخلصون لبريطانيا والا لما كان الاختيار قد وقع عليهم .

وسكت مايلز لامبسون او اطمأن الى هذا التفسير . ولكن رئيس الحكومة الجديدة حسن صبرى باشا لم يطل به الامر حتى بدأ يشكو لمن يلقاهم من كبار الانجليز من انه لا يستطيع القيام بكل ما يقتضيه تنفيذ المعاهدة بصدق وتعاون واخلاص

لان خصومه السياسيين اقوى منه واوسع نفوذا وان على رأس هؤلاء الخصوم على ماهر .

وطلب منه الانجليز اعتقال على ماهر باشا ولكنه رفض ثم توفى حسن صبرى باشا فجأة بينما كان يلقى خطاب العرش فى حفلة افتتاح البرلمان فى نوفمبر عام ١٩٤٠ .
ومرة اخرى طلب فاروق من احمد حسنين البحث عن رئيس جديد للحكومة ..

***

ولكن حسين سرى ـ هو ايضا ـ لم يكد يسير فى الحكم أسابيع حتى ذهب يشكو لكل من يلقاه هنا وهناك من كثرة العراقيل التى توضع فى سبيله ومن مناورات ودسائس بعض الساسة المصريين بقصد اضعاف وشل يده .

وكانت السلطات البريطانيه فى ذلك الوقت كثيرة الشكوى من نشاط بعض الساسة والكبراء المصريين فى مصر .. وفى خارج مصر وهو نشاط وصفه الانجليز يومئذ بأنه نشاط « محورى » يعمل لمصلحة دول المحور .. أو على الاقل هو نشاط معاد للسياسة البريطانية ومعرقل لجهودها الحربية ضد أعدائها ..

وكان بين أسماء الكبراء الذين يقومون بهذا النشاط خارج مصر : « سعادة مراد سيد احمد باشا » ـ رحمه الله ـ الذى كان وزيرا مفوضا لمصر فى روما عند اعلان الحرب .. ولقد رفض يومئذ آن يعود الى مصر .. ومضى يتنقل بين ايطاليا وسويسرا والمانيا!وتركه الألمان والايطاليون حرا بينما اعتقلوا مئات من الرعايا المصريين ..

هذا وقد لفت انظار اقلام المخابرات البريطانية الى نشاط مراد سيد احمد باشا ..

وهنا تذكرت السلطات البريطانية ان مراد سيد احمد باشا صديق حميم لعلى ماهر باشا كان اختاره وزيرا فى وزارته ثم وزيرا مفوضا لمصر ..

وازداد الشك وسوء الظن في علي ماهر ..

وتساءلت السلطات البريطانية يومئذ لماذا لا تتخذ السلطات المصرية اجراء ما ضد سيد احمد باشا ولو بصفته موظفا كبيرا في المعاش ؟ ..

واذا كان كونت شيانو – وزير خارجية ايطاليا يومئذ وصهر موسوليني – قد كتب في مذكراته التي نشرت بعد وفاته ونشرت ترجمتها زميلتنا الاهرام شيئا عن حديث دار – اثناء الحرب طبعا – بين مراد سيد احمد باشا وبين وزير ايطاليا المفوض لدى الفاتيكان وقد قال مراد سيد احمدباشا في هذا الحديث ان الملك فاروق يميل الى المحور ويكره البريطانيين « وقد اغفلت جريدة الاهرام يومئذ نشر ترجمة هذا القسم من المذكرات » .. فان أقلام المخابرات البريطانية كان لديها أقوال اكثر خطورة منسوبه أن صدقا وان كذبا الى مراد سيد احمد باشا ..

ولقد كان في مقدور السلطات البريطانية ان تفهم وتقدر نشاط هؤلاء الكبراء المصريين .. لاعلى انه خيانة لقضية بريطانيا وحلفائها .. وانما على انه اخلاص لقضية مصر واستقلالها وان المصريين هؤلاء ذوى النشاط « المحورى » لا يحبون المحور لسواد عينيه ولا يكرهون الانجليز لذاتهم ..

ولكنهم كانوا يعملون لمصر ولتحقيق ما يعتقدون باخلاص انه في مصلحة مصر . ولقد كانت الدول المحايدة أو معظمها على الاقل يؤمن يومئذ ايماناراسخا بأن النصر للمحور وانالهزيمة مكتوبة لبريطانيا .

ولم يكن اذن هذا النفر من الساسه والكبراء المصريين هم وحدهم الذين يؤمنون بانتصار ألمانيا ومحورها .. فقد كان هناك اخوان لهم في فلسطين والعراق وسوريا يرون نفس الراى ..

بل وفي اسبانيا والبرتغال وسويسرا والسويد وامريكا الجنوبية .. وفي الهند بل وفي فرنسا نفسها كان يوجد كثيرون ممن يؤمنون بأن النصر لدول المحور .

وفى جميع هذه الدول كان يوجد ساسة يحبون بلادهم . وكانوا يرون من بعد النظر وحسن الاحتياط ان يؤيدوا المحور ويعملوا معه لكى يضمنوا معها السلامة لبلادهم ويضمنوا معها استقلالها وتحقيق امانيها المشروعة يوم يتم النصر للمحور ويعود السلام ..

لم تكن هناك اذن خيانة لقضية الديمقراطيه وانصار او تعاون مع قضية النازية والفاشيه وانما كان هناك اخلاص لقضية البلاد وحرص على تحقيق امانيها فى العزة والسيادة والاستقلال ..

والبريطانى الكبير الوحيد الذى فهم الموقف على حقيقته وقدر وجهه نظر هؤلاء الساسة المصريين .. كان الجنرال « الان فيلد مارشال » هنرى ميتلاند ويلسون ومن هنا فقد نظر الى نشاطهم المحورى ـ كما وصفوه يومئذ ـ بشىء غير قليل من سعة الصدر وقال عن الصدام الذى وقع بين السياسة البريطانية وبين هذا النشاط المصرى المحورى آنه نشاط بين ولاءين !..

بين ولاء الساسة المصريين لقضية بلادهم واستقلالهم وبين ولائهم لقضية الحلفاء والديمقراطية ..

ولكن زملاءه وانداده من القادة البريطانيين سواء فى لندن او فى القاهرة لم ينظروا الى الموقف بنفس العين . بل نظروا الى نشاط هذا النفر من الساسة والكبراء المصريين على انه نشاط خطر بالغ الخطورة ..

واستدارت بريطانيا فى سياستها نحو مصر وكان هذا فى اوائل يونية عام ١٩٤٠ وارسلت برقية وانذارا بوجوب تخلى السيد على ماهر عن رئاسة الوزارة .. واسناد الحكم

الى وزارة وفدية برئاسة السيد مصطفى النحاس او على الاقل وزارة يؤدها الوفد ومصطفى النحاس .

وكان منطق حجة بريطانيا فى هذا ان مصطفى النحاس هو المساهم الاول فى عقد معاهدة ١٩٣٦ وانه المسئول الاول عن تنفيذها نصا وروحا بولاء ووفاء واخلاص .

ولكن السطات البريطانيه فوجئت باختيار المرحوم حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة ..

ثم فوجئت مرة اخرى باختيار حسين سرى باشا خلفا لـه فى رئاسه الوزارة .

ثم جاءت حكاية البوليس الخاص ووضعه تحت قيادة محمد طاهر « باشا » ..

وطاهر « باشا » كان من بين الذين طلبت السلطات البريطانيه اعتقالهم بدعوى نشاطهم المحورى وكانت هذه السلطات تتلقى تقارير يوميه عما يجرى فى نادى السيارات الملكى وعن الاحاديث المنسوبة الى بعض كبار اعضائه مثل النبيل السابق عباس حليم ومحمد طاهر باشا .. وكانت التقارير المذكورة تزعم ان الرجلين وغيرهما يفضون بأحاديث مملوءة بالعداء المر للانجليز وبالتأييد الصريح لدول المحور ..

فلما شكل البوليس الخاص وعلى رأسه طاهر باشا رفضت السلطات البريطانية ان تصدق ان مهمة هذا البوليس الخاص هى مساعدة البوليس المصرى اثناء الغارات .. الى آخر ماقيل ونشر يومئذ عن الغرض من تشكيله .

رفض الانجليز ان يصدقوا هذا وزعموا ان هذا البوليس الخاص انما انشىء خصيصا لكى يسهل على قوات المحور مهمتها يوم تدخل مصر وهى الفترة التى لابد منها اثناء انسحاب البريطانيين .. ودخول الالمان والايطاليين ..

وان هناك - كما جاءهم من استانبول - نظاما خاصا للاشارات والتعليمات متفقا عليه بين هذا البوليس الخاص وبين الالمان .. وكان الانجليز يعتقدون - فوق هذا وذاك - ان فى مصر محطات لاسلكية سرية للاستقبال والارسال .. اى محطات تستطيع ان تلتقط الرسائل وترسل الرسائل من مصر بدون ان تمر الرسائل المذكورة بالرقابة العسكرية .. !

وان هذه المحطات اللاسلكية السرية كانت ترسل الى « وكلاء المحور وسلطاته الحربية » تفاصيل عن بعض ما يجرى فى مصر وما تحرص السلطات البريطانيـة كل الحرص على

كتمانه كل الكتمان ، كما انها – اى هـذه المحطات السرية – كانت تتلقى من وكلاء المحور وسلطاته الحربية التعليمات عما يجب عمله ·

وبعبارة أخرى كانت السلطات البريطانية تعتقد ان هـــذه المحطات اللاسلكيه السرية جزء من « النشاط المحورى »الذى يقوم به « طابور خامس » يتزعمــه نفر من كبار الساســة المصريين ·

وأثناء هـذا وذاك – اى فى الفترة ما بين يونيــة ١٩٤٠ ، وأواخر عام ١٩٤١ – تلقت السلطات البريطانية تقارير من أقلام مخابراتها فى مصر وفى انقرة واستانبول ولبنان وقـد جاء فيها :

١ – ان سمير ذو الفقار بك التشريفاتى السابق – وأحد أصدقاء على ماهر باشا – قد سافر اكثر من مرة الى تركيــا بحجة التجارة فى الجلود والتبغ وانه اجتمع بسفير ألمانيا فى انقرة فون بابن عدة مرات وانه قابل أيضا بعض وكلاء الالمان فى لبنان وانه لما عاد الىمصر اجتمع بفلان وفلان من الساسة وكبار رجال الدولة !

٢ – وان شوقى الهان وزير تركيا المفوض يومئذ فى مصر قد سافر اكثر من مرة الى تركيا بحجة الاجازة او مراجعــة حكومته فى بعض الشئون بينما هو سافر فى الحقيقة موفدا من « سلطات مصرية عليا » للاتصال بالســلطات الالمانيــة فى تركيا وابلاغها كـذا وكيت ··لكى تبلغهـــا هى بدورها الى « السطات العليا » فى برلين ·

وكانت تركيا يومئذ أى فى عام ١٩٤١ على الحياد ··ولكنه كان حيادا مشوبا بالميل لالمانيا وتأييد المحرر ·· وكان فريق كبير من ساستهاوقوادها العسكريين يؤمنبانالنصر للمحور·

٣ – وان الآنسة دولورس دى بدروزو الملحقة السياسية بمعوضية اسبانيا فى القاهرة كانت « واسطة » اتصال بين فريق الكبراء المصريين الموالين للمحور ··وبين سفارة المانيا فى مدريد ··

وكانت أسبانيا يومئذ على الحياد .. ولكنها كانت تؤيد المحور صراحة ..

٤ ـ وان مسيو بوزى الوزير المفوض لحكومة فيشى الفرنسيه فى القاهرة يقوم بنفس الدور .

كانت السلطات البريطانية تتلقى هذه التقارير فى عام ١٩٤١ وكانت تؤمن بصحة ما فيها.. هذا بينما كانت الحرب تمر بمرحلة من أخطر مراحلها بالنسبة لانجلترا وحلفائها فقد كانت بريطانيا تحارب فى الواقع وظهرها الى الجدار وقد توالت عليها الهزائم .. ثم اذا باليابان تقوم بهجومها المفاجىء فى نهاية العام ـ عام ـ ١٩٤١ ـ وتجتاح المعاقل البريطانية فى الشرق الأقصى .

وتوالت انتصارات اليابان فى البروالبحر ضد البريطانيين وحلفائهم الامريكان . وسقطت جزر الباسفيك والملايو وجزر الهند الشرقية وبورما وسنغافورة .. ثم بدأ زحف اليابانيين صوب الهند ..

واضطرت بريطانيا ان تعيد توزيع قواتها المنهكة ..

كان هذا هو الموقف فى الشرق الاقصى ..

اما فى أوروبا فان الجيوش الالمانية كانت تحاصر موسكو ولينينجراد .. وتعدو عدوا صوب آبار البترول فى القوقاز .

وفى كلمة موجزة كان هتلر قد سحق أوروبا تحت حذائه العسكرى من النرويج الى اليونان ومن شاطىء الاطلنطى الى نهر الفولجا وجبال الاورال ..

وفى افريقيا وعلى حدود مصر الغربية كان الثعلب المراوغ الماريشال روميل ـ كما اسماه يومئذ تشرشل ـ كان لايتراجع مرة الا ليرتد بعدها ـ مثل وتر القوس ـ وهو اكثر شدة وقسوة وعنفا ليكيل للبريطانيين ضربات قاصمة !

وكانت انجلترا قد هرعت خلال العام ـ عام ١٩٤١ ـ الى التدخل فى العراق لتحبط الانقلاب الذى قام به السيد رشيد عالى الكيلانى الذى كان متهما بأنه ضالع مع المحور ..

وتدخلت كذلك فى ايران ـ بالاتفاق مع حليفتها روسيا ـ وخلعت شاه ايران رضا بهلوى ونفته الى جزر سيشل .

وفى كلمة موجزة كانت اعصاب الانجليز متوترة ..

وصوابهم يكاد يطيش ·· ما بين هزائم متوالية · وانقلابات فى بلدان صديقة موالية ·

وكانت السلطات البريطانية فى مصر تخشى ان يقع هنا انقلاب كالذى وقع فى العراق ·

انقلاب يخرج به الامر نهائيا من ايدى الساسة المصريين «اصدقاء» بريطانيا الى ايدى الساسة المصريين خصومها الذين يعملون على احباط مجهودها الحربى فى مصر وفى الشرق الاوسط ويمهدون لانتصار المحور ·

وكانت تقارير أقلام المخابرات البريطانية كما سبق ان ذكرت تزعم ان ساسة وكبراء مصريين يترقبون الفرصة للقيام بانقلاب فى الوقت الذى يتفق عليه بينهم وبين وكلاء المحور وعيونه فى مصر ·· وان الغرض من هذا الانقلاب هو احراج البريطانيين فى الوقت المناسب الذى يشن فيه روميل هجوما عنيفا على مصر فيضطر البريطانيون الى توزيع قواتهم بين مصر وميدان القتال فى الصحراء الغربية ·· وتضطرب خطوط التموين وتقطع خطوط المواصلات مع جبهة القتال ·

كان الموقف اذن خطيرا بالغ الخطورة وكانت السياسة البريطانية قد فقدت اتزانها وطاش صوابها وكانت تتعثر وهى تتلمس أسباب النجاة ·· وكان ساسة بريطانيا وقوادها ورجال سفارتها فى مصر يشعرون ان شعب مصر يكرههم وان عواطفه كلها مع المانيا وهتلر ·· وكانت عيون السفارة ورجال أقلام المخابرات البريطانيون يقدمون تقارير فيها ان رواد المقاهى فى الاحياء الشعبية فى القاهرة واسكندرية ومدن القطر يجتمعون كل مساء حول أجهزة الراديو وينصتون للاذاعات العربيه من محطات المحور وخصوصا محطة برلين ·

وتناقلت الالسن يومئذ نكته اوعبارة مشهورة قالها المرحوم زيور باشا عندما سئل عن رأيه فى الحالة · فقد قال : «حالة ايه يا مونشير ! ·· شعب مصر المانى ·· وملك مصر طليانى ··

والحكومة انجليزية » ·

اى ان عواطف الشعب مع الالمان ··

والملك السابق فاروق ضالع مع الايطاليين بحكم نشأة ابيه

والصداقة الموروثة والحاشية الايطاليـه التى تحوطـه بينما الحكومة تتعاون مع الانجليز !

كان الانجليز يدركون هذا ويشعرون ان المصريين ضدهم. والملك فاروق ضدهم ..

وان هناك « نشاطا محوريا » ـ كما وصفوه ـ يقوم به نفر من كبار المصريين فى مصر وفى خارج مصر .. وان هنـــاك اتصالات سرية تجرى بين السلطات المصرية العليا ـ أى فاروق ورجاله ـ وبين السلطات العليا فى برلين .. وان بين الذين يقومون بهذه الوساطة ويسهلون هذه الاتصالات وزير تركيا المفوض فى مصر شوقى ألهان .. والآنسـة بدروزو الملحقة بالمفوضية الاسبانية ومسيو بوتزى وزير حكومة فيشى المفوض فى مصر ..

وان هناك خطة مرسومة لاحداث انقلاب فى مصر عنـــدما يشدد روميل هجومه على مصر ..

كانت هذه هى حال البريطـــانيين وكان هذا موقفهم .. والمعلومات التى تجمعت لديهم ..

من ثم كانوا يوجسون شرا ويخشون ان يقع فى مصر ما سبق أن وقع فى العراق وان يفاجأوا فى ساعة الخطر وهجوم روميل ـ بوقوع انقلاب فى مصر يتولى على اثره الحكم احد الساسة الموالين للمحور ذوى « النشاط المحورى » الذى سبق أن أشرت اليه ..

وكان الانجليز يرون أن الحل الوحيد لعلاج الموقف هـــو ان يتولى الوفديون الحكم .. وهو ما سبق ان اشاروا به فى صيف عام ١٩٤٠ ثم عادوا واشاروا به بعد وفاة المرحوم حسن صبرى باشا .. ولكن مشورتهم لم يعمل بها فى المرتين ..

وكان الاعتقاد السائد فى لندن وفى الدوائر البريطـــانية فى القاهرة ان رفعة مصطفى النحاس باشا هو وحده الزعيم الشعبى القادر على تحويل الدفة ، دفة عواطف الشعب .. من الاتجاه الى المانيا الى الاتجاه الى بريطانيا وحلفائها !

ومرت شهور الصيف .. والخريف .. وأقبل الشـــتاء وبدأ روميل يتحرك بجيوشه فى الصحراء الغربية صوب مصر.

واستعرض الانجليز الموقف فاذا به :
الملك ضدهم ..
والشعب المصرى أو الرأى العام فى مصر ضدهم ..
وحزب الأغلبية الشعبية ـ اى الوفد ـ ضدهم بعد خطبة النحاس باشا المشهورة فى رأس البر ، وانه ـ اى الوفد ـ ينتظر من فاروق ـ ومن يوم لآخر ـ آن يعيده الى الحكم ..

وكان الانجليز ـ طبعا ـ يعرفون جميع الخطوات التى تمت من أجل عودة المياه الى مجاريها بين الملك فاروق وحزب الاغلبية الوفدية ..

ومن هنا قدرت السياسة البريطانية انه اذا تولى الوفد الحكم فسوف يتولاه وهو يشعر بأنه مدين بهذا «الفضل» لفاروق !..

فاروق الذى كان ممالئا او نصيرا لسياسة المحور .. وان الوفد والحالة هذه سوف يسير على نفس السياسة اى سياسة العداء لبريطانيا وممالاة اعدائها دول المحور !

وأسرع الانجليز وانتهزوا فرصة حوادث أخر يناير ١٩٤٢ ـ أزمة فيشى واستقالة وزارة حسين سرى باشا ـ أسرعوا وضربوا ضربتهم التى فرقوا بها الملك والوفد .. وكسبوا فيها الوفد وأغلبيته الى جانبهم ..

وفى غداة حادث ٤ فبراير ، هتف الشعب ـ شعب الوفد ـ لسفير بريطانيا وهو فى طريقه الى رياسة مجلس الوزراء وهتف وصفق له طويلا عندما أطل عليه السفير سير مايلز لامبسون والى جانبه رئيس الوزراء مصطفى النحاس باشا من شرفة رياسة مجلس الوزراء !

واحس الوفديون يومئذ انهم مدينون فعلا بالفضل .. فضل توليهم الحكم ـ بعد حرمانهم منة زهاء اربع سنوات ـ مدينون بهذا «الفضل» لبريطانيا وسفيرها سير مايلز لامبسون .. لا لفاروق أو احمد حسنين !

وكانت اكبر هزيمة منى بها حسنين فى حياته السياسية فقد ترك الانجليز يسبقونه وينتزعون منه النحاس والوفديين من بين يديه ..

وقال لى يوم قابلته بعد حادث ٤ فبراير بثلاثة أيام : ..
شغل ثمانية اشهر راح فاشوش ..

وكان يقصد مساعيه من أجل عودة الوفد الى الحكم .. ولكن لا بهذه الطريقه بل بالطريق الشرعى السليم .

وتنهد حسنين وقال :

ـ آه لو كنت قابلت ليتلتون قبلها ولو بأربعةوعشرينساعه بس .. ماكنش حصل حاجة من دى .

وحدثني طويلا عن تفصيلات الحادث والانذارات التىسبقته وعن اجتماعات الزعماء فى قصر عابدين ثم محاصرة الدبابات البريطانية وحضور السفير مايلز لامبسون .. الخ ..

ولقد خرجت يومئـذ من هذا الحديث بهـذا الاثر وهو ان حسنين كان لايزال حائرا لايعرف كيف وقعت هذه الضربة . ولا من أين جاءت هل من السفير أو من مستر ليتلتونوزير الدولة ؟ وهل النحاس باشا برىء كما يقول من تبعة هـذا الحادث ومن الاشتراك فى تدبيره ؟واذا كان هو بريئا فهـل مكرم وأمين عثمان بريئان كذلك أم تراهما اتفقا مع الانجليز من وراء ظهر مصطفى النحاس .. الى آخره ؟ ..

كان حسنين لايزال حائرا يوم قابلته عقب الحادث فىيوم ٧ فبراير .. ولكنه عاد بعد ايام وفى مقابله اخرى قال انه اقتنع بأن النحاس ومكرم بريئان وانه افلح فى اقناع فاروق بذلك ..

ولكنني اتساءل اليوم ـ وفى ضوء تصرفات حسنين التالية مع مصطفى النحاس ـ أتساءل : هل كان حسنينقد اقتنع حقا ببراءة النحاس او انه قال لى هذا الكلام لكى انقله الىمصطفى النحاس فيطمئن الى حسنين ولا يأخذ منه حذره ؟

واخرج من هذا السؤال أو هذا التساؤل بحقيقة قررهـا ويشهد كثيرون على صحتها وهى ان حسنين باشا ـ رحمه الله ـ اقسم بعد حادث ٤ فبراير على الانتقام من مايلز لامبسون ومن مصطفى النحاس ..

القسم على الانتقام من رئيس الوفد ينهض دليلا عـلى ان حسنين لميكن يؤمن ببراءة مصطفى النحاس ..

ولكننى أترك المنطق والاستنتاج وأروى حديثه او احاديثه كما سمعتها منه ..

فى حديث له أفضى به الى فى جلسة لنا بداره فى مساء ٢٧ مارس عام ١٩٤٢ قال : ان فاروق قال له عقب الحادث مباشرة : حصل اللى حصل وعلى كل حال انا اعطيت النحاس كلمة انى سوف اساعده .. وجم الحكم خلاص ولازم اشتغل معاهم » ..

قال حسنين :

ـ وكان على بصفتى رئيسا للديوان أن اقيم سياسى على هذا الاساس .. وهو التعاون مع حكومة الوفد .. والتعاون مع السلطه التى جاءت بها الى الحكم .. اىالانجليز .. وأن أنسى عواطفى الشخصية ..

وأشهد انه قال هذه العبارة بمرارة فلم تكن الهزيمه أمرا سهلا على حسنين واية هزيمة اكبر واشنع من هزيمته السياسية فىحادث ٤ فبراير .. وهو الذى طالما باهى وفاخر بانتصاره على السفير لامبسون وكيف كسب منه الجولة يوم فاجأه بوزارة حسن صبرى باشا .

ويوم كسب منه الجولة الثانيه يوم واجهه بالأمر الواقع ووزارة حسين سرى .. وها هو ذا السفير مايلز لامبسون يكسب الجولة الاخيرة الحاسمة ويفاجئه بالدبابات تحيط بالقصر وبوزار الوفد يفرضها على فاروق فرضا والا .. ؟

وزاد فى مرارة حسنين وفى حدة شعوره بالهزيمة علمه ان الشامتين فيه كثيرون .. وان الساخرين منه ومن سياسته قد اطلقوا فيه السنتهم فى كل ناد ومجلس .. وان خصومه فى داخل القصر وفى خارج القصر قد بدأوا يستخفون به ولا يبالون ان يعلنوها صراحة انه ـ اى حسنين ـ لايصلح لمنصب رئيس الديوان .. وان احدهم وهو على ماهر باشا ـ قد سأل بعض أصدقاء حسنين بلهجة اصطنع فيها الدهشة والعجب .. كيف ان حسنين باشا لم يستقل من منصبه حتى الآن ؟

ويستطيع القارىء ان يدرك من هذه التفصيلات ان حسنين باشا لم يكن شريكا فى جريمة تدبير حادث ٤ فبراير ·· ولم يكن مطيه للسفير او غيره من الانجليز · · بل كان ضحيه من ضحايا الحادث الشنيع المشئوم ·· وان كل ما قيل عن تآمره مع الانجليز فى الحادث المذكور كان محض افتراء اذاعه عنه الحاقدون المغرضون ·

وامشي الآن فى سرد الحوادث كما رواها لى احمد حسنين ·· ولقد اتفق معه على ترتيب الوقائع ولكنى اختلف معه قطعا فى الاسباب والنتائج ·

ومن ذلك ·· قال لى ــ رحمه الله ــ :

ــ ورغبة منى فى تصفية الجو بين الملك والوزارة ، وتحسين العلاقات بينهما سعيت عند الملك حتى وافق على مقابلة مكرم وامين عثمان ·· وذلك لكى تعرف البلد ان الملك لايكره مكرم او امين عثمان كما يذاع ويشاع ·· ولاننا كنا جميعا نعرف أن مكرم باشا هو ذراع النحاس اليمنى ومستشاره فى الشئون الداخلية والمالية ·· وان امين عثمان هو ذراعه اليسرى ومستشاره فى الشئون الخارجية ، فكان من المرغوب فيه والحالة هذه ان نوثق علاقتنا بهذين الذراعين او بالرجلين المقربين الى رئيس الحكومة ·· وهكذا طلبت من مكرم باشا ان « يلتمس » مقابلة جلالة الملك لسبب ما ·· وسألنى مكرم « سبب زى ايه ؟ » وسكت مكرم قليلا ثم قال :

ــ وجدت السبب ·· لقد اعددنا اوراق نقد جديدة واحب ان اعرض الرسم الجديد على جلالة الملك قبل البدء فى طبعها ·

قلت : عظيم ·· والسبب وجيه ··

وتمت المقابلة فعلا ·· وقد نجح مكرم باشا واستطاع أن يكسب عطف الملك وخصوصا بعد ان قال له : أنا اعرف يامولاى ان من السهل جدا مهاجمتى وتحميلى مسئولية كل ما يقع من الوفد ·· وانا والله شهيد برىء ·

وكذلك تمت مقابلة الملك بأمين عثمان ·· ولكن المقابلة لم تنجح ·

الخلاف بين
مصطفى النحاس ومكرم عبيد

اذن فان حسنين السياسى الداهية يزعم انه سعى لدى فاروق حتى اقنعه بالموافقة على مقابلة مكرم عبيد رغبة منه فى « تصفية الجو وتحسين العلاقات بين الوفد وفاروق » ٠

هذا ما قاله أو ما زعمه حسنين غفر الله له ٠

والحقيقة ان غرض حسنين كان أبعد ما يكون عن الصفاء والوئام والسلام ٠

لقد كان غرض رئيس الديوان ـ فى تنفيذ او تحقيق سياسة الانتقام من مصطفى النحاس ـ كان غرضه ان يوقع بين النحاس ومكرم وبين النحاس وامين عثمان ٠٠ او بعبارة اخرى ان ينتزع من رئيس الوفد ذراعيه الاثنين اللذين يستند اليهما فى ادارة شئون البلاد الداخلية والخارجية ٠

ويا له من انتصار يمحو عار هزيمة ٤ فبراير يوم ينجح حسنين فى ضم مكرم وامين عثمان الى جانب القصر ٠٠ ضد الوفد ومصطفى النحاس ٠

او على أقل القليل يوم يستطيع ان يستغل نفوذ مكرم عند النحاس فى تحقيق اعراض السراى والموافقة على طلباتها ٠٠ ويوم يستطيع ان يستغل حظوة امين عثمان عند الانجليز فى اقناعهم بتعديل سياستهم الجافة او موقفهم المتعنت المتشدد من القصر ٠

كان هذا هو الغرض الحقيقي من هذه الخطوة التى خطاها حسنين وجمع فيها بين فاروق ومكرم ٠٠ وبينه وبين أمين عثمان ٠٠

ولقد نجح فوق ما كان يأمل ٠٠ ويوم عرف مصطفى النحاس ان السراى قد حددت موعدا يتشرف فيه معالى وزير المالية مكرم عبيد باشا بمقابلة جلالة الملك فاروق ٠٠ قال النحاس باشا لجلسائه : « أنا عارف انهم عايزين يفرقوابينى وبين مكرم » ٠

ثم عاد وقالها لمكرم نفسه . قال : « يا مكرم خد بالك .. عاوزين يفرقوا بيننا »

ومشت الحوادث سريعة تلهث ، خرج مكرم باشا من مقابلة فاروق مغتبطا مسرورا واتصل به زميل كان يعمل فى « الاهرام » وسأله عن المقابلة وما دار فيها وأثرها فى نفس « معاليه » .. وكان اتصاله بناء على ايحاء من حسنين باشا وكان مكرم كما قلت مغتبطا مسرورا ومن هنا افاض فى وصف العطف السامى الكريم الذى لقيه الى آخره .

وقال مكرم باشا انه سيملى الجريدة تصريحا مكتوبا .

وكان هذا هو الفصل الثانى فى المؤامرة أو الشباك التى نصبها احمد حسنين لمصطفى النحاس ومكرم عبيد ولم تكن العادة قد جرت بأن يخرج الوزير – اى وزير من مقابلة الملك – اى ملك فى أى بلد – ويصف المقابلة فى مقال ينشر فى االصحف .

ولكن هذا هو ما حدث ! .. فقد طلعت جريدة « الاهرام » فى عددها الصادر بتاريخ يوم الجمعة ١٣ مارس عام ١٩٤٢ . وفيها الكلمة او المقال الآتى :

وزير المالية .. فى الحضرة الملكية

تشرف معالى الاستاذ مكرم عبيد باشا وزير المالية بمقابلة صاحب الجلالة الملك بعد ظهر أمس فعرض على المسامع الملكية بعض الشئون المالية والاقتصادية فلقى من لدن جلالته كل عطف ورعاية وقد افضى معاليه الى مندوب «الاهرام» بالتصريح الآتى : –

« تشرفت مساء أمس بمقابلة جلالة المليك المحبوب ، وعرضت على مسامعه الكريمة اهم شئون التموين ، والسياسة التى ندرسها الآن تمهيدا لاقرارها وتطبيقها على محصول القمح الجديد كما عرضت على جلالته بعض التعديلات فى الميزانية التى اعتزم عرضها على مجلس الوزراء وفى مقدمتها المشروع الذى يرمى الى تخفيف الاعباء المالية عن صغار

الفلاحين والمزارعين ورفع مستوى معيشتهم وغير ذلك من المشاريع التى تؤدى ، او أرجو ان تؤدى الى موازنة الميزانية موازنة حقيقية لاحسابية بحيث لاتهمل المشاريع الحيوية وتكون جباية المال وانفاقه فى حدود العدالة الاجتماعية .

ثم تشرفت بعرض ما تم فى مسألة القطن والحبوب ، ومبلغ ما وفقت اليه حكومة جلالته فى هذا الصدد .. بالتعاون مع الدولة الحليفة .

وأطلعت جلالته على نموذج من اوراق النقد الجديدة التى لوحظ فى طبعها واعدادها تعذر تزييفها ، فنالت رضاءه السامى .

وقصارى القول ، فقد تناول حديثى فى حضرة جلالته حالة البلاد المالية من مختلف وجوهها - وهى حالة بفضل الله مرضية - ولقيت من جلالته لا مجرد عطف فحسب او تشجيع وحسب - مما الهج لسانى بالشكر والحمد - بل لقيت ما هو اعظم من ذلك واهم ، لقد لقيت اطلاعا واسعا .. وارشادا نافعا ونظرة دقيقة وعميقة الى جوهر المسائل المعروضة رغم تباينها وبعد نواحيها ، فلم البث طويلا حتى ادركت ان ملكنا الشاب قد ملك زمام الامور ، بفضل ما اوتى من رجولة مبكرة وخبرة منوعة نادرة ، قلما اتيحت لملك من الملوك .

ولذلك لم يلبث الحديث طويلا حتى انتقلت دفته الى يديه الكريمتين ، فكان ينتقل من موضوع الى آخر ومن نصح الى نصح فى عطف ووداعة وصراحة اخاذة ونفاذة معا .

وغاية القول انه قد اتيح لى فى هذه المقابلة الملكية السامية ان اعرف الرجل الملك فكان الرجل فى رجولته لايقل جلالة عن الملك فى مملكته .

وقد تفضل جلالته فأكد لى فى بساطة وديمقراطية انه ملك للجميع ، لايفرق بين طوائف او احزاب او طبقات فى شعبه الوفى وقد خرجت من لدنه وهذا اعتقادى ، بل ويقينى .

***

وكان النحاس باشا يقيم هو والسيدة حرمه فى جناح خاص بفندق مينا هاوس وتصادف انني ذهبت لازوره فى مساء نفس

اليوم الذى ظهرت فى صباحه كلمة الاستاذ مكرم عبيد بجريدة الاهرام .

وبينما نحن نتحدث دق جرس التليفون الموضـــوع فوق مائدة صغيرة بجوار « رفعته » وكان المتكلم الاستاذ مكرم عبيد وكان يتكلم من مدينة المنيا .

وفهمت من الحديث الذى دار بينه وبين السيد مصطفى النحاس ان مكرم كان قد سافر فى صباح نفس اليوم الى المنيا لكى يسوى خلافا خاصا بترشيحات الوفد لانتخـــاب مجلس النواب وكان الخلاف بين مرشحين وفديين احدهما الاســـتاذ ابراهيم الشريعى .

وبينما كان مكرم يتحدث ، ولم أسمع حديثه طبعـــا وان اكن قد فهمت بعض ما قاله من تعليق او رد مصطفى النحاس اقول بينما كان يتحدث قاطعه النحاس وهو يقول :

ــ لكن سيبك من ده كله وقول لى ايه الكلام ده يامكرم اللى انت كاتبه فى اهرام النهارده ؟

ويظهر ان مكرم باشا ابدى دهشته او عجبه من اســتنكار النحاس باشا او قال مامعناه انهم جميعا يقولون مثل هـــذا الكلام عن الملك فى كل يوم ، لان النحاس قال :

ــ ايوه .. لكن لما اقولهانا بأقوله فى مقابل شىء .. باقوله واخد حاجة فى مقابل كده .. لكن انت تقوله ليه ؟ ثم علشان ايه ماعرضتوش على قبل نشره ؟ دى غريبة ! لانك دايما بتاخد رأيى فى احاديثك وتصريحاتك قبل نشرها .. اشمعنى المرة دى لأ ؟

ويظهر ان مكرم قال ان الســاعه كانت متأخرة وانه لم يرد ازعاج «رفعته» او ايقاظه من نومه ، لان النحاس قال :

ــ يعنى ايه ؟ عايز تقول انك كتبت الكلام ده نص الليل . وقبل كده ماكنتش لسه كتبت حاجة ؟

***

وانتهت المحـــادثة بين الصـــديقين : رئيس الوفد وسكرتير الوفد ، وكانت لهجة الحديث فى نهايته قد اشتدت واحتدت . ولاحظت عندما انهى النحاس باشا الحديث واعاد سماعة

التليفون الى مكانها ان علامات الغضب كانت مرسومة واضحة على وجهه وفى عينيه وقال «رفعته» :

ــ ده كلام مايكتبوش الا العبيــد ، اقول ايه للانجليز اللى جابونا علشان نقف في وشه «يقصد الوقوف فى وجه فاروق» اقول لهم ايه ؟ اقول لهم بعد جمعة والتانيه بقينا امامه عبيد نتكلم عنه بلهجه العبيد ؟ .

***

ولم يكن احمد محمد حسنين سبب الخلاف بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد السيد مصطفى النحاس ، والاستاذ مكرم عبيد .. ولكنه كان احد الذين عملوا بمهارة و «شطارة» على توسيع شقه الخلاف .

وكان حسنين ــ كما سبق ان ذكرت ــ قد اقسم بعد حادث ٤ فبراير على الانتقام من مصطفى النحاس ومن هنا سعى الى اضعاف مصطفى النحاس ــ ولااقول هدمه ــ عن طريق التفريق بينه وبين اخلص صديق له واقوى اعضاء الوفد نفوذا واقربهم الى قلب الشعب ، وهو مكرم عبيد .

وما من شك في ان الخلاف بين الصديقين القديمين والذى انتهى الى خروج أو اخراج مكرم عبيــد من الوفد ثم هجـومه وحملاته الشديدة على مصطفى النحاس .. ما من شك فى ان هذا كله كان ضربة قاسية للوفديين عامة ، ولمصطفى النحاس بوجه خاص .

أما عن أسباب الخلاف الأصلية او الاصيلة .. فقد قال لى دكتور محمد صلاح الدين الذى كان من اخلص الوفديين لمصطفى النحاس وكان اقربهم اليه وكان موضع ثقته والذى عهد اليه النحاس باشا بمنصب وزير الخارجية فى وزارة الوفد فيما بعد .. قال لى ذات يوم اثناء الخلاف بين مكرم ومصطفى النحاس :

ان مصطفى باشا بحكم طبيعته لابد ان يسيطر عليه شخص ما .. ولقد كان هذا الشخص فى وقت ما هو مكرم عبيد .. أما الآن فانها زوجته زينب هانم التى تسيطر عليه وتســيره كما تريد .

ثم قال :

ـ وزينب هانم تتدخل الآن في شئون الحكم ومع ذلك فقد قالت لى في اول أسبوع من قيام هذه الوزارة كلاما سررت منه جدا وتفاءلت منه خيرا .. قالت : « لازم نتعظ باخطاء الماضي ونمشى في الحكم كويس ، وأنا سأستعمل نفوذى عند الباشا ـ تقصد زوجها ـ من اجل هذا» ولكنها للأسف سرعان مانسيت وعدها وعملت على العكس .

***

اذن فقد كان مكرم عبيد صاحب السيطرة والنفوذ ..الى ان زحزحته او ازاحته السيدة زينب الوكيل .

وكان طبيعيا ان تتطور المنافسه بين الاثنين الى عداء او مايشبه العداء . . وان يطلق كل من الاثنين لسانه في صاحبه ..

وامتلات المجالس والأنديه بالاشاعات و «التشنيعات»وسمع الجمهور لأول مرة ان السيدة حرم رئيس الوفد ورئيس الوزراء تستغل زوجها ونفوذ الوزارة من اجل الثراء السريع ، وانها ليست وحدها ، بل ومعها عدد من اقاربها واصهارها .

وعرف النحاس باشا والسيدة حرمه ان مكرم عبيد واقاربه وانصاره هم مصدر هذه الاشاعات .

وسمع الناس ان مكرم باشا يقول في مجالسه الخاصة ان زينب هانم تحاربه بسبب نزاهته ولانه ـ وهو وزير المالية ـ رفض ان يوافق على طلباتها وطلبات شقيقها السيد احمد الوكيل الخاصة بأذونات التصدير والاستيراد .

وهذا فضلا عن الخلاف الذى شجر حول الاستثناءات والترقيات والعلاوات .

واحب ان اعفى قلمى هنا من الخوض في حديث الفساد واستغلال النفوذ وما قيل يومئذ ، وبعدئذ .. فما اظن ان قلمى او اى قلم آخر يمكنه ان يكتب اليوم اكثر مما كتب او يقول اليوم شيئا جديدا لم يسبق قوله ونشره ، ولكنى حريص مع ذلك على تقرير حقيقة منصفة وهى ان الاستاذ مكرم عبيد سبق ان دافع دفاعا بليغا قويا عن الاستثناءات والترقيات في عام ١٩٣٧ ، فما باله يحاربها في عام ١٩٤٢ ؟..

الحقيقة المنصفة هى ان السيدة حرم النحاس باشا وأقاربها أرادوا ان يحملوا نزاهة مكرم عبيد فوق ماتطيق ·

أنا شخصيا اعتقد ان مكرم باشا لم يكن ليمانع او يعارض كثيرا او طويلا في اجابة بعض الطلبات الصغيرة التى ـ مع مخالفتها للقوانين ـ لاتثير ضجة وقالا وقيلا ·· وذلك حرصا منه على رضاء صديقه النحاس باشا ، وثمنا لسكوتها عنه او تاييدها له عند زوجها ·· ولقد سبق ان تساهل او اغمض عينيه ··

ولكنه فى هذه المرة وجد ان المطلوب منه ـ او الحمل على نزاهته ـ ثقيل وفوق ماتطيق ·· فرفض ·

ثم تشدد بعد ان اشتد الخلاف ·· وراح يتعنت ويرفض الطلب الصغير اليسير كما يرفض الموافقة على الطلب الكبير الخطير ··

أى ان الامر كله اصبح بين السيدة حرم رئيس الوفد والوزراء ومكرم عبيد نوعا من العناد ·

***

هذا سبب ··

وسبب آخر وهو ان كثيرين من اعضاءالوفد كانتصدورهم ضاقت بالنفوذ الاكبر الذى يتمتع به «زميلهم» مكرم عبيد دونهم جميعا عند « رئيسهم » مصطفى النحاس وبالسلطات الواسعة التى كانتله فى كل شأن من شئون الوفدوخصوصا بعد خروج احمد ماهر والنقراشى من الوفد ·

هؤلاء الأعضاء رأوا ان الخلاف بين زينب هانم ومكرم عبيد فرصة طيبة او فرصة سانحة يحسن بهم ان ينتهزوها لكى يتخلصوا من مكرم عبيد ومن نفوذه الطاغى فى الوفد ، او كما قال لى احدهم : « نريد ان نكون ارقاما صحيحة لا اصفارا الى اليسار » ·

وقال لى الدكتور محمد صلاح الدين أثناء الخلاف : « ان صبرى باشا ابو علم ونجيب باشا الهلالى يعملان على توسيع شقة الخلاف بين مصطفى باشا ومكرم باشا ·· وليس هناك

من يعمل معى على تسوية الخلاف سوى الاستاذ محمود سليمان غنام »

وتناول الاستاذ فؤاد سراج الدين العشاء معى مرة فى مسكنى وكنا وحدنا ٠٠ وكان يومئذ وزيرا للزراعة وسألنى: « أيه رأيك فى فصل مكرم باشا من الوفد ؟ »

وقبل أن أجيب مضى يقول :

ـ أظن أن الاحسن فصله دلوقت لان الخلاف استفحل ومستحيل بعد كده تصفى القلوب أو يتصالح تانى مع مصطفى باشا وزينب هانم ٠٠ واذا فصلنا مكرم دلوقت مش راح يقدر يعمل حاجة لان الوفد فى الحكم وتحت يدنا الرقابة ٠٠ لكن اذا سبناه جايز نخرج من الحكم ٠٠ ويخرج هوه بعدها علينا ويحاربنا ٠٠

وهكذا ٠٠ السيدة حرم رئيس الوفد تحارب مكرم وتعمل على خروجه أو اخراجه من الوزارة والوفد ٠٠ وكل من فى الوفد أو معظم أعضاء الوفد يعمل كذلك على اخراج مكرم عبيد ٠٠

وكذلك «القصر» او الرجل الاول فى القصر ورئيس الديوان احمد محمد حسنين ٠٠ أسباب وعوامل تضافرت جميعا على التفريق بين الصديقين الحميمين القديمين النحاس ومكرم عبيد ٠٠

وكانت الوزارة قد تقدمت بطلب عدد من الاستثناءات والترقيات لبعض الموظفين الوفديين الذين اضطهدوا ٠٠ كما قالت الوزارة ـ فى عهد الوزارات غير الوفدية ٠٠

ورفض وزير المالية ـ مكرم عبيد ـ الموافقة على هذه الطلبات ٠٠

ولما راجعه رئيس الوزارة مصطفى النحاس فى الامر احاله مكرم المسألة كلها على اللجنة المالية ٠٠

وطال الاخذ والرد ٠٠ وتطور الخلاف فى الرأى الى ازمة ٠٠ كل هذا وعوامل التفريق التى أشرت اليها تسعى وتعمل٠

وفى مساء ١٨ مايو عام ١٩٤٢ أقمت فى دارى حفلة بمناسبة عيد مولدى وغنت فيها أم كلثوم ٠٠

وكان بين المدعوين الاساتذة صبرى أبوعلم ونجيب الهلالى واحمد حمزة ودكتور محمد صلاح الدين وعدد من الشيوخ والنواب الوفديين وبعض الزملاء الصحفيين ومنهم انطون الجميل ومحمود أبو الفتح ومصطفى امين وعلى أمين وحسن الاعور وكان يومئذ مديرا لمكتب وزير المالية الاستاذ مكرم عبيد ..

ولاحظت اثناء السهرة « حركة » او نشاطا بين بعض المدعوين .. لاحظت مثلا ان محمود أبو الفتح تكلم بالتليفون بصوت خافت مرة أو مرتين ..

وان حسن الأعور وعلى أمين اختليا فى غرفة مكتبى بمكرم باشا .. وأخيرا عرفنا ان مكرم باشا كان ارسل الى جريدة المصرى بصورة من المذكرة التى وضعتها اللجنة المالية وفيها قرارها برفض جميع الاستثناءات .

وأن جريدة المصرى ادركت خطورة نشر هذه المذكره ـ لانها تخالف رأى الوزارة ورأى رئيسها مصطفى النحاس ـ فاتصلت بصاحبها الاستاذ أبو الفتح فى مسكنى .

وأراد الاستاذ آن يتخلص من مسئولية ابداء رأيه فطلب من جريدته أن تعرض المذكرة على الرقيب « وكانت الرقابة مفروضة يومئذ على الصحافة بحكم حالة الحرب . »

وسمع مكرم باشا بهذا كله فثار وهاج وتساءل : «منذمتى كان للرقابة سلطان على الوزراء وما يريد الوزراء نشره ؟ ..»

واتصل مكرم باشا بالتليفون بالاستاذ محمود سليمان غنام الذى كان موكولا اليه أمر الاشراف على شئون الرقابة وأبلغه انه سوف يستقيل من الوزارة اذا لم تنشر جريدة المصرى المذكرة كما هى ..

وكان سليمان غنام كما سبق أن قلت احد القليلين الذين كانوا يسعون لتسوية الخلاف بين النحاس ومكرم ولقد خشى أن ينفذ مكرم وعيده ويستقيل .. فأمر بنشر المذكرة..

سمعنا أثناء السهرة بهذا كله فاشفقنا من عواقب النشر.. وراح على أمين وحسن الاعور يرجوان الاستاذ مكرم عبيد ان يعدل عن نشر المذكرة حتى لايثير نشرها مصطفى النحاس ..

الى آخره ·· الى أخره ·· وخرجت « المصرى » فى الصباح وفيهــــــا مذكرة اللجنة المالية ومكرم عبيد برفض طلبات الاستثناءات ··

وكانت القاضية على كل امل فى الصلح أو تسوية الخلاف وثار مصطفى النحاس وأعلن انها مؤامرة ضده وضد الوزارة وان صاحب المصرى محمود أبو الفتح شريك فى المؤامرة ولابد من « شلحه » من الهيئة الوفدية واصدار قرار من الوفد بأن المصرى لم يعد يعبر عن رأى الوفد ·· وكان هذا القرار يومئذ شبيها بقرار الحرمان الذى يصدره باباوات روما ضد المغضوب عليهم من أعداء الكنيسة ··

واختفى محمود أبو الفتح بضعة أيام ريثما تهدأ العاصفة وثورة « الرئيس الجليـــل » ثم عاد من مخبئه وذهب وقابل النحاس باشا ·· وكانت اول مرة يلقاه فيها بعد نشرالمذكرة وكان النحاس باشا هائجا ثائرا ضده وقال :

ـ أرجو من رفعتك أن تطول بالك شوية ·· وان يتسع حلمك لما أقول ··

وقال النحاس باشا ساخرا :

ـ حلمى ياسى محمود ·· طيب قول ياسى محمود ··

وقال محمود ابو الفتح :

ـ ما هو أساس حملة التشهير التى يقوم بها مكرم باشا ضدك ؟ ·· اليس اساس هذه الحملة المحسوبية التى يزعم ان اقارب رفعتك يتمتعون بها ؟ ·· اليست الاستثناءات التى يرفضها ويجعل منها أساسا لحملة التشهير ·· اليســت مطلوبة لاقارب وانصار رفعتك ؟ ·· واليس شقيقى متزوجا من بنت شقيق رفعتك ؟ ··

السنا اذن من اقارب رفعتك المقصودين بالتشهير ؟ فكيف اذن يخطر ببال رفعتك اننى اتامر ضدك مع مكرم باشا ؟ ·· ثم اذا انهار مصطفى النحاس وضاع نفوذه الانهار نحن ايضا معه ونفقد نفوذنا ؟ ·· اننا الآن نستمد جاهنا من جاهك فاما ارتفعنا معك واما سقطنا معك ·· فكيف اذن ؟ ·· ورفعتك تعرف ان مكرم عدوى وانه يكرهنى وكان دائما يشككم فى وفى

احلاصى لكم وفى ولاء المصرى لرفعتكم ·· وانا لم انشر المذكرة الا كارها وقد رفضت نشرها ولكن ازاء الحاحه احلت الامـر على الاستاذ غنام فصرح بالنشر ··

ولما انتهى الاستاذ محمود ابو الفتح من دفاعه قام النحاس باشا وضمه الى صدره وتعانقا ··

***

وافف هنا فليلا لأتساءل مرة اخرى : لماذا نشر محمـود ابو الفتح هذه المذكرة مع علمـه بخطورة ووخامة العاقبة ؟

واذا كنت الح فى هذا السؤال فذلك لان المذكرة كماوصفتها ـ كانت القاضية ـ وكانت السبب المباشر لاخراج مكرم عبيد من الوزارة اولا ·· ثم اخراجه من هيئة الوفد ثانيا ··

لقد قرأتم دفاع الاستاذ ابو الفتح عن نفسه وهو دفـاع ضعيف عند الذين يعرفون الحقائق وكان من السهل جـدا على صاحب «المصرى» ان يرفض نشر المذكـرة بعد ان رفض الرقيب اجازة النشر · أما اعتذار ابو الفتح بأن الاسـتاذ سليمان غنام أجاز النشر فمردود عليه بأنه لم يسمح بالنشر الا لكى يحول دون استقالة مكرم عبيد ·

فهل كان الاستاذ ابو الفتح حريصا مثله على عدم استقالة مكرم عبيد ·· بالعكس كما سترون مما يأتى ·· ثم لماذا لم يختصر الاستاذ أبو الفتح ليلتئذ الطريق ·· ويتحدث مباشرة بالتليفون مع النحاس باشا ويعرض عليه الامر ·· واذن لكان سمعها من رئيس الحكومة ورئيس الوفد حاسمة قاطعة بعدم نشر المذكرة ·· ولكنه لم يفعل ·· واستتر وراء الاسـتاذ غنام !

ومرة اخرى لماذا نشر المذكرة ؟ هل مراعاه او مجاملة لمكرم عبيد ؟ هذا احتمال ولكنه كما سترون اضعف الاحتمالات ··

ام لانه كان يعلم ان نشر المذكرة سوف يوسع الهوة بين مصطفى النحـاس ومكرم عبيد ومن هنا نشرها لكى تكـون القاضية ؟ ··

وهذا هو الاحتمال الراجح لأن اصدقاء أبو الفتح كانوا يعرفون

انه حانق مغيظ لعدم دخوله الوزارة وقد كان أذاع أو أذاع له بعض اصدقائه وبعض الصحفيين ـ والمحوا الى الخبر فعلا فى صحفهم ـ انه سوف يدخل الوزارة ..

وفي هذا سألت مرة الاستاذ فؤاد سراج الدين ـ وكنا فى النادى الاهلى ـ فقال وهو يضحك .

ـ وبتصدق برضه الكلام الفارغ ده .. طيب ادحنا رفضنا أن نرشحه وكيلا لمجلس الشيوخ فكيف اذن نقبل دخوله معنا فى الوزارة ؟..

إذن فقد كان فؤاد سراج الدين احد الذين عارضوا فى ترشيح صاحب المصرى لكرسى الوزارة .. ولكن الاستاذ أبو الفتح لم يكن يعرف هذه الحقيقة بل كان يعتقد انالذى عارض في دخوله الوزارة هو الاستاذ مكرم عبيد .. ومن هنا نشر المذكرة لكي تكون القاضية على كل أمل فى تسوية الخلاف بين مصطفي النحاس ومكرم عبيد ..

هذه هى الحقيقة ..

وأكثر من هذا ..

قال لى الاستاذ الشافعى البنا ـ رحمه الله ـ انه كان فى وقت ما رئيسا لتحرير جريدة المصرى أيام كان الوفد فى المعارضة .. وكان يحدث ان يطلب الوفد نشر مقال معين فى موضوع معين .. وكان ابو الفتح يماطل فى نشر المقال اما خوفا من ان تبطش الحكومة القائمة « بالمصرى » واما لان له مصلحة معينة فى عدم النشر وكان سكرتير الوفد مكرم عبيد يتكلم بالتليفون ويلح فى نشر المقال ثم يهدد ويتوعد ويقول : « قولوا للاستاذ ابو الفتح انه اذا لم ينشر المقال غدا فيالمصرى فان الوفد سوف يصدر بيانا يعلن فيه إن جريدة المصرى لا تعبر عن رأى الوفد »

وكنت أشفق من عواقب هذا التهديد وأذهب الى أبو الفتح أرجوه ان ينشر المقال المطلوب فكان يبتسم ويقول : «ماتخافش بس سيبنى أنا بكره يشتمونا شتمتين ويزعلوا منا يومين وبعدها الحكاية تفوت » ..

وحكاية أخرى ..

قال لى الاستاذ فؤاد سراج الدين فى نفس المعنى ونفس الموضوع أنه حدث مرة وكان موجودا فى مصيف رأس البر مع النحاس باشا أن نشر « المصرى » مقالا فيه دعاية قوية لوزارة حسين سرى من أجل اتفاقية القطن التى كانت عقدتها مع الانجليز • وغضب مكرم باشا وثار ثورة عنيفة وطلب من محمود أبو الفتح ان ينشر « المصرى » مقالا ينقض فيه المقال الاول ولكنه ماطل ولم ينشر •• وهنا اعلن مكرم باشا : اما ان يشلح ابو الفتح من الهيئة الوفدية واما ان يستقيل هو من الوفد •

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين يقول :

ـ لقد أمضيت يوما وليلة وانا اهدىء من ثورة مكرم باشا ضد المصرى وصاحبه ••

خلاصة القول اذن ـ وهذه جرأة ابو الفتح فى نشر مايريد أو عدم نشر ما لايريد رغم الوفد وزعماء الوفد ـ خلاصة القول اذن ان أبو الفتح كان يمكنه ان يرفض نشر المذكرة •• ولو كان فى رفضه ما يغضب مكرم عبيد •

ولكنه نشرها •• لانه كان يريد ان تنشر ••

حدث مرة فى عام ١٩٣٨ وكان السعديون والدستوريون فى الحكم والنقراشى باشا وزيرا للداخلية •• حدث ان اعتدى رجال البوليس على موكب النحاس باشا أثنا سيره من المحطة الى داره •• وكان مكرم باشا يجلس بجوار النحاس باشا فى السيارة ••

واصابت هراوة أحد رجال البوليس رأس مكرم باشا واحدثت فيه جرحا عميقا • وحملت الصحف الوفدية حملات عنيفة على الحكومة وطالبت بمحاكمة ضباط البوليس المسئولين ••

وقال لى حسين ابو الفتح شقيق محمود أبو الفتح ان شقيقه قال يومها : « معلوم يجب ان يحاكموا العسكرى ابن ••• اللى ضرب مكرم لانه ماعرفش يضرب مكرم ضربة جامدة كفاية تخلص عليه وتريحنا منه »

قلت ان جريدة « المصرى » نشرت المذكرة التى وضعتها اللجنة المالية ووزير المالية مكرم عبيد وقد رفضت فيها الموافقة على الاستثناءات التى طلبها النحاس باشا وبعض زملائه الوزراء لطائفة من الوطنيين الوفديين .. وكان رفض اللجنة مسهبا ومقرونا بالاسماء والاسباب ..

وكانت القاضية .. وأعلن السيد مصطفى النحاس ان التعاون بينه وبين مكرم باشا اصبح مستحيلا .. ومن ثم فهو يطلب منه ان يبر بوعده ويستقيل ..

ولهذا « الوعد » حكاية أذكرها بايجاز .. ذلك انه كان حدث قبل ذلك ببضعة اسابيع - أى فى بدء الخلاف وايام كان العتاب لايزال مقبولا بين الرجلين - حدث فى احدى جلسات العتاب ان أعلن الاستاذ مكرم عبيد انه لايزال الصديق الوفى والوفدى المخلص لرئيس الوفد مصطفى النحاس وانه - معاذ الله - لن يسمح لنفسه بالخروج على الوفد او زعيمه مصطفى النحاس .. وانه مستعد فى اى وقت اثباتا لولائه واخلاصه ان يقدم استقالته من الوزارة وفى اى وقت يطلبها منه مصطفى النحاس ..

وهكذا .. اوفد النحاس باشا وزير الاشغال عثمان محرم باشا بصفته أكبر الوزراء سنا وأقدمهم عهدا بالوزارة .. اوفده الى الاستاذ مكرم لكى يطلب منه ان يفى بوعده ويستقيل ..

***

ولكن مكرم باشا لم يكد يرى عثمان محرم داخلا عليه فى داره حتى صاح :

- انا عارف انت جاى ليه .. علشان تطلب منى آن استقيل لكننى أرفض .. ولن استقيل .. فاذهب وقل لمن ارسلك ان يقيلنى من الوزارة اذا استطاع ..

وحاول عثمان محرم ان يقنع مكرم عبيد بالنزول على رغبة مصطفى النحاس والاستقالة ويقول له : ولو الى حين نهدأ ثائرة النفوس ويصفو الجو .. وليس من المستحيل آن تعود وتدخل الوزارة الى آخره » .

***

ولكن مكرم رفض أن يصغى ورفض ان يستقيل .. وسمع النحاس باشا . وكانت مصادر اخبار السوء ووسطاء السوء كثيرة كما ان الساعين لاخراج مكرم من الوزارة ومن الوفد ـ وقد اشرت اليهم ـ لم يقصروا جهدا فى نقل الاخبـــار التى توسع الهوة بين النحاس ومكرم ..

وسمع النحاس ان مكرم لم يرفض الاستقالة الا لانه موحى اليه أو موعز اليه بهـذا الرفض .. وان مصـدر الايحـاء او الايعاز هو رئيس الديوان احمد محمد حسنين .

وازداد النحاس غضبا وثورة .. واعلن انه اذا لم يستقل مكرم عبيد طوعا فسوف يخرج من الوزارة مقالا .

هذا ومكرم يخرج لسانه ساخرا ويتحدث الى بعض الصحف الافرنجية فى مصر والى مندوبى وكالات الانباء ويعلن انه لن يستقيل .. وليفعل النحاس باشا أقصى ما يستطيع ..

وذهب النحاس باشا الى القصر يطلب اقالة وزير الماليـــة مكرم عبيد ..

وحاول فاروق ان يهدىء من ثائرة رئيس وزرائه ضد وزير المالية وان يسوى ويصلح مابين الرجلين الصديقين القديمين .. ولكن عبثا !

وما من شك فى انها «مناورة » او سياسة مرسومة ..وان فاروق مثل رئيس ديوانه أحمد حسنين كان يريد التفرقة بين الرجلين والصديقين القديمين .. واضعاف الوفـد وقسـمته شيعا وأحزابا ..

اصر آذن النحاس على اقاله مكرم عبيد من منصب وزيـر المالية .. واخيرا قال له فاروق :

ـ طيب بلا ش الاقالة ..

***

واقترح ان يقدم النحاس باشا استقاله الوزارة .. فيكلفه باعادة تشكيلها .. وهنا يمكنه ان يعيد تشكيل الوزارة من غير مكرم عبيد ..

ولم يعجب هذا الاقتراح السيد مصطفى النحاس .. لـم يعجبه لانه كان أولا يريد « مرمطة » مكرم عبيد والانتقام منـه

باخراجه من الوزارة مطرودا او مقالا ..

وتململ مصطفى النحاس .. ولكن فاروق ثبت على رأيه وقال :

ـ لا .. لا .. كله الا الاقالة .. بلاش حكاية الاقالة دى .

واضطر مصطفى النحاس ان يتراجع وآن يذعن .. وقدم استقالته ثم اعاد الوزارة بدون مكرم عبيد ..

خرج مكرم عبيد من الوزارة ولكن خروجه لم يهدىء من ثورة مصطفى النحاس بل على العكس ..فقد ازداد حنقا وغضبا لان «خصوم الامة » على حد تعبيره ـ الذين فى السراى وعلى رأسهم رئيس الديوان احمد حسنين حالوا بينه وبين طرد مكرم عبيد ولم يمكنوه من اقالة مكرم عبيد ..

ومضى النحاس باشا يتحدث فى مجالسه وبين شيوخه ونوابه عن المؤامرات التى تحاك ضده والتى يدبرها رئيس الديوان بمساعدة بعض خصومه ـ خصوم النحاس باشا ـ من رجال الصحافة وغيرهم ..

وأنقل هنا من مذكراتى :

***

زرت حسنين باشا بناء على موعد سابق حددناه بالتليفون وبقيت معه نحو ساعتين ..

وقلت له : ان النحاس باشا يعتقد انك ضالع مع مكرم عبيد وهو يكره بعض الصحفيين الذين يعارضونه ولما كان بعض هؤلاء صديقاً لك ومتصلا بك ويستقى اخباره منك وهو ينشر دعاية واسعة لمكرم باشا وينشر فى الوقت نفسه دعاية ضد النحاس باشا ـ كما تقول التقارير التى يقدمها رجال البوليس السرى لرفعته ـ فان « رفعته » معذور اذا هو اعتقد ان بعض هؤلاء الصحفيين انما يفعل ما يفعله بايعاز منك ومن السراى .

فقال حسنين : وآنا مالى ؟ ما هو مصطفى النحاس ومكرم عبيد اللى كانوا بيبعتوا لى هؤلاء الصحفيين فى كل حاجة ..

ثم اخذ حسنين يدافع عن نفسه دفاعا طويلا فقال :

ـ لقد كانت سياستى بعد حادث ٤ فبراير وقيام وزارة مصطفى النحاس ان ماجرى قد جرى واللى فات فات ٠٠ وانه لابد من التعاون مع الوزارة ورئيسها مصطفى النحاس وان « مولانا » الملك قد اعطى النحاس كلمة بمساعدته ٠٠

ولقد رأيت ان هناك رجلين من ألصق الناس بالنحاس باشا وهما مكرم وأمين عثمان وان العلاقات بين الرجلين وبين الملك والقصر ليست على مايرام لان الاشاعات كانت دائما كثيرة عنهما ٠ كما ان الاشاعات فى البلد كانت تزعم ان الملك لايحب مكرم عبيد ولا يحب امين عثمان ٠ ومن هنا اردت ان اخدم أمين عثمان ومكرم عبيد ٠ وذلك بأن أجعل الملك يقابلهما ويظهر عطفة عليهما فيخرج الاثنان راضيين شاكرين لكى يعرف البلد ان هذه الاشاعات ليست صحيحة وان الرجلين او ذراعى النحاس ومستشاريه وألصق الناس به ليسا مغضوبا عليهما بل على العكس يتمتعان برضاء الملك وعطفه ٠٠ ولقد خرج مكرم من مقابلة الملك راضيا مسرورا وكذلك امين عثمان فهل يلومنى النحاس على هذا ؟

وهكذا خرج حسنين ـ رحمه الله ـ عن الموضوع الذى زرته من أجله ٠٠

وقلت : ولكن النحاس باشا ليس غاضبا بسبب مقابلة الملك لمكرم وأمين عثمان ٠٠

قال : صبرك على شوية ٠٠

ثم مضى يقول : ان هذه لم تكن محاولته الاولى من اجل تقريب مكرم من الملك وذلك انه اثناء الازمة اول فبراير « اى الازمة التى انتهت بحادث ٤ فبراير » اقترح حسنين على الملك دعوة مكرم عبيد مع الزعماء الذين استدعاهم القصر للمشاورة فى الموقف السياسى ولكن فاروق عارض وقال ان الدعوة مقصورة على طبقة من الزعماء وهى طبقة رؤساء الوزارات السابقين ورؤساء الاحزاب السياسية فكيف اذن يمكن دعوة مكرم عبيد وهو ليس من هؤلاء او هؤلاء ؟

قال حسنين :

لكننى استطعت فى آخر الامر ان احصل على موافقة الملك بدعوة مكرم باشا . وكان فى النية استدعاؤه فعلا الى القصر للاشتراك فى مناقشات الزعماء بصفته السكرتير العام لاكبر هيئه سياسيه فى البلاد .. ولكن الازمة تطورت بسرعة والحوادث اسرعت وكان ما كان ..

ثم تحدث حسنين عن مقابلة فاروق لمكرم عبيد باشا مرة اخرى فى يوم الثلاثاء ٢٦ مايو . وقد تمت المقابلة المذكورة من غير علم مصطفى النحاس واثناء اشتداد الازمة بينه وبين مكرم عبيد والحاج مصطفى النحاس باشا فى اقالة مكرم من الوزارة ..

قال حسنين :

ــ لم يكن من مصلحة احد ولا من مصلحتى كرئيس الديوان ان اتصرف أى تصرف يبدو منه اننى ضالع مع النحاس ضد مكرم ، بل كان من واجبى ان احافظ على الحياد الدقيق . وانه اذا كان النحاس باشا سوف يقابل الملك لكى يعرض عليه اقالة مكرم من الوزارة ويبسط الاسباب فانه من واجبى ــ ومقتضيات الحياد ــ ان امكن مكرم من مقابلة الملك لكى يعرض عليه وجهة نظره فى الخلاف الذى نشب بينه وبين رئيسه مصطفى النحاس . كذلك كنت ارجو ان نتمكن من تسويه الامر وازالة أسباب الخلاف بين الرجلين الصديقين القديمين « كذا ؟ » ولهذا السبب اشرت على الملك بدعوة مكرم باشا لمقابلته .. ولم يعلم النحاس باشا بهذه الدعوة الا فيما بعد وبلغنى ان رفعته غضب جدا يومها ولكن مالوش حق ..

ثم قال حسنين ان فاروق قال له بعد مقابلة النحاس « ما فيش فايده .. لقد حاولت ولكنه مصمم على خروج مكرم من الوزارة » ..

لقد قالها فاروق وهو « بيشوح » بذراعيه شأن الذى افرغ كل ما فى جعبته ولم يفلح ..

ثم قال حسنين انه هو الذى اشار على فاروق برفض طلب النحاس الخاص باقالة مكرم عبيد وقال فى هذا :

ــ ان اقالة مكرم كانت ستفرح النحاس باشا يوما واحدا وهو يوم تنشر فى الصحف ولكن هذه الاقالة كانت ستدفع

مكرم الى « التنسليت » لنحاس باشـــا ٠٠ فهل كان هذا فى مصلحه رفعته كرئيس للحكومه ورئيس للوفد ؟ ثم لماذا الاقاله وتوسيع الهوة بين الرجلين ؟ فليخرج مكرم من الوزارة مادام النحاس مصمما على اخراجه ٠ ولكن اليس من الافضـــل ان يخرج بطريقة لا توغر صدره وتملأه حقدا ونقمة على مصـــطفى النحاس ؟ ٠٠

ثم قال حسنين ان هذه الشكوك لم تتولد ضده فى صـــدر مصطفى النحاس الا بسبب زينب هانم ٠٠

قال حسنين باشا ان السيدة زينب الوكيل هى التى اوغرت صدر النحاس باشا ضده بسبب موقفه منها فى مشروع كبير ثم مضى يقول : لاكلمة ولا رأى للنحاس باشـا عند زوجتـه وانها تسيطر عليه تماما ! وهى امرأة ذكية الفؤاد و « شاطرة جدا » وواسعة الافق ٠ وهى اذا اقتنعت برأى سارت فيه الى النهـاية ولقـد سـاعدتنى فى عـدة مسـائل فكثيرا ما كنت اذهب لمقابله النحاس باشا فى فندق مينا هاوس اثناء اقامتـه فيه فكانت تستقبلنى وتجلس معى الى ان ينتهى « رفعته » من ارتداء ملابســـه ٠ وكانت تقدم لى القهوة وتتبســـط معى فى الحديث ، وكنت فى بعض الاحيان اتحدث معها فى المسأله او الموضوع الشائك الذى يشغل بالنا والذى جئت اتحدث فيه مع زوجها وكنت ابســـط وجه المصلحة ووجهة نظرنا فكانت اذا اقتنعت برأيى ســـاعدتنى واقنعت زوجها النحاس باشا بأن المصلحة فيما اقوله او اطلبه ٠٠

ومضى حسنين يقول :

ـ ولكن زينب هانم بالرغم من ذكائهـــا فانها امرأة على كل حال ٠ ومن عيوب المرأة انها اذا جرحت فى كبريائها اختـــل ميزانها وحسن تقديرها للامور ٠٠ كنا نتحـدث ذات يوم عن الرتب والالقاب عندما ضحكت وعرضت لما اسمته «رتب الجزم» وهى الرتب التى كان انعم بها جـلالة الملك على الذين تبرعوا لمشروع مقاومة الحفاء ٠٠٠ ثم قالت ان عندها مشروعا تسـتطيع ان تجمع به نصـــف مليون جنيــه ٠ وان هناك اشخاصـــا

مستعدون لأن يتبرع الواحد منهم بعشرة آلاف جنيه .. بس على شرط ان ينعم عليهم برتبة الباشوية .. ولقد سألتها : « زى مين ؟ » فقالت : توفيق مفرج ، وصبحى الشوربجى ، ولكننى آشرت عليها بتأجيل هذا المشروع وان الأفضل عدم الخوض فيه الآن لأن الظروف غير مناسبة .

ولكن زينب هانم لم تستمع لنصحى ومشت فى مشروعها واعلنت عنه فى الصحف وأصبح « مشروع البر » الذى تتولاه زينب هانم حديث الناس فى كل مجلس وناد .. ولقد كنت اوثر — ولمصلحتها هى بالذات — مادامت قد مضت فى مشروعها ان تترك امر التبرعات للجنة منظمة وان يكون هناك بنك يشرف على هذه العمليات كلها .. ولكن زينب هانم والذين معها تركوا الامر فوضى بلا ضابط ولا رقيب ولا حساب .. وازدادت اشاعات السوء انتشارا . ولقد كانت اقاويل الفساد والرشوة واستغلال النفوذ موجودة قبل مشروع البر .. ثم جاء هذا المشروع وضاعف فى انتشارها .. ففيم كان هذا التصرف ؟ ولمصلحة من ؟

ثم استطرد حسنين يقول :

— وفى هذا الجو .. جو الاشاعات والقيل والقال .. والاتهامات التى ترمى من هنا ومن هناك طلبت منى زينب هانم ان يتفضل « جلالة الملك » بحضور الحفلة التى اقيمت لمشروع البر فى دار الاوبرا .. ومن حسن الحظ — حتى لا اصدم بها — كان الملك غائبا عن القاهرة فى رحلة فى سيناء .. ومع ذلك فقد بذلت وساطتى ارضاء لها وحضرت الملكتان فريدة ونازلى الحفلة فى الاوبرا .. وعاد الملك من سيناء .. وعادت زينب هانم تطلب منى ان يحضر الملك حفلة الشاى التى تقيمها فى فندق مينا هاوس ..

وقلت لها ان هذا امر مستحيل بحكم التقاليد .. وحاولت ان اقنعها بأن هذا الامر ليس له سابقة ولكن عبثا ..

قلت لها ان الملك لا يمكنه ان يجلس الى مائدة الشاى وبجانبه حرم رئيس الوزراء الا اذا كانت جلالة الملكة موجودة

وان جلالة الملكة لا يمكنها ان تحضر حفلة يدعى اليها السفير البريطانى وسفراء الدول والوزراء ورجال الدولة ، لان حضورها يكون ثورة على جميع التقاليد ..

ولكن زينب هانم لم تقتنع بحجتى وقالت ان الملك سبق ان حضر حفلة إقامتها هدى شعراوى .. « واشمعنى يحضر حفلة الولية العجوزة الوحشة دى ، ولا يحضرش حفلتى ؟ .. »

قلت لها ان الملك حضر حفلة هدى هانم شعراوى « متنكرا » ـ اى بصفه غير رسمية ـ ولقد منعت الصحف من ذكر خبر حضوره الحفلة .. ومع ذلك فهناك فرق كبير بين الحفلتين ، فحفلة هدى هانم لم تكن شبه رسمية مثل حفلتك .. والملكتان فريدة ونازلى حضرتاها .. واما حفلتك آنت فان لها طابعا رسميا او شبه رسمى .. الى آخره ..

ولكن زينب هانم لم تقتنع واسرتها ضدى فى نفسها .

وذات يوم ارادت ان تضاربنى بعبد الوهاب طلعت باشا وكان هذا ذكاء رخيصا منها..فقد قالت لى : «تعرف مين جانا النهارده ؟ عبد الوهاب طلعت باشا جه علشان يقول لى انه مستعد لاى خدمة ويقدر يعمل لى كل اللى اطلبه منه ولكنى قلت له : ابدآ ، واننى لم اطلب حاجة من حد الا من حسنين باشا بس .. » .

وقال حسنين انه قال مرة لزينب هانم : « قولى بس آنت عاوزه منى آيه وانا أعمله علشان خاطرك .. »

قالت : « عاوزاك تكسر لى ، كذا وكذا ، وكيت » ـ سلسلة من النعوت والشتائم ـ وكانت تقصد مكرم عبيد وسألها حسنين : « وليه عاوزه تكسريه ؟ »

قامت : لانه بيكره الملك ..

ومرة أخرى كان ذكاؤها رخيصا ..

وانصرفت من مقابلة حسنين باشا الى مكتبى ، ومن هناك كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقت معه على أن نتقابل فى المساء فى فندق مينا هاوس ، وكان النحاس باشا يقيم وقتئذ بالفندق المذكور ، وكذلك الاستاذ فؤاد سراج الدين .

وتقابلنا في الموعد المحدد ، وجلسنا الى احدى الموائد الموضوعة حول حوض السباحة ، وتناول فؤاد باشا طعام العشاء ، بينما كنت الخص له دفاع حسنين باشا عن نفسه كما سمعته منه في الصباح ..

ثم قلت - ووافقني هو على رأيي - ان حسنين برىء مما يتهمه به النحاس باشا ، وعلى كل حال اية مصلحة للنحاس باشا في محاربة حسنين ومجاهرته بالعداء ؟ بل هل من المصلحة ان نحارب في جبهتين ؟ جبهة حسنين ومن معه من رجال القصر ؟ وجبهة المعارضة من الاحرار الدستوريين والسعديين ؟ ..

وبعد تناول العشاء قمنا وصعدنا الى غرفة فؤاد باشا وتركني فيها وغاب نحو نصف ساعة لأن « رفعة » الرئيس كان يتناول العشاء مع حرمه زينب هانم والسيدة حماته زوجة عبد الواحد باشا الوكيل .

وعاد فؤاد سراج الدين وصحبني الى غرفة الجلوس في الجناح الخاص الذى كان النحاس يقيم فيه هو والسيدة حرمه .

وكان النحاس باشا متربعا فوق كنبه .. ولاحظت انه مشغول الخاطر معكر المزاج .

وبدأت الحديث فقلت له : ان حسنين صديقى وانا اعرفه جيدا . واستطيع أن أثق فيما يقول لى كصديق . وهو برىء .

وسردت أو حاولت ان اسرد - حجج حسنين ومنها ، ان النحاس باشا ومكرم باشا هما اللذان كانا يرسلان اليه الوسطاء من اصدقائه ..

وهنا قاطعنى النحاس باشا بحدة ، وبدا هو يتكلم ، ولم يترك لى بعدها فرصة للكلام واتمام دفاعى عن حسنين .

والذين يعرفون الرئيس السابق مصطفى النحاس يوافقوننى على انه لا فائدة من مقاطعة « رفعته » اذا اندفع يتحدث ..

وهكذا سكت .... وتركته يتكلم :

قال : هذا غير صحيح فأنا عمرى ما ارسلت له وسطاء ، ربما مكرم هو الذى ارسلهم ، أما أنا فلم ارسلهم ولا مرة واحدة لأننى أكرههم ولا أثق فيهم والذى حدث أننا كنا في مصيف رأس البر فى الصيف الماضى وجاء أحد أصدقاء حسنين يقول لمكرم انه حاضر موفد من قبل الملك لكى يدعونا لمقابلة جلالته ·· وجاء مكرم فقلت له : « يا مكرم بلاش فلان لانى لا أثق فيه » ·

قال : صحيح ·· ولكن ما الضرر ان نسمع كلامه ··

ثم قص رفعته التفاصيل وهى لا تخرج عما سبق ان ذكرته ··

ثم استطرد النحاس باشا يقول :

ـ وسافرت أنا ومكرم الى القاهرة وقابلنى جلالة الملك ولكنه لم يقابل مكرم ، وغضب مكرم وقال : « وعلشان ايه جابونى بقى ؟ يعنى أنا طيشة » · هذه ياسى التابعى هى المرة الوحيدة الى جاءنا فيها صديق لحسنين باشا ·· ولقد جاءنا كما رأيت من حسنين ··

ثم قال بحدة وانفعال شديد :

ـ ده كلام فارغ دول بيلعبوا بالنار ·· هؤلاء العكاريت الى آخره ·· الى آخره ··

وبعد ان هدأ قليلا انتقل الى الحديث عن مقابلة فاروق لمكرم عقب تأليف الوزارة وهى المقابلة التى اثارت شكوك النحاس في مكرم عبيد ولقد سبق ان اشرت الى هذه المقابلة وقلت انها كانت مناورة او مؤامرة من حسنين باشا للتفريق بين النحاس ومكرم ··

وأعود الآن واثبت هنا رواية النحاس باشا نفسه عن المقابلة المذكورة ·

قال : بعد تأليف الوزارة بأيام جاءنى مكرم باشا وقال ان حسنين طلب منه ان يلتمس مقابلة الملك ، وانه ـ أى مكرم ـ قال له ان ليس عنده سبب يبنى عليه طلب المقابلة ·· ولكن حسنين قال له : « فتش على حاجة » واخيرا قال له

مكرم أن عنده رسم الورق الجديد البنكنوت من فئة عشرة قروش ، فهل يطلب المقابلة ليعرضه على الملك ؟ ووافق حسنين ..

ومضى النحاس باشا فى روايته ، وانا اسجلها هنا بحروفها نقلا عن مذكرات مكتوبة .. قال :

- ولما قال لى مكرم هذا رأيت انها حاجة غريبة .. واحسست ان فى الامر شيئا غير برىء ، فقلت لمكرم باشا : « وهو كذلك .. روح .. ولكن كن على حذر .. دول يامكرم عاوزين يفرقوا بيننا ، وابقى فوت على بعد المقابلة أو كلمنى بالتليفون وقل لى الحديث اللى دار فيها .. »

وانتظرته فى المساء .. الساعة التاسعة .. تسعةونصف عشرة ونصف .. وكنت كلما طلبته بالتليفون وجدت نمرته مشغولة .. واخيرا وكانت الساعة منتصف الليل تقريبا دخلت ونمت ..

وفى الصباح احضروا الى « نوتة » أو رسالة منه كان أملاها بالتليفون بعد نومى - أى بعد منتصف الليل ، وفيها يقول ان المقابلة كانت « عال وعظيمة » وانه سوف يقص على التفاصيل بعد عودته من الفشن ..

وفى نفس الصباح قرأت فى احدى الجرائد بيانا لمكرم عن مقابلته للملك .. وهو بيان لا يكتبه سوى عبد ..وماذا يقول الانجليز الآن ؟ امن آجل هذا جاءوا بنا الى الحكم ؟

لقد جاءوا بنا ظنا منهم اننا وحدنا الذين نستطيع الوقوف فى وجه الملك .. فماذا يقولون اليوم بعد هذا البيان الذى لايكتبه سوى عبد ؟

ثم كلمنى مكرم بالتليفون من الفشن بخصوص المسألة اللى كان مسافر من أجلها . وسألته ايه الكلمة اللى كتبتها دى فى الجرايد يامكرم ؟ » فقال : «ايه رأيكفيها ؟ » قلت له:

« زفت وقطران » لما ترجع وأقابلك نتكلم فيها ..

وعاد مكرم وقابلنى ، وقال انه لا يرىرأيى وانه لم يرضررا فى كتابة الكلمة المذكورة لاننا سبق أن كتبنا مثلها وملحنا

الملك بأعظم منها ، فقلت له : « فليكن .. ولكن انا الــذى اكتب وامــدح لا انت لانني انا اقــدر الظـروف . وأنا اذا مدحت فأنا اتقاضى فى مقابل المدح ثمنا .. انا اللى باخـــد من الملك واللى باعامل الملك مش انت .. ولكن قل لى لمـــاذا لم تأخذ رأيى فيها وتستشرنى قبل نشرها ؟ »

قال : « فى الحقيقة حسنين باشا طلب منى بعد خروجى من مقابلة الملك ان اكتب كلمة كويسة عن الملك وأنشرها »

فقلت له : « هذا سبب كـان أدعى لان يحملك عـلى ان تأخذ رأيى وانت دايما تأخذ رايى فى كل مسألة فلمـاذا لم تفعل هذه المرة ؟ هذا سعى للتفريق بيننا وبكره تشـــوف يا مكرم »

ثم قال النحاس باشا انه عرض بلباقة لهذه المســـألة فى اجتمـــاع لمجلس الوزراء وعاتب مكرم ثم قال له امام زملائه الوزراء انه يشفق ان تصبح المسأله مســـابقة او مزايدة بين الوزراء كل واحد منهم يسابق زملاءه الى مدح الملك ويزيد فى المدح عما قاله الذى سبقه ..

ثم انتقل النحاس باشا الى الحـــديث عن اخراج مكرم من الوزارة ، فقال انه كان يعرف قبلها بشهر ان مكرم باشا ينوى ان يجعل من « الاســـتثناءات » ميدانا للمعركة . وانه – اى النحاس باشا – افضى برأيه هذا الى بعض الوزراء فقال لهم : « مكرم مش ناوى يقعد معانا وبكره تشوفوا » .. وان نجيب الهلالى ذهب يومئذ الى مكرم وسأله فى هذا فأنكر مكرم ان فى نيته شيئا من هذا واكد اخلاصه للنحاس . وتضـــامنه مع زملائه اعضاء الوزارة ، ولكن النحاس باشا ظل متمسكا برأيه وهو « ان مكرم مش ناوى يقعد معانا »

الى ان كانت مســـألة الاستثناءات التى كان رئيس الوزراء والوزراء طلبوها لعدد كبير من الموظفين الوفديين ومن الانصار والاقارب والمحســـوبين .. وهنا اخذ وزير المالية مكرم عبيد يسوف ويماطل فى الرد على طلبات النحاس والوزراء . وكان – عندما يعجله النحاس باشا بالرد – كان يقول له : « طول

بالك شـــــوية لان اللجنة المالية بتعارض وانا باعمل جهدى علشان اقنعها بالموافقة » ..

ومضى النحاس باشا فى حديثه يقول :

ـ ولكننى قلت له . المهم ان ترســـلوا لنا ردكم ايا كان بالموافقه او الرفض مش مهم .. بس ردوا علينا لان الحـركة واقفة ، وهناك حركة اخرى سوف تتلو هذه الترقيات المطلوبة ومش ممكن عملها الا بعدها .. واخيرا جاء رد اللجنة الماليـة وقال مكرم انه لم يكتبه وان اللجنة المالية هى التى كتبته .. وفى جلسه مجلس الوزراء التى عرضت فيها مذكرة اللجنـــة المالية بعدم الموافقة على الاســـتثناءات المطلوبة ـ وقد رفض المجلس هذه المذكرة ـ قال مكرم انه لا يرتب اية نتيجة عـلى رفض مجلس الوزراء مذكرة اللجنة المالية ، وانه يضع استقالته تحت تصرفى ، ولكننا تصافينا فى الجلســـة ، وعند مغادرتنا لقاعة اجتماع مجلس الوزراء دعانى لتناول الغداء معه فى داره ولكنى اعتذرت بمرضى واننى اتناول ادوية معينة لم تكن معى ، وقلت له : اننى سوف اتناول الغداء عنده فى فرصه اخرى .

ولكن مكرم ـ وقد كنا تصـــافينا كما قلت ـ نشر مذكرة اللجنة المالية بقصد التشنيع على وعلى اقاربى ولكى يحرجنى ويحرج زملاءه الوزراء امام الرأى العام ، وهنا رأيت ان التعاون بيننا لم يعد ممكنا وقررت اخراجه من الوزارة ومن منصـب سكرتير الوفد ، لان دى مسألة ثقة وتعاون بين رئيس الوفد وسكرتير الوفـد ، ولكن ليس فى نيتى اخراجـه من هيئـة الوفد او من الهيئة الوفدية ، وارسلت اليه عثمان محرم باشا بصفته اقدم الوزراء لكى يذكره بوعده ويطلب منه ان يستقيل .. ولكن مكرم لم يكد يرى عثمان باشا حتى صـــاح : « انا عارف انت جاى ليه ، لكن مش راح استقيل ، وخلى النحـاس يقيلنى اذا كان يقدر » .

ومعنى هذا ان مكرم كان واثقـــا من مركزه ، وكان يعرف مقدما ومن حسنين و « شلته » ان الملك سوف يرفض ان يقيله من الوزارة ..

ثم انتقل النحاس باشا بالحديث الى مقابلته لفاروق في يوم الثلاثاء ٢٦ مايو عام ١٩٤٢ ·

ولقد تمت المقابلة المذكورة بينما كان مكرم باشا جالس في احدى غرف القصر ينتظر دوره للمقابلة « الملكية » ولكن النحاس باشا لم يكن يعرف ان مكرم موجود في السراى وانه سيقابل الملك ·

قال النحاس عن مقابلته لفاروق :

ـ ولما قابلت الملك التمست منه اقالة مكرم وشرحت لجلالته حكم الدستور في هذا الشان وكذلك حكم السوابق الدستورية ومنها اقالة عبد العزيز فهمي باشا ولكن جلالته قال : « لا ·· لا ·· بلاش السابقة دى ·· شوف لنا يا مصطفى باشا طريقة ثانية غير الاقالة » ·

قلت لجلالته : حسنين باشا هو اللى تخن ودن مكرم علشان بعت له مع حسن الاعور يطلب منه الا يستقيل ، فقل جلالتك لحسنين باشا ان يطلب من مكرم ان يستقيل او احسن من كده يبعت يجيبه في السراى ويطلب منه باسم جلالتك ان يستقيل ·· فقال الملك : دى فكرة عال ولكن نفرض ان مكرم رفض ان يستقيل يبقى الحل ايه ؟ اظن الاوفق يامصطفى باشا ان تقدم استقالة الوزارة ، وانا اعدك ان خطاب التاليف بتشكيل الوزارة يصلك في نفس اليوم ·

ومضى النحاس باشا في روايته فقال :

ـ ولما رآني الملك ترددت قال : « والا انت خايف مني ومش واثق في كلامي » ، واسرعت اقول له : معاذ الله يا مولانا ، وانا اؤكد لمولاى انني لم اقبل الوزارة الا أجابة لرغبتك ورغبة مني في خدمتك وانا الآن احترق بالنار في كل يوم ولا أنام الليل ، وثق يا مولاى ان اهنأ يوم في حياتي هو يوم يقبل جلالة الملك استقالتي ويعفيني من اعباء الوزارة وانا مريض وصحتي متعبة ·

وقال فاروق : لو تعلق الأمر بصحتك فقط لما كان هناك مانع من اعفائك من اعباء الحكم ، ولكن الظروف لاتسمح ·

ثم قال النحاس باشا ان مكرم قال لبعض الشيوخ والنواب الذين زاروه آنني ـ اى النحاس ـ طلبت من الملك اقالته وان الملك رفض ٠٠ فمن الذى اخبر مكرم بهذا وبما دار بين الملك وبينى ٠٠ لازم يكون حسنين باشا ٠٠ وهى مؤامرة بينه وبين مكرم ٠

وأصبحت وكلمت حسنين باشا بالتليفون ، قلت له : « النحاس باشا هايج جدا ويصر على اتهامك انت وبعض اصدقائك بكذا وكذا » ٠

واحتد حسنين باشا ، ولعلها كانت المرة الوحيدة التى سمح فيها لنفسه بأن ينفعل وأن يحتد ، ولعله خشى العاقبة ، وأشفق من محاربة النحاس باشا له وقد كان يعرف ان مركز النحاس يومئذ كان قويا مؤيدا ، وانه اذا ركب النحاس رأسه وأعلن الحرب على حسنين وقال مثلا : «اما انا ٠٠ واما حسنين» فقد يتدخل الانجليز مرة اخرى وقد يسفر تدخلهم عن نتائج لا تسر رئيس الديوان احمد محمد حسنين ٠

ومن هنا بدا الانفعال واضحا فى صوت حسنين وهو يقول: « شوف يامحمد ، انا زى ماقلت لك ، لا يد لى فيما حدث ٠ وليس فى برنامجى أن احارب النحاس باشا ، ولكن اذا كان عايز يهاجمنى فسوف اضطر آن اشب على قدمى وأرد الضربة ضربتين ٠٠ »

ثم تواعدنا على اللقاء فى بحر الأسبوع على ان آكلمه بالتليفون قبلها ٠

ووجدت ان الحالة خطيرة وأن الشد من الطرفين قد يؤدى الى قطيعة او ينتهى باصطدام ، وكلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وقلت له : ان مقابلتى مع النحاس باشا مساء امس لم تنته الى النتيجة التى كنا نرجوها ، واننى اضطررت الى التظاهر بالموافقة على رأيه لأنى ادركت ان لافائدة من مناقشة « رفعته » وقلت :

ـ وانت تعرف النحاس باشا وتعرف عناده وانه اذا انطلق فى حديث فليس هناك من يستطيع أن يقاطعه او يوقفه ، وانا فى الحقيقة لا اوافقه على رأيه فى حسنين ، وبعد ، هل

من حسن السياسة مبادرة حسنين بالعداء ؟ فأرجوك يا باشا أن تعمل من ناحيتك على اقناع النحاس باشا بهذا الرأى .

ووافقنى فؤاد سراج الدين وقال انه يفكر فى دعوة النحاس باشا والسيدة حرمه وحسنين باشا لتناول العشاء معه فى داره .. ولعل هذا الاجتماع العائلى يساعد على تهدئة الجو بين الطرفين .

ومر يومان او ثلاثة ، ولما لم آتصل بحسنين بالتليفون كما كنت وعدته سأل عنى هو مرتين وزرته فى داره صباح السبت وقلت له آن فؤاد سراج الدين يفكر فى دعوتك مع النحاس باشا لتناول العشاء فى داره ، فقال انه يفضل ان يبدأ هو بدعوة النحاس باشا والسيدة حرمه لتناول الغداء او العشاء معه .. ثم عاد وقال :

ـ الافضل ان تتناول الغداء معى انت وفؤاد باشا اولا ..

وقمت الى التليفون وكلمت فؤاد باشا واتفقنا على ان نتناول الغداء مع حسنين باشا بعد غد اى يوم الاثنين .

وجلسنا حول مائدة الغداء فى دار حسنين باشا بميدان عبد المنعم بالدقى .

وانقل هنا ـ بشىء من الايجاز ـ ما دونته يومئذ فى مذكراتى بتاريخ الاثنين ٨ يونية عام ١٩٤٢ :

قص علينا فؤاد باشا ـ ويظهر انه كان اعد مقدما حديثه ـ قص علينا بوادر الخلاف بين النحاس ومكرم ولو اننى اعتقد ان هذه الحكاية لم تكن اول بادرة من بوادر الخلاف .. قال :

ـ ذات يوم وكان النحاس باشا لايزال يقيم فى الباخرة محاسن .. قالت زينب هانم للأستاذ قاسم جودة الذى كان يزورها كلاما كثيرا معناه آنه وغيره من الصحفيين يسرفون فى الكتابة عن مكرم باشا وعن حركاته وسكناته بينما رئيس الوزراء نفسه وبقية الوزراء لايكتب عنهم نصف ما يكتب عن مكرم عبيد .

ويظهر ان الاستاذ قاسم جودة ابلغ مكرم باشا ما قالته زينب هانم لأن مكرم ذهب وقابل النحاس باشا وقال له ان زينب هانم تسىء اليه وتطعن فى حقه وعاتبه فى هذا .. وقال

له النحاس باشا انه يستبعد صحة الخبر وسأله عن اسم الذى ابلغه هذا ، ولكن مكرم رفض ان يبوح باسمه .
وأبلغ النحاس باشا السيدة زوجته ان مكرم عاتب عليها ، وروى لها ما سمعه منه ، وكانت السيدة مريضة فى فراشها ، ولكنها كلمت مكرم بالتليفون وطلبت منه ان يزوورها ففعل .
ولما دخل عليها قالت له ان مصطفى باشا ابلغها عتابه ولكنها تنكر انها طعنت فيه او اساءت اليه فى اى حديث لها ، وسألته عن اسم الذى نقل اليه هذه الرواية فقال : « شخص اثق فيه كل الثقة وهو لايكذب » ، ورفض ان يذكر اسمه .
وطال الحديث والعتاب ، وبدرت من مكرم باشا هذه العبارة : « يظهر انك خايفه على مركز جوزك منى » .
وهنا انتفضت زينب هانم غاضبة وصاحت بصوت عال : « منك انت .. أخاف منك على مصطفى النحاس ؟ ايه اللى تقدر عليه ؟ تقدر تعمل رئيس وزارة لكن هل تقدر تكسب الزعامة او الحب الذى تكنه الامة لمصطفى النحاس ؟ جوزى هو اللى خلقك ؟ » .
وقال مكرم : « اللى خلقنى ربما مش جوزك .. وانا اللى كونت نفسى بجهادى وتضحياتى » .
وكان النحاس باشا قد آثر ان يترك مكرم باشا وزينب هانم وحدهما يتعاتبان ، ولكنه اقبل على صياحهما ، فوجد زوجته تبكى غيظا وغضبا ، ولما سأل عن السبب التفت الى مكرم وقال : « انت غلطان ، قوم بوس راس اختك وصالحها » ، وقام مكرم وقبل رأسها ويدها .. وتصالحا وتصافيا .
ثم قال فؤاد باشا ان زينب هانم اتفقت مع النحاس باشا على كتمان هذا الحادث عن جميع الناس حتى انه لما ذهب نجيب الهلالى باشا واحد الوزراء الى والدها عبد الواحد الوكيل لكى يوسطاه فى الصلح بين ابنته ومكرم باشا ، وجدا ان الرجل لم يكن يعرف شيئا مطلقا ولم يكن قد سمع اى شىء مطلقا عن وجود اى خلاف او سوء تفاهم بين ابنته زينب هانم ومكرم عبيد .
ثم قال فؤاد باشا : ولكن مكرم خرج يقول لاصدقائه ان زينب هانم شتمته واهانته .

ثم انتقل فؤاد باشا سراج الدين الى نقطة اخرى فقال ان النحاس باشا كان قال للوزراء قبلها بشهر : ان مكرم باشا مش ناوى يقعد معانا ، وانه سوف يختار ميدان المعركة حول الاستثناءات ·

وأنكر الوزراء على رفعته هذا القول وذهب نجيب الهلالى الى مكرم وسأله فى هذا فأنكر وأكد أن لاشىء من هــــذا يدور بخاطره ، وأكد مرة اخرى اخلاصه وولاءه لمصطفى النحاس ·

ولكن النحاس أصر على رايه أواتهامه الاخلاص مكرم وان الاستثناءات هى الميدان الذى سوف يختاره لمهاجمة الوزاره ·· ثم قال النحاس : « وبكره تشوفوا ، وانا اقبل منازلته فى الميدان الذى يختاره »

وتحدث فؤاد سراج الدين بعــد ذلك عن وزارة التموين والخلاف الذى كان ناشئا بســببها وانكــر على مكــرم عبيــد دعواه ، وهى انه فوجىء بها فى خطاب العرش ، وقـــال ان الحديث فى اعادة الوزارات الثلاث دار فى احــدى جســـات مجلس الــوزراء وان مكــرم عـــارض بشــدة فى ســحب وزارة التموين منه ولكن النحاس باشا اقنعه بضرورة تخليه عن الوزارة المذكورة ، وهنا تظاهر مكرم بأنه قد اقتنــع ، وبعدئذ طلب مكرم تأجيل تعيين وزير لوزارة التموين لمدة شهر واحد فأجابه النحاس باشا الى طلبه ·

وكان المفهوم ـ بل والمتفق عليه ـ ان يتقدم مكرم بعــد انتهاء الشهر ويقول ان صحته متعبة وانه لايستطيع القيام بأعباء العمل فى وزارتى المالية والتموين ومن ثم فهو يرجــو اعفاءه من منصبه وزير التموين ·· وكــان هــذا هــو المتفق عليه ـ وهكذا ينقذ المظاهر امام الناس ويعتقد الجميع انه ـ أى مكرم ـ هو الذى تخلى بمحض ارادته عن وزارة التموين ، ولكن الشهر الذى كان طلبه انقضى ولم يحرك مكرم ســاكنا وبقى محتفظا بالوزارتين : المالية ، والتموين · وكان النحاس باشا قد وعد الملك بتعيين وزراء للوزارات الثلاث فى بحر اسبوعين ·

واستدعى النحاس باشا مكرم وسأله : متى يعلن رغبته فى ترك وزارة التموين ؟

وقال مكرم : انه لن يترك وزارة التموين .
وقال له النحاس : ازاى يا مكرم ؟ واقول للملك ايه ؟ اقول له أنا كذاب ؟ فأجابه مكرم : لا .. قل له أنا اللى كذاب . !
وبعدها انتقل فؤاد سراج الدين الى الحديث عن البيان الذى قدم به مكرم الميزانية فقال ان البيان المذكور كان مفاجأة للنحاس وللوزراء لأن مكرم باشا لم يكن قد أطلع عليه أحدا منهم مع أنه تعرض فى البيان لكل وزارة ولعمل كل وزير ، وارتبط فى هذا البيان أمام البرلمان بوعود لا يرجع أمر تحقيقها اليه وحده بل يعود الى الوزارة كلها والى جميع الوزراء مثال ذلك انه أعلن فى بيانه ان ثمانية أوامر عسكرية سوف تصدر من الحاكم العسكرى العام ـ وهو النحاس باشا ـ فى مسائل كذا وكذا وكيت فهل كان سأل الحاكم العسكرى أولا عن رأيه قبل اعلان النبأ امام البرلمان ؟
وأعلن كذلك فى بيانه ان قوانين كذا وكذا سوف تصدر فهل كان سأل الوزراء المختصين عن رأيهم .. مثال ذلك وهو أمر سبب حرجا كبيرا للوزارة .. أنه أعلن فى بيان الميزانية ومن غير أن يستشير زميله وزير العدل ان البيوع الجبرية سوف توقف .. وصفق البرلمان طويلا لهذا النبأ .

ولقد حدث بعد أيام معدودة من القاء البيان انه كانت هناك بيوع جبرية فى المحاكم المختلطة ، واستند المدينون الذين سوف تباع أملاكهم الى ما جاء فى بيان وزير المالية أمام البرلمان .. ولكن المحاكم المختلطة قالت ان بيان الوزير لا يربطها لأن ما جاء فيه لم يصدر به قانون .

وفزع المدينون الى وزير العدل ، وكان أن اضطر الوزير ـ صبرى ابو علم ـ الى ان يتصل بالنائب العمومى لدى المحاكم المختلطة وبصفة شخصية ودية ويرجوه ان يتدخل وينقذ الوزارة من هذا الحرج .
واتفق الرأى على أن يحضر وكلاء النيابة جلسات البيوع الجبرية ويطلبوا التأجيل للاطلاع .. الى ان يصدر القانون المطلوب .
وقال فؤاد باشا ان بيان مكرم كان طويلا ، وكان النحاس

يتململ ويظهر ضجره وامتعاضه من بعض ما جاء فى البيان ولما طال القاء البيان وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساء الى الحادية عشرة ٠٠ هم النحاس باشا بمغادرة الجلسة « مجلس النواب » ولكننى ـ فؤاد سراج الدين ـ همست فى أذنه أنه لا يليق أن يغادر الجلسة قبل أن ينتهى مكرم من القاء بيانه ، وجلس ٠

ولما انتهى مكرم من القاء البيان قام اليه النحاس باشا من باب المجاملة ـ وقبله وقال له : « برافو يا مكرم » فكانت تحية بل ومجهودا يشكر عليه النحاس باشا ٠

ومضى الاستاذ فؤاد سراج الدين فى روايته فقال :

ـ وفى صباح اليوم التالى استدعى النحاس باشا مكرم وعاتبه على ماجاء فى بيانه من وعود وعهود قيد بها الوزارة من غير أن يستأذن أو يستأنس برأى أحد من زملائه الوزراء ، فضحك مكرم وقال له :

ـ نبقى خالصين ٠٠ زى حكاية وزارة التموين فى خطبة العرش ٠

أى ان هذه مفاجأة لكم ، وتلك كانت مفاجأة لى ٠

ثم تكلم فؤاد سراج الدين عن مذكرة اللجنة المالية عن الاستثناءات التى كانت السبب المباشر فى اخراج مكرم من الوزارة فقال ان النحاس ـ كما سبق الذكر ـ كان يعرف ان مكرم سوف يختار هذا الميدان بالذات فكان يستعجله رد اللجنة المالية على طلبات الترقية المطلوبة فى وزارة الداخلية وكان مكرم يقول انها لاتزال قيد البحث و « طول بالك يا باشا لأنى الاقى صعوبة مع اللجنة المالية » ٠

وأخيرا قال له النحاس باشا : « ردوا علينا كما تريدون المهم ابعتوا ردكم بالرفض أو الموافقة علشان نقدر نتصرف » ٠

وأخيرا جاءت المذكرة ٠

وكانت جريدة المقطم فى مساء الاربعاء ، وجريدة الأهرام فى صباح الخميس قد اشارتا الى هذه المذكرة المقدمة من اللجنة المالية انها تتضمن رفض الموافقة على الترقيات والاستثناءات المطلوبة وقد اغضب نشر الخبر النحاس باشا ٠

وكان الجـــو مكهربا ، وكنا جميعا نخشى من الانفجار ٠٠ وتحدث بعض الوزراء فى هذا المعنى مع مكرم فأكـد لهـم ان المسألة مسألة « روتين » وان ليس فى نيته أى شىء خبىء ٠
ودخل الوزراء قاعة اجتماع مجلس الوزراء وقلوبهم واجفة وما دار فى الجلسة المذكورة مدون فى محضر الجلسة الذى نشر ببلاغ رسمى ٠

ولقد تصافى النحاس ومكرم فى ختام الجلسة « وقد رويت التفاصيل » وظن الوزراء ان الجو صفا ٠
ولكن خاب ظننا فقد ذهب مكرم بنفسه الى جريدة المصرى ومعه مذكرة اللجنة المـــالية يطلب نشرها ٠٠ ويلح ويتوعد ويهدد اذا لم تنشر ٠

وكان النحاس باشا قال أثناء جلســة مجلس الوزراء التى عرضت فيها المذكرة ان مذكرة اللجنة المالية هذه مقصود منها التشـــنيع عليـــه بالذات!فقال لـــه مكرم : « لـــو كنت عاوز يا باشا أشنع عليك كنت نشرت الامثلة والاسماء » ٠

وهاهو قد نشر فعلا الامثلة والاسماء فى المذكرة التي نشرت بجريدة المصرى فى يوم الســبت التالى لانعقاد جلسة مجلس الوزراء ٠٠ وهكذا سقطت حجة مكرم فى عـــــدم رغبته فى التشنيع على مصطفى النحاس ٠

وانتهى فؤاد سراج الدين من حديثه الذى لخص فيه أسباب الخلاف بين النحاس ومكرم ٠
وبدأ حسنين باشـــا حديثه أو دفاعه عن نفســـه ، وعن سياسته فاستهل كلامه بعبارته « الاكلشيهية » المعروفة وهى أنه لا يشتغل بالسياسه ولا يفهم فى السياسة وقال ـ وهـو يلتفت الى ـ كأنه يستشهد بى :

« ومحمد يعرف كده ! ٠٠ مش كده يا محمد ؟ » ٠

وابتسمت وقلت : بقى اسمع ما تحرجنيش وبلاش اسئلة علشان ما تسمعش منى أجوبة صريحة ٠
وضحك ٠٠ وضحكنا ٠

وبدأ الحديث ورواية التاريخ منذ عام ١٩٣٧ ، وكيف أنه كان زاهدا « كذا » في منصب رئيس الديوان وكيف ان الملك ارغمه على قبول هذا المنصب في عام ١٩٤٠ !

ثم شرح سياسته ، وقد سبق ان أفضت فيها وفي شرحها ، ولكنني أعود فألخص هنا حديثه فيما يلي :

قال :

١ ـ ان سياسته قائمة على ان الاغلبية ـ وهي الوفديين ـ تحكم ، وهذه سياسته منذ أن ولى رئاسة الديوان أى منـــذ عامين ٠

٢ ـ انه عمل ومن قبل أن يلي الوفديون الحكم عـــلى اقناع الملك بأن الوفديين قد سالموه ، لا طمعا في الحكم وانما اعترافا منهم بخطئهم في الماضي « أى في وزارة ١٩٣٧ » ٠

٣ ـ انه صارح حسين سرى والدكتور هيكل والسعديين بأن سياسته تقوم على أن يتولى الوفديون ـ وهم الاغلبية ـ الحكم بينما الاحرار الدستوريون والسعديون يقومون بمعارضة قوية نزيهة ٠

٤ ـ أسهب في ذكر الخدمات التي أداها للوزارة الوفدية منذ تولت الحكم في شهر فبراير الماضي ، وتحدث عن الصـــعاب العديده التي ذللها من طريق الوزارة ٠

٥ ـ أفاض في وصف اعجابه بذكاء وظـــرف زينب هانم الوكيل ٠

٦ ـ قارن بين الاشاعات السخيفة والتي لا يقوم دليل واحد على صدقها ٠٠ وهي الاشاعات التي يسمعها النحـــاس باشا ضده ـ ضد حسنين ـ وبين هذه الخدمات والحقائق البارزة التي دلل بها على حسن نواياه نحو النحاس باشا ٠

هذه هي خلاصة حديث أو دفاع حسنين أجملتها في عبارات أو عناوين ٠٠ ولكنني أحب ان أذكر « طـــرائف » جاءت في التفاصيل التي لم اذكرها ٠

كان حسنين عرض في حديثه لمشروع البر والحفـلات التي اقامتها زينب هانم للمشروع المذكور وقال ان فاروق لم يحضر الحفلات المذكورة حرصا على التقاليد ٠

وهنا قلت أنا انه لو كان الملك حضر حفلة الشاى فى فندق ميناهاوس وجلس الى جانب زينب هانم حرم رئيس الوزراء لكانت الخطوة الثانية المنطقية ان تدعى حرم رئيس الوزراء وزوجات الوزراء الى حفلات السراى الرسمية وكن يومئذ يختلطن بالمدعوين من سفراء ووزراء ‥ وهذا خرق للتقاليد ولكننا سوف نصل اليه قريبا وبالتدريج ٠

وهنا قال حسنين ان الملكتين نازلى وفريدة تقولان انه لم تبق فى مصر سيدة تلبس « اليشمك » سواهما ‥ وان اللى عاوز يتفرج على حاجة انتيكة فى مصر يروح يتفرج عليهما وهما « باليشمك » ٠

ولقد عرض حسنين أثناء حديثه الطويل لعلى ماهر وذكر رأيه فيه وفى سياسته وقد عرضت لهذا كله ٠

وكان مما قاله ان السيد على ماهر لم يهنئه على تعيينه رئيسا للديوان ، ولكنه أرسل اليه الاستاذ ناصر شاويش يقول له : « ان على ماهر باشا لم يحضر لتهنئتك لأنه مش عاوز ييجى السراى خوفا من أن يرى وجه عبد الوهاب طلعت » ٠

ثم قال حسنين : ولقد كان عبد الوهاب طلعت الذراع اليمنى لعلى ماهر ‥ ولكنه ــ بعد خروج على ماهر من رياسة الديوان ومن الوزارة ــ راح يطعن فيه ويشهر به أمام جميع الكبراء الذين كان يلقاهم ٠

ثم ذكر لنا حسنين كيف ان على ماهر ــ بالرغم من ذلك وبالرغم من طعن وتشهير عبد الوهاب طلعت ــ كان لا يتردد فى الاستعانة بعبد الوهاب طلعت ــ على الدس لحسن صبرى لدى فاروق حتى ان حسن صبرى ــ رحمه الله ــ مات محصورا مجزورا من على ماهر ٠

وقد قال حسنين هذه العبارة وهو يمر بيده على رقبته ليرينا كيف ذبح على ماهر المرحوم حسن صبرى باشا ٠

وروى لنا تفاصيل آخر دسيسة أو الدسيسة التى قضت ــ فى زعمه ــ على حياة حسن صبرى باشا ــ رحمه الله ٠

قال : حدث قبل افتتاح الدورة البرلمانية فى نوفمبر عام ١٩٤٠ « وكان حسن صبرى باشا رئيسا للوزارة » ان ذهب

اليه أحد الوزراء وهو الدكتور عبد الحميد بدوى باشا واقترح عليه مراعاة لظروف الحرب الاقتصاد فى مظاهر الابهة والفخامة والبهرج والمركب الملكى والزينات والاعلام .. الى آخره وان يكتفى بأن يلقى رئيس الوزراء ـ أى حسن صبرى ـ خطبة العرش بالنيابة عن الملك ومن غير حضور الملك .

وسرعان ما طار خبر هذا الاقتراح الى السراى ودخل على فاروق من صور له الأمر على أنه خيانة عظمى « لصاحب الجلالة » .

وأصبح حسن صبرى متهما بالخيانة العظمى ، ولكن عبد الحميد بدوى ذهب الى حسنين وقال له فى صراحة تامة انه هو صاحب الاقتراح وان حسن صبرى لم يقبل اقتراحه على علاته بل طلب منه ان يتحدث فيه مع رئيس الديوان .

وعرف فاروق ان حسن صبرى مظلوم .. فقلده بيده وقبيل حفلة افتتاح الدورة البرلمانية الوشاح الاكبر من نيشان محمد على .

وتوفى حسن صبرى بعد ذلك بخمس وعشرين دقيقة .

وكان الساسة من خصوم الوفد ومصطفى النحاس يرون أن رئيس الديوان احمد محمد حسنين لم يعرف ان ينتهز فرصة هذا الخلاف الذى نشب فى صفوف الوفد وفرق بين رئيسه مصطفى النحاس وسكرتيره العام مكرم عبيد .. وانه كان من واجب حسنين باشا ان ينتهز الفرصة ليطوح بالوزارة كلها وينتقم لحادث ٤ فبراير .

وكان من بين أصحاب هذا الرأى السيد على ماهر باشا الذى كان معتقلا يومئذ فى السرو .. فقد قابلت أحد اصدقاء على ماهر فى جريدة الاهرام وقال لى : ان محمد على ماهر زار أباه على ماهر فى معتقله بالسرو وقد وجد أباه مسرورا جدا من تطور الحوادث ـ أى من الخلاف الذى وقع فى صفوف الوفد ـ وقد قال له أبوه على ماهر باشا : « لو كنت اليوم رئيسا للديوان لكنت طيرت مصطفى النحاس من الوزارة فى ٢٤ ساعة .. ولكن فى رئاسة الديوان دلوقت واحد خرنج » .

و « حرنج » معناه عبيط او معتوه ضعيف . وكان يقصد حسنين باشا ·· وكان من راى على ماهر باشا انه كان يجب على « الحرنج » احمد حسنين ان يشير على الملك فاروق يوم قدم اليه النحاس باشا استقالة الوزارة باستدعاء زعماء الوفد ـ وزعماء الاحزاب الاخرى ـ لاستشارتهم في الموقف على اساس ان هناك انشقاقا فى الوفد وهو الهيئة التى تستند اليها الوزارة فى الحكم ·· ثم يشير على الملك باخراج النحاس ومكرم معا من الوزارة ·

ولكن « الخرنج » لم يعرف كيف ينتهز هذه الفرصة ، وقال لى صديق على ماهر باشا انه يقول كذلك : « التابعى كف عن الكتابة عنى لانه أحس بأن الرأى العام معى » ·

وقلت أنا : « كلا ·· لقد كففت عن الكتابة عن رفعته لا لأن الرأى العام معه كما يقول ·· بل لأنه معتقل الآن ولا حول له ولا قوة » ·

وفى مقابلة اخرى قال لى بعض اصدقاء على ماهر باشا انه يشكو من آلام شديدة في اسنانه وانه يصرح احيانا من شدة الألم ويقسم على أنه سوف ينتقم من مصطفى النحاس الذى اعتقله ويعلن انه سوف يحاكمه أمام محكمة عسكرية بتهمة الخيانة العظمى وان المحكمة سوف تحكم على مصطفى النحاس بالاعدام ·

وكانت الاشاعات الذائعة يومئذ فى دوائر القصر بين أنصار واصدقاء على ماهر ان رفعته هو المرشح الوحيد لرياسة الوزارة بعد دخول جيوش المحور مصر ·· وهزيمة الجيش البريطانى وانسحابه من مصر ·· وكان الرأى السائد يومئذ ان الانجليز لابد مغلوبون على أمرهم وان روميل سوف يدخل مصر ·

الماريشال روميل
على أبواب مصر

وكان روميل قد بدأ يتحرك في شهر يناير .

ومضت المعارك مائعة بقية فصل الشتاء ، فلما أقبل الربيع بدأت الحالة تتطور بسرعة في مصلحة جيش المحور - المانيا وايطاليا - وضد صالح بريطانيا وحلفائها .

ومنى الجيش البريطاني بسلسلة من الهزائم ، لعل أشدها وأخطرها كانت معركة جسر الفرسان التي خسر فيها الجيش البريطاني معظم دباباته وانسحب تاركا الطريق مفتوحا أمام الماريشال روميل .

وأحس كل من في مصر ان الحالة خطيرة جدا .. فقد سقطت طبرق الحصن المنيع بدون مقاومة تذكر .. ومن بعدها سقطت الضبعة .. واحتل الجيش الالماني السلوم .. وزحفت طلائعه نحو مرسى مطروح .. والاسكندرية .

وفي صباح السبت ٢٧ يونية ١٩٤٢ - وكانت الشائعات المزعجة تملأ البلد - زرت حسنين في داره فلم أجده .. وقيل لي انه ذهب يعود ابنه هشام في المستشفى فقد أجريت له عملية الزائدة الدودية .. وانتظرت حتى حضر حسنين وقلت له انني سألت هذا الصباح وزير العدل صبري باشا أبو علم عما اذا كان النحاس باشا قد أبلغ جلالة الملك تطورات الموقف في الصحراء الغربية وأعطاه صورة صحيحة عن الحالة ، أم تركه يستقي الاخبار من الخارج كما حدث يوم اغلاق الحدود .. وهل هو مثلا أبلغ الملك تفاصيل مادار في الاجتماع الذي عقده « رفعته » في يوم الاثنين الماضي ٢٢ يونية مع السفير مايلز لامبسون والجنرال ستون ؟ وان صبري أبو علم باشا قال لي : ان النحاس باشا قد أدى في هذه المرة واجبه وانه أبلغك - انت يا حسنين باشا - كافة التفاصيل .

قلت هذا لحسنين فابتسم بمرارة وقال : أبدا !

ثم مضى يقص على التفاصيل .. قال :

ـ عرفت ان النحاس باشـــا عقد اجتماعا مع من ذكرته وانتظرت ان يتصل بى فور انتهاء الاجتمـــاع ولكنه لم يفعل ومضى العصر ‥ ثم المغرب ‥ وأقبل الليل ورفعته لم يتصل بى ‥ وسألنى الملك : « هل اتصل بك رئيس الوزراء ؟ فقلت كلا ‥ ولعله يجمع الاخبار والتفاصـــيل وكل مايمكن جمعه لكى يعطينا صورة كاملة عن الموقف » .

ولكن هذا كان فى الحقيقة اعتذارا منى عن النحاس باشا لأننى كنت انتظر ان يتصـــل بى ويطلب مقابلة الملك لكى يبلغه ما حدث . ولكن الذى حدث أن رفعته اصدر بلاغا رسمياً عن الاجتماع المذكور ‥ ونشرت الصحف البـلاغ ‥ وكان ذلك قبل ان يطلع الملك على شيء ما » .

وهكذا قرأ الملك البلاغ الرسمى فى الصـــحف مثل سائر الناس ‥ ومضى حسنين باشا فى روايته يقول :

« وفى صباح اليوم التالى لم أستطع صبرا ، والواقع اننى اهملت أو تهاملت فى أداء واجبى كرئيس للـــديوان لأنه كان على أن أتصل بالنحاس باشا قبل ذلك واســـأله ‥ ولكننى راعيت الذوق الحسن فلم أفعل ‥ ولكنى وجدت أنه لم يبق موجب للذوق ‥ فكلمت بالتليفون امين عثمان باشا وبسطت له وجهة نظرى ‥ وبعدها بقليل اتصـــل بى النحاس باشا وقال لى : « انت فين ؟ انا بافتش عليـك » ‥ وكلمنى كلاما عموميا عن الحالة ، وانها مطمئنة ‥ وسألنى اذا كنت أريد أن اقابله فقلت له : نعم أحب أن أقابل رفعتك ‥ قال : « بس أنا عندى برلمان النهاردة » قلت له «اذن ففى أى وقت يناسبك» ثم حدثنى عن البيان الذى سيلقيه فى البرلمان وسألنى : هل يرســل لى نســخة منه . فقلت : « وأكون شـــاكرا لو فعلت . »

« وهكذا انتهى حديث النحاس باشا معى بالتليفون وبعدها بقليل كلمنى أمين عثمان بالتليفون وقال لى . « انت مش عايز تقابل النحاس باشا ؟ » فقلت له . « ازاى ؟ بالعكس ‥ أنا عاوز اقابله . قال «هوه فهم كده» . فقلت : « فهم غلط ‥ وأنا غايته أحببت أن لا أربطه بموعد أو ميعـــاد وتركت له اختيار الوقت المناسب » .

واتفقنا على موعد المقابلة ثم أبدى حسنين باشا رأيه فى البيان الذى ألقاه النحاس باشا فى البرلمان فقال أنه فيما عدا ثلاث أو أربع نقط فى البيان المذكور يبدو كأنما قد كتب فى السفارة البريطانية . وانها لعجيبة أن يقول النحاس باشا فى بيانه انه مطمئن ، بينما الانجليز أنفسهم يسمون ما حدث « كارثة » ويصفون الحالة بأنها خطيرة وجرائد اليوم تقول نقلا عن جرائد لندن ان الزحف الالمانى لو أوقف يكون هبة من الله .. ومع ذلك فان النحاس باشا يقول : انه مطمئن ! .

***

ولم يقل النحاس باشا فى أول الامر لحسنين أكثر مما جاء فى البيان الذى ألقاه أمام مجلسى البرلمان وهو ان الحالة مطمئنة وان الانجليز سوف يدافعون عن مصر .. الى آخر مدى .. ولقد حاول حسنين أن يعرف من النحاس باشا حدود « هذا المدى » وهل هو يقف مثلا عند مرسى مطروح ؟ أم أن الدفاع « الى آخر مدى » معناه ان الحرب سوف تجرى فى داخل البلاد ؟ .

ولكن النحاس باشا رفض المناقشة فى امكان وقوع هذا الاحتمال .. وهنا يقول حسنين ـ رحمه الله ـ قلت له : « نفرض لا قدر الله ، لا سمح الله . يعنى لو دخل الالمان مرسى مطروح أو لو زحفوا بعدها ! » .

ولكن النحاس باشا قال : مش ممكن .

وعاد حسنين يقول : «يعنى لا سمح الله ، لا قدر الله ، وربنا ما يقدر .. انما يعنى لو حصل ؟! » .

فقال النحاس باشا : « يمكن نخلى المدنيين ساعتها يتركون المدن الى القرى .. »

يعنى الحرب تدخل مصر .. وهذا هو الخراب .

وكان حسنين يروى لى تفاصيل هذا الحديث وهو منفعل وحائر فى فهم عقلية النحاس باشا .. وكيف أنه أصبح آلة فى يد الانجليز .. وقد تحدث حسنين طويلا فى هذا المعنى وكان مما قاله : « النحاس باشا فى يد الانجليز خالص ، لأنه يعرف انه لو كان الامر بيد الملك لما بقى فى رياسة الوزارة خمس دقائق » .

***

ثم انتقل حسنين بالحديث الى الشـــائعات التى تقول بان الجيش الانجليزى فى الصحراء الغربية لا يريد أن يحارب ٠٠ وقارن بين موقفهم اليوم وموقف الجنود الايطاليين أيام الجنرال ويفل أيام كان جنود بريطانيا يحاربون بشـــجاعة ٠٠ وجنود ايطاليا يهربون ٠٠ وها هى ذى الآية قد انعكست ٠٠ فاصبح الانجليز يهربون ٠٠ وجنود ايطاليا والمانيا وراءهم ٠٠ ثم قال : ان طيارا انجليزيا كان زاره فى داره وورطه حسنين فى الحديث حتى اعترف له بأن هناك أمرا مريبا فى استسلام حصن طبرق الحصين فقد قال : thcreıs something fishy

وان هذا الشىء المريب كمـا قال حسنين ــ هو ان الجيش البريطانى رفض ان يقاوم وسلم للالمان من غير قتال ٠

ومضى حسنين يقول :

ــ فاذا كانت هـذه الحالة فكيف يكون النحاس مطمئنا كما يقول ؟ بل لعل روميل على علم بحقيقة الحالة وانهيار معنوية الجيش البريطانى ولهذا الســـبب نراه يسرع فى زحفه حتى لا يعطى الانجليز فرصة لجمع جموعهم ولم شملهم ٠٠ وقـــد لايبعد ان يدخل على ــ فى أى وقت ــ فى مكتبى ضابط المانى يرفع يده بالتحية ويقول : هيل هتلر ! ٠

ومضى حسنين باشا فى حديثه فقال فى معرض التدليل على خطـورة الحالة التى يصر النحاس باشا عـــلى وصـــفها بأنها « مطمئنة » قال : ان هناك خطا قـــد أنشىء بين أمريكا ومصر لنقل الصـــور الفوتوغرافية باللاسلكى وقـــد افتتحه مستر روزفلت بارسال صورة له مع محمود حســـن بك وزير مصر المفوض فى واشنجطون وقد نشرت الصحف المصرية الصـــورة المذكورة ٠٠ ورؤى بعدها ان ترسل القاهرة ردها على هـــذه التحية الى واشنجطون بارسال صـــورة الملك فاروق مع مستر كيرك وزير أمريكا المفوض فى القاهرة ٠

ثم قال حسنين :

ــ ووقفت منذ أيام فى احدى الحفلات أتحـــدث مع مستر كيرك فى مسائل عـــادية فقلت له : اننى زرت أمريكا منـــذ سنوات ، وتعرفت برجالها وقلت لهم يومئذ ان أمريكا سوف

تاخذ فى يوم مكانها فى قيادة العالم والمـــدنية الحديثة واننى لسعيد لأن نبوءتى قد تحققت .. وكنت اظن ان مستر كيرك سوف يسر بكلامى هــنا أو يعلق عليه بشىء ما ولكن الرجل ظل شارد الذهن ينظر الى بعينين « فارغتين » وكأنه لا يسمع حرفا مما أقول .. ذلك لأنه كان يدرك خطورة الحالة ومــدى الكارثة التى حلت بجيش الحلفاء فى الصـــحراء الغربية .. بينما أنا لم أكن قد أدركت بعد هـــذه الحقيقة ومع ذلك فان النحاس يقول : ان الحالة « مطمئنة » .

وعلا صوت حسنين وهو يقول :

ـ بقى دى بلد .. البلد كلها تهتز علشان النحاس اختلف مع مكرم .. ومافيش حديث فى البلد كلها الا عن خلاف مكرم والنحاس . بينما الالمان على أبواب البلد والبلد مهددة بالخراب اذا قرر الانجليز المقاومه فى دلتا النيل وريف مصر .

***

ثم عاد حسنين وتحدث عن عقلية النحاس باشـــا فقال أنه قابله فى اليوم التالى لسقوط طبرق فى أيدى الالمـــان وكان ينتظر أن يحدثه النحاس باشا عن هذه الكارثة المروعة التى حلت بالانجليز وفتحت أمام الالمان الطريق الى الاسكندرية .. ولكن النحاس باشا ساله عن براءات رتبة الباشـوية للوزراء ولماذا لم يرسلها الديوان حتى الآن ؟ وقال له حســـنين : ان البراءات ارسلت فعلا ولكن النحاس أنكر وصولها . فأكد له حسنين انها أرسلت يوم كذا .. وهنا استدعى النحاس باشا الدكتور محمد صلاح الدين وساله فى هذا فقال صلاح الدين ان البراءات قد وصلت حقيقة .. وضحك النحاس باشا وقل لحسنين « شوف ازاى أنا مش عارف ؟ البراءات عنــدى ومش عارف وكنت كلمت الملك عنها .. حتى ونكت معاه وقلت له : أيوه خلوها عندكم علشان أضحك على الوزراء وأغيظهم واقول لهم البراءات مش جايه وانتم مش باشوات » .

ثم تحدث حسنين عن دقة وحرج مركزه وكيف انه يخشى ان يقال عنه « طابور خامس » ومن ثم يعرض مركز الملك للخطر اذا ذهب مثلا وطلب من السفير البريطانى ضمانات على عــدم

جر الحرب الى القاهرة ودلتا النيل ٠٠ أو طلب منه تفسيرات لعبارة « المقاومة الى آخر مدى » كذلك اذا أشار على الملك بدعوة زعماء البلد واستشارتهم فى الموقف فانه يخشى ان يقول الانجليز ان فاروق قد بدأ يستعد لتأليف وزارة ممالئة للمحور ٠

وهز حسنين كتفيه وقال : انه حاول ان يجس نبض الزعماء فاجتمع مع بعضهم وتحدث معهم فى الموقف وخطورته وصواب الحصول على ضمانات بعدم تعريض البلد للخراب ولكن أحدا من الزعماء ـ ولا النحاس نفسه ـ يقبل أن يخطو هذه الخطوة فيقابل السفير البريطانى ويحدثه فى هذا الموضوع ٠٠ لأنهم جميعا يخافون من غضب الانجليز وشكوكهم ٠٠ أو غضب الالمان وانتقامهم ٠

ثم قال بانفعال :

ـ ودينى وما املك لقد تحققت من أن البلد دى كلها مافيش فيها رجل واحد ٠٠ وأقسم بربى لو الحالة صفيت وربنا أنقذ البلد وأعطانى الملك « كارت بلانش » فى تأليف الوزارة فاننى لن اختار ولا واحدا من هذا الطقم أبدا ٠٠ بل سوف أعمل وزارة من الشباب ٠٠ وأنا متأكد انهم لو غلطوا فان غلطاتهم تبقى ارحم بكثير من غلطات حضرات الزعماء الكبار ٠

ثم قال بمرارة :

ـ زعماء ايه يا شيخ ؟ دول ما فيش فيهم ولا راجل واحد ٠

وفهمت من حديثه ـ تلميحا واستنتاجا ـ ان النحاس باشا وقد تورط الى أبعد حد فى تأييد الانجليز والدعوة والدعاية لهم ليس بالرجل الذى يمكن ان يتفاهم معه الالمان اذا دخلوا البلد أو الرجل الذى يمكنه ان ينقذ مايمكن انقاذه ٠٠ وان واجب النحاس باشا اذن هو أن يتخلى من تلقاء نفسه عن الحكم حتى يخلى السبيل لقيام وزارة اخرى لم يتورط رئيسها واعضاؤها مع الانجليز الى هذا الحد ٠٠ ومن ثم يمكنها الى حد ما أن تتفاهم مع الألمان ٠ ثم قال ، ولا أدرى هل هذا هو رأيه شخصيا أم رأى فاروق وقد اقتبسه فى حديثه ، قال : اننا شعب مستعبد فأين هى الوزارة التى تستطيع أن تودع الانجليز

اذا خرجوا .. وتستطيع ان تستقبل الالمان اذا دخلوا ؟ وتقول للانجليز : وداعا يا أسيادى .. ثم تقول للألمان : أهلا وسهلا يا أسيادى .

قال : يجب اعداد هذه الوزارة .

***

قلت له : لقد عرضت عليك رئاسة الوزارة ثلاث مرات ورفضتها ، ولكنى أظن ان واجبك الآن ان تتولى الحكم وساعتها تقدر تكلم الانجليز وتتفاهم معهم على عدم خراب البلد .

قال : ان الانجليز يتهموننى بأن سياستى « ماكيافيلية » فلن يطمئنوا الى . ان واجبى هو أن ابقى الى جانب الملك .
قلتَ : ما انت برضه جنب الملك وانت رئيس وزارة ؟
ولكنه - ومن غير أن يتكلم كثيرا - راوغ فى الرد . وقدرت انه اما انه خائف مشفق من المسئولية .. وأما اننى أصبت الهدف من غير قصد وكانت منى رمية من غير رام .. أى أنه قد فكر فعلا وقدر هذا الاحتمال وهو ان يتولى رئاسة الوزارة ولكنه لا يريد ان يقولها لى الآن .

أواحتمال ثالث وهو أن رئاسته للوزارة لاتفيد الملك فى شيء لأنه منسوب او محسوب على الملك فكل خطوة منه سوف تفسر عند الانجليز بأنها ايعاز من افاروق .. وانه يمهد لدخول الالمان .. أو انه على الاقل يعمل بتصرفاته وخطواته هذه على نشر الفزع والقلق وروح الهزيمة فى البلد .

وأراد حسنين - رحمه الله - ان يتخلص من الحديث فى هذا الموضوع وقد أحس بالحرج .. فقال :
- وهناك أمر عندما أفكر فيه ترتجف ركبتاى ، وهو ان الانجليز اذا اضطروا الى الانسحاب من مصر فقد يأخذون معهم الملك .

قلت : هذا أمر محتمل جدا .. ويبقى زى الملك بطرس ملك يوغوسلافيا وجورج الثانى ملك اليونان وساعتها يتخذه الانجليز مادة للدعاية ويقولون انه انضم اليهم وترك مصر هاربا من طغيان الالمان .. ويذيعون بيانات ونداءات باسمه ..

ثم قلت : ولماذا لا يفكر الملك فى الهرب ساعة الخطر ثم يعود الى مصر بعدخول الالمان ؟

قال : مش ممكن لأن الملك تحت الرقابة الشديدة ..

قلت : وهل بلغ الامر الى هذا الحد ؟

قال نعم .. للأسف لا يجد احدا يطمئن أليه .. حتى ولا حكومته لانها ضـــــالعة مع الانجليز . ثم قال : ونفرض ان الملك استطاع الهرب ثم حدثت بعدها معجزة وامكن للانجليز صد زحف جيوش روميل يبقى مركز الملك فاروق ايه بعد ان هرب ؟ .. لن يستطيع العودة الى مصر .. ان الصعوبة هى فى تحديد اليوم او الموقف الذى يصح للمرء ان يقول فيه ان كل امل للانجليز فى كسب المعركة قد ضاع .. وانهم لابد ان يخرجوا من مصر .. وأن هذه هى الساعة .. او هذا هو اليوم .. كيف نحدده ؟ ..

قلت : يوم يجتاز الالمان خطوط مرسى مطروح ..

قال : كلا .. فلو فرضنا واستولى الالمان على مرسى مطروح فان الانجليز ينوون مواصلة الدفـاع .. ومنه تدمير خـزان اسوان وقناطر محمد على لكى يغرقوا أراضى الدلتا ويجعلوها بحرا من الطين تغوص فيه دبابات الالمان .

قلت : كلام فارغ .. مرسى مطروح اذا ضاعت .. ضاع كل شيء ،ولابد يومئذ من انسحابهم ودخول الالمان .

قال : يعنى راية الخطر .. الراية الحمراء هى سقوط مرسى مطروح ؟ ! .

قلت : نعم .. دون شك .

وسكت حسنين يفكر قليلا .

وقلت : ومن يعرف ..اذا تمكنوا من حمل الملك معهم قسرا، فربما صحبوا أيضا النحاس ووزراءه لتكوين حـكومـة مصر «الشرعية أو الحرة» خارج مصر مثل حكومات بولنده والنرويج وهولندة .. الى آخره .

قال : صحيح .

***

وانهارت تماما مقاومة الانجليز فى الصحراء الغربية ، وسقطت خطوط دفاعهم الواحد بعد الآخر وكان الجنود الالمان يجدون مشقة في اللحاق بالجنود البريطانيين بسبب سرعة انساحبهم ٠

وسقطت مرسى مطروح فى ايدى الالمان ٠

وتقدمت بعدها قوات المحور ٠٠ ثم توقفت بسبب نفاد الوقود او البترول الذى لاغنى عنه فى حرب الدبابات وكان توقفها عند « عنق الزجاجة » الذى اختاره البريطانيون خطه لدفاعهم الاخير قبل الاسكندرية ٠

وكان « عنق الزجاجة » هذا ــ او خط الدفاع ــ يمتد ما بين البحر عند محطة العلمين ومنخفض القطارة ويبعد عن المكس ــ احدى ضواحى الاسكندرية ــ بنحو اربعين كيلو مترا ٠

وبدأ أهالى الاسكندرية يسمعون دوى المدافع وهى تطرق ابواب دلتا النيل ٠٠ وساد الذعر والرعب والفزع وخصوصا بين يهود مصر الذين اسرعوا الى بضائعهم المكدسة فى المخازن يعرضونها للبيع بارخص الاسعار ٠٠ وكان المارة فى شارع جامع شركس بالقاهرة يشاهدون يومئذ عشرات منهم يحاصرون قنصلية بريطانيا ليحاولوا الحصول على « فيزا » او اذن بدخول فلسطين او جنوب افريقيا ٠

كانت بحق ايام الذعر والفزع وكان من الصعب انه يصدق احد ان شيئا ما سوف يوقف الزحف الالمانى ويحول دون دخولهم الاسكندرية والقاهرة ٠

اللهم الا اذا وقعت معجزة ، ولكن سلطات الحلفاء لم تكن فيما يظهر تؤمن او حتى ترجو يومئذ وقوع هذه المعجزة ٠٠ فقد كان المارة في ميدان قصر الدوبارة والشوارع المحيطة به يرون اعمدة الدخان تتصاعد من مداخن السفارة البريطانية والسفارة الامريكية وبعض المبانى والدور والعمارات التى كانت تشغلها ادارات مختلفة تابعة لقيادة الجيش البريطانى ٠

وكانت اعمدة الدخان تتصاعد ليلا ونهارا ، اياما متوالية .. وعرف سكان القاهرة ان رجال السفارتين والقيادة البريطانية يحرقون اوراقهم السرية استعدادا لمغادرة القاهرة.

وسافر بعض كبار الماليين والادباء والصحفيين ممن كانوا يحملون يومئذ على هتلر والنازية ، او كانت لهم علاقات بمجهود بريطانيا الحربي .. سافروا الى اسوان ومنها الى الخرطوم .

وقابلت ذات صباح الاستاذ محمود ابو الفتح وسألنى :

– راح تودى فلوسك فين ؟

قلت : فلوسى كلها احملها فى جيبى .

وابتسم وقال انه ارسل « فلوسه » الى جنوب افريقيا .

وفى مساء نفس اليوم وكنت فى جريدة الاهرام اسأل عن آخر الاخبار ، سألنى رئيس التحرير الاستاذ أنطون الجميل باشا: ماذا يفعل بأمواله المودعة فى البنوك ؟! .

وقلت له ان محمود أبو الفتح ارسل امواله الى جنوب افريقيا .. وابتسم – رحمه الله بمرارة ، وقال :

– وهو يعنى جنوب افريقيا اللى مأمون ومضمون .

وكان الاستاذ انطون الجميل يعتقد انه اذا سقطت مصر فى ايدى الالمان فلن يقف بعدئذ شىء فى طريقهم .. بل سوف يكتسحون وادى النيل الى جنوب افريقيا .. ويشقون طريقهم شرقا كما تشق السكين طريقها فى قالب الزبد عبر فلسطين ولبنان وسوريا والعراق .

وقص على المرحوم الاستاذ توفيق دوس باشا المحامى ورئيس مجلس ادارة شركة الفنادق المصرية .. قال :

– وذات صباح دق جرس التليفون فى مكتبى واذا بالمتكلم احد رجال السفارة البريطانية وطلب منى باسم السفارة واسم القيادة البريطانية أن اعمل فى ظرف٢٤ ساعة لا اكثر على فتح واعداد فندق ونتر بلاس بالاقصر وكان الفندق المذكور مغلقا يومئذ لاننا فى الصيف – شهر يولية .والفندق لايفتح الا فى موسم الشتاء .

وقلت للمتحدث باسم السفارة والقيادة ان هذا مستحيل .. لأنه يجب اولا جمع عشرات الخدم والسفرجية والطهاة

الى آخره .. لتنظيف الفندق واعداده .. ولكن المتحدث قاطعني قائلا : ان لا ضرورة لشيء من هذا .. بل لا ضرورة لوجود أى خدم او سفرجية على الاطلاق .. لان البنات سوف يقمن بتنظيف الفندق وخدمه انفسهن بأنفسهن .. بل وطهى طعامهن . والمهم هو فتح الفندق فورا لان قطارا خاصا يغادر القاهرة مساء اليوم وهو يحمل خمسمائة من فتيات « الانسا » والمجندات البريطانيات الى الاقصر .. ومنها ـ اذا لزم الأمر ـ الى الخرطوم .

قال توفيق دوس باشا :

ـ ثم ضحك محدثي من السفارة البريطانية وهو يقول ولعلك توافق على انه من غير المرغوب فيه ان نترك وراءنا في القاهرة كل هذه المتعة وأسباب السرور غنيمة للجنود الالمان .

***

وفتيات « الانسا » فرقة كانت مخصصة للترفيه عن الجنود البريطانيين فكانت تقيم لهم فى مختلف المعسكرات حفلات الغناء والموسيقى والتمثيل .

اذن فقد كان الخطر خطراً حقيقيا ، لا مبالغة فيه .. وها هي ذى السلطات العليا التى تعرف الحقائق تحرق اوراقها .. وتسرع وترسل الفتيات البريطانيات المجندات بعيدا عن القاهرة ـ الميئوس من انقاذها ـ الى الاقصر منطقة الامان ولو الى حين .

ثم انتشرت اشاعة تبين فيما بعد انها خبر صحيح ، وفحواها ان السلطات البريطانية العسكريه طلبت بالحاح من الحكومة المصرية اغراق غرب الدلتا او مديرية البحيرة وما الى جنوبها .. لكي تحول هذه الأراضى الى بحر من الطين تغوص فيه دبابات الجيش الالمانى وعربات النقل وسياراته ومدرعاته ومصفحاته .. وتعرقل زحف روميل على دلتا النيل .

وبدأت الوف من المهاجرين تفد على القاهرة من الاسكندرية والبحيرة وشمال الدلتا .. وارسل الضابط المصرى قائد منطقة الاسكندرية خطابا سريا الى وزارة الحربية المصرية فى القاهرة .. يسألها فيه عما يجب عليه عمله فى حالة دخول قوات المحور من الالمان والايطاليين . هل يجب عليه ان

يقاوم هو وجنوده ؟ أم يستسلم ويسلم سلاحه وذخيرته ؟.
وعرض الخطاب او السؤال المذكور على وزير الحربية يومئذ المرحوم الفريق حمدى سيف النصر باشا فقال :
– ماتردوش عليه .
ولكن قائد الاسكندرية عاد وأرسل بعد يومين رسالة سرية اخرى كتب عليها « مستعجل جدا » ويكرر فيها نفس السؤال ويلح فى الجواب .. فقال وزير الحربيه :
– انقلوا ابن ال . . . ده من اسكندرية وارسلوه حته تانيه وابعتوا واحد تانى محله .. هو عاوز يودينى فى داهية .

ذلك ان حمدى باشا – رحمه الله – كان يخشى اذا أمر قائد الاسكندرية بالمقاومة ثم دخل الالمان ، ان يحاكمه الالمان امام مجلس عسكرى .. واذا امره بالاستسلام للألمان ثم نجح الانجليز فى صد الالمان .. ان يحاكمه الانجليز بتهمة الخيانة .

ومن هنا رفض ان يرد على رسالةقائد منطقة الاسكندرية.

وفى هذا الجو من التوتر والفزع .. اجتمع مجلس الوزراء برياسة « صاحب المقام الرفيع » مصطفى النحاس باشا وقال رفعته فى بداية الاجتماع انه رأى بسبب خطورة الحالة وتطورها السريع ان يدعو المجلس للنظر فيما يجب عليه اتخاذه لتأمين سلامه البلاد .

بينما كان «رفعته» يؤكد منذ أيام قلائل أن الحالة «مطمئنة»!
وبعد أن تناقش الوزراء طويلا فى الموقف وقدروا جميع الاحتمالات قرروا أن يرسل مجلس الوزراء خطابا بامضاء « رفعة » رئيس الحكومة الى الماريشال روميل .
وعهدوا الى الاستاذ نجيب الهلالى باشا بوضع صيغة الخطاب المذكور ، وكتب الاستاذ الوزير الاديب الخطاب المذكور – وقد تكون صورة من هذا الخطاب التاريخى محفوظة فى سجلات مجلس الوزراء .

***

وقد جاء في الخطاب : ان مصر دولة غير محاربة وان جميع الاجراءات العسكرية التي اتخذتها السلطات العسكرية البريطانية في مصر قد تمت كرها او على غير رغبة من الحكومة المصرية .

وان مصر حكومة وشعبا تحب السلام وتستمسك به وان حكومة مصر قد اتخذت الآن جميع الاجراءات لحفظ الامن والحيلولة دون وقوع اية اضطرابات .

وهذه هي خلاصة الخطاب المذكور كما استقيتها من اوثق المصادر .

واتفق رأى مجلس الوزراء على ان يكون رسولهم الذى يحمل هذا الخطاب الى المارشال روميل هو محافظ الاسكندرية وكان يومئذ عبد الخالق حسونه باشا الأمين العام - الآن - لمجلس جامعة الدول العربية .

ونزولا على حكم « البروتوكول » والعرف والتقاليد .. وتقديرا لخطورة الحالة وخطورة المهمة قرر المجلس ان يعهد الى أكبر أعضائه سنا واقسمهم عهدا بالمنصب الوزارى وهو عثمان محرم باشا بالاتصال بمحافظ الاسكندرية عبد الخالق حسونة باشا .. ليبلغه خبر المهمة الجليلة الخطيرة التي يعهد بها اليه مجلس الوزراء ! .

واتصل عثمان محرم باشا بمحافظ الاسكندرية عبدالخالق حسونة باشا وابلغه قرار مجلس الوزراء وقال ان خطاب رفعة النحاس باشا الى الماريشال روميل سوف يرسل اليه مع رسول خاص .

ولا بد ان السيد عبد الخالق حسونة فغر فاه دهشة وهو يتلقى تفاصيل هذه المهمة العجيبة التي يكلفه بها مجلس الوزراء .

ولكنه سال وزير الاشغال :

وكيف السبيل للوصول الى الماريشال روميل ، وتسليمه خطاب رئيس الحكومة ؟ .

واجاب عثمان محرم باشا :

- تركب يا اخي سيارتك وتخرج بها الى ان تقابل روميل وهو قادم في طريقه الى الاسكندرية .

وهنا لم يستطع السيد عبد الخالق حسونة أن يخفي السخرية من لهجته وهو يسأل او يتساءل :
- هل حصلتم يا معالي الباشا من الجيش الانجليزي على تصريح لي بالمرور بسيارتي ؟ .
وسكت « معالي » الباشا الوزير .
وعاد محافظ الاسكندرية يقول :
- ان بيني وبين الوصول الى الجيش الالماني فوات الجيش البريطاني المنتشرة على طول الخط .. وهناك كذلك اسلاك شائكة وحقول الغام .. ثم ليس من الضروري ان يكون الماريشال روميل موجودا في مقدمة جيشه .. فقد يكون في مقر قيادته في المؤخرة وراء الخطوط .. وسوف يلزمني في هذه الحالة جواز امان من القيادة الالمانية بخلاف جواز المرور والامان من القيادة البريطانية فهل فكرتم في هذا كله يا معالي الباشا ؟ .
وضاق صدر عثمان محرم باشا بكل هذه الاسئلة وهذه الاعتراضات التي اثارها محافظ الاسكندرية والتي لم تكن موضع بحث او مناقشة في مجلس الوزراء .. لأن أحدا من اصحاب الرفعة والمعالي الوزراء لم يخطر بباله ان مقابلة روميل ستكون بمثل هذه الصعوبة .
ضاق صدر معاليه فقال :
- على كل حال الخطاب جاي لك .. واحفظه عندك لحد ما تقابل روميل وتسلمه له يدا بيد .
وعاد محافظ الاسكندرية يسأل :
- ولكن اقابل روميل ازاى ؟! .
واجاب وزير الاشغال :
- لما يدخل الاسكندرية .. روح قابله واعطي له الجواب .
وهكذا انتهت هذه المحادثة التاريخية العجيبة .
ولحسن حظ السيد عبد الخالق حسونة .. وسوء حظ التاريخ .. لم يدخل روميل الاسكندرية ويتسلم الخطاب المهمور بامضاء السيد مصطفى النحاس .
وانقل هنا من مذكراتي المكتوبة في مساء السبت ٢٧ يونية سنة ١٩٤٢ .

كلمت فؤاد سراج الدين باشا بالتليفون واتفقنا على ان نتقابل فى « جروبى » الساعة الثامنة مساء ٠٠ ولكنه عاد وكلمنى فى منتصف الساعة السابعة واقترح ان تكون المقابلة فى داره فى نفس الميعاد ٠

وكانت هذه اول مرة ادخل فيها داره الفخمة فى جاردن سيتى ٠

وسألنى عما اذا كنت سمعت بخطاب مكرم باشا فقلت : لا ٠٠ لم اسمع شيئا ٠٠ قال : أن مكرم باشا ارسل الى النحاس باشا اول امس خطابا منه ومن عشرين نائبا يطلب فيه عقد الهيئة الوفدية فى صباح يوم الاثنين « بعد غد ٢٩ يونيه » للنظر والمناقشة فى المسائل الآتية :

١ ـ الموقف الحربى الحالى ٠

٢ ـ الاستثناءات التى لاتزال الوزارة سادرة فيها ٠٠

٣ ـ التصريحات بتصدير بعض المواد الاولية التى ترخص بها الوزارة لبعض انصارها والمحسوبين عليها ٠

٤ ـ مراقبة دار مكرم عبيد والحصار المضروب حولها ٠

٥ ـ تحديد مركز مكرم باشا فى الوفد ومنصب سكرتير الوفد وهذا بسبب تصريحات النحاس باشا فى اجتماعات عديدة اعلن فيها ان مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد ٠

ثم قال فؤاد سراج الدين باشا ان النحاس باشا قال بعد ان قرأ خطاب مكرم انه لن يرد عليه وانه ـ اى فؤاد باشا ـ وافقه على رأيه ٠٠ ولكن النحاس باشا عدل عن رأيه وارسل الدكتور محمد صلاح الدين لكى يبلغ رد النحاس باشا وهو :

ان النحاس باشا يطلب من الذين ارسلوا هذا الخطاب ان يقابلوه لكى يعرف منهم شخصيا الاسباب التى يريدون من اجلها عقد الهيئة الوفدية ٠

ثم ٠٠ عن :

١ ـ غير ممكن ان يقول النحاس باشا عن الموقف الحربى اكثر مما قاله فى مجلس النواب ٠٠

٢ ـ لقد ابديت يا مكرم باشا رأيك فى الاستثناءات وابديت انا رأيى ، وايدنى الوزراء فى رايى ٠٠ وهناك

استجواب مقدم وسوف ينظر فى يوم الاثنين ويمكنك يومئذ ان تقول كل ما تريده أثناء مناقشة الاستجواب فى مجلس النواب صحيح .

وعن ٣ ـ غير صحيح .
وعن ٤ ـ غير صحيح .
وأما عن ٥ ـ فانك يا مكرم لست سكرتيرا للوفد ، لأنك لم تعد سكرتيرا للوفد .. وبناء عليه أرفض طلب عقد الهيئة الوفدية .

ثم قال فؤادسراج الدين تعليقا على خطاب مكرم :ـ ان مكرم كان يعرف مقدما أن النحاس باشا لن يوافق على دعوة الهيئة الوفدية للاجتماع فى صباح بعد غد الاثنين للمناقشة فى المسائل التىذكرها هو وأصحابه فى الخطاب ومنها مسألة الاستثناءات التى قدم عنها استجوابا تحدد لنظره جلسة نفس اليوم الاثنين، ولكن مكرم اراد ان يقوم بمناورة بارعة يستبق بها الحوادث ويبرر موقفه فى هذه الجلسة القادمة لأن فى نيته أن يهاجم النحاس باشا ويحمل على الوزارة فى الجلسة المذكورة.. ولكنه يشفق من عتاب العاتبين ولوم اللائمين ومن أن يقال له :«كيف ـ وانت لاتزال عضوا فى الوفد والهيئة الوفدية ـ كيف تهاجم رئيس الهيئة ورئيسك وتحمل على وزارة الهيئة التى تنتمى اليها ؟ » ومن هنا ارسل خطابه لكى يمكنه ان يقول للعاتبين واللائمين : « لقد حاولت ان اناقش مصطفى باشا فى هذه المسائل فى الهيئة الوفدية اى فى اجتماع عائلى فيما بيننا ولكنه رفض .. فلا تلومونى اذن اذا تكلمت علانية فى جلسة مجلس النواب » .
هذه هى مناورة مكرم البارعة ، لانه كان يعرف مقدما ان النحاس باشا لن يوافق على عقد الهيئة الوفدية .

وكنت ذكرت رأى الاستاذ فؤاد سراج الدين وهو انه كان وجود النحاس باشا فى رياسة الوزارة وفى يده سلطات الرقابة المفروضة على النشر والصحافة خير من السكوت عليه ، اذ قد يضطر الوفد فيما بعد الى فصله ، وقد يكون

النحاس باشا يومئذ خارج الحكم ولا سلطان له على الرقابة ولا سلطة له فى منع نشر ما لا يرضية اذا حمل عليه مكرم فى الصحف ٠

ولقد عاد فؤاد باشا هذا المساء ـ مساء ٢٧ يونيـة ـ الى نفس الموضوع ونفس المعنى ، فقال :

ـ ان مكرم لايزال عضوا فى هيئة الوفد ، ولهذا السبب فان مهاجمته او الحملة عليه ليست ممكنة الآن ، بل ان اعضاء الهيئة الوفدية والوفديين جميعا الموالين المخلصين للنحاس باشا يمسكون باعصابهم والسنتهم ولا يسمحون لانفسهم بالحملة عليه احتراما منهم لعضويته فى الوفد والهيئة الوفدية ولكن يوم يعلن فصل مكرم من الوفد فان المانع يزول وتنطلق السنة الجميع ضد مكرم عبيد ٠٠

وانتهى فؤاد سراج الدين من الحديث عن خطاب مكرم عبيد٠

وكنت اصغى اليه وانا اعجب كيف يمكن لرجال مصر المسئولين ان يشغلوا انفسهم بأمر الخلاف بين النحاس ومكرم ٠٠ وجيوش روميل تطرق ابواب مصر ، ودلتا النيل مهددة بالخراب ؟

وقلت لفؤاد باشا اننى زرت حسنين « رئيس الديوان الملكى » هذا الصباح ووجدته مشغول البال على ابنه هشام الذى اجريت له اول امس عملية المصران الأعور ، واننى فهمت من حديث حسنين ان كل من فى القصر ـ من الملك الى اصغر فرد فى الحاشية ـ جميعهم خائفون جزعون قلقون من تطور الموقف الحربى من سيىء الى اسوأ ٠٠ وانهم جميعا يتساءلون عن نوايا الانجليز وخططهم والى اى مدى ينوون الدفاع والمقاومة ٠٠ هل يذهبون فى هذا المدى الى نقل الحرب الى دلتا النيل معتمدين كما قال احد نقادهم العسكريين على فروع النيل وقنواته فى تعطيل زحف الالمان ٠

ثم سألته : لم لايطلب النحاس باشا مقابلة الملك شخصيا لكى يبلغه آخر تطورات الحالة ويطمئنه ان كان عند رفعته اسباب تدعو الى الاطمئنان ؟ ووافقنى فؤاد باشا على رأيى وقال انه يحبذ مقابلة النحاس للملك وانه اذا كان النحاس لم يطلب

حتى اليـــوم مقـــابلة فاروق ، فذلك لانه كان يخشى ان يرفض فاروق مقابلته او يسوف فيها كما سبق ان حدث ٠

ثم قال انه سيقابل النحاس باشا الان لانهم مدعوون عند الاستاذ حسن يس لتناول العشاء وسوف يقول لرفعته ان هذا هو رأيى من غير ان يدخل فى التفاصيل ٠

وتركت فؤاد سراج الدين وعدت الى دارى ، ومنها سألت بالتليفون عن حسنين باشا فقيل لى انه لم يعد بعد ٠

وكلمنى هو بالتليفون فى منتصف الساعة الحادية عشرة مساء ٠٠ ورويت له ما دار بين فؤاد باشـا وبينى ٠٠ واننى اقترحت ان يطلب النحاس باشا مقابلة الملك ٠٠ الى آخره ٠٠ الى آخره ٠

وقال حسنين : عال خالص ٠

وشكرنى بحرارة ٠

واصبحنا يوم الاحد ٢٨ يونية ٠

وكلمت صبرى ابو علم باشا فى مسألة تخص احد الزملاء الصحفيين وكان الزميل المذكور وســـطنى فيها لدى صبرى ابو علم باشا رحمه الله ٠

وعرفت من صبرى باشا اثناء الحديث ان « رفعة الرئيس » موجود الآن مع جلالة الملك ٠٠ وان رفعتـــه كان « التمس » المقابلة هذا الصباح فأجيب طلبه فى الحال ٠٠ واســـتقبله فاروق فى نفس الصباح ٠

وكلمت حسنين فى مكتبه بالقصر وسألته عن الحاله فقال : « أيوه ٠٠ وصاحبك هنا ـ يقصد النحاس باشا ـ لكن اظن فات الوقت لأن الاخبار وحشة ٠٠ وبعدين اقول لك » ٠

و « الأخبار الوحشة » التى كان يشير اليها لابد ان تكون اخبار الموقعة الحربية الدائرة عند مرسى مطروح ٠

ولـــم يكن فى امكـــان حســـنين ان يفسر أكثر من ذلك بالتليفون ٠٠ لان موظفى تليفونات قصر عابدين ـ كما كان قد قال لى هو بنفسه ـ كانوا ينصتون للاحاديث وينقلـــون الاخبار التى يسمعونها ٠٠ ؟

ثم عاد حسنين وكلمني بالتليفون في ساعة متأخرة من المساء وكنت في داري ·· وقال : ان النحاس لم يطلع الملك في مقابلة الصباح على شيء جديد ·· وانه وان تكن الاشاعات مزعجة ·· الا ان اخبار « اخواننا » هنا مطمئنة ·

ولم يزد على هذا ·· وكعادتي معه لم الح في الاستفسار او طلب المزيد من التفاصيل ولا اعرف من هم الذين يقصدهم « باخواننا » ؟ هل يقصد الانجليز ، ام يقصد النحاس باشا ووزراءه ؟ ·

ولم يكن في نيتي ان اخرج هذا المساء ، ولكنني ذهبت الى جريدة الاهرام لكي اسأل عن آخر الاخبار الواردة من جبهة القتال ·· وقابلت في مكتب رئيس التحرير الدكتور محمود عزمي والسيدة قرينته ·

وقالت السيدة او على الاصح سألتني : ما اذا كنت سمعت ان فلانا قد طلق زوجته فلانة ؟ ·

وفلان هذا كان من نجوم السينما وأبناء الذوات وقد توفاه الله منذ سنوات ·· اما فلانة فلا تزال على قيد الحياة ·· قلت انني لم اسمع شيئا عن هذا الطلاق ·

قالت السيدة حرم الدكتور محمود عزمي ان فلانة هذه هي الآن « صديقة » الجنرال ريتشي قائد الجيوش البريطانية في الصحراء الغربية ·· وان الجنرال لم يسافر الى الميدان بل بل يدير المعركة بالتليفون ، والى جانبه صديقته فلانة المذكورة ·

وقال المرحوم محمود عزمي :

ـ على كل حال الثابت أن الجنرال ريتشي كان يزور الاسكندرية مرة في كل اسبوع وينزل بفندق بوريفاج حيث كانت تقابله فلانه المذكورة ·

وقلت انا ان الاشاعات كثيرة عن فلانة هذه ومعظمها غير صحيح ·

ثم سألت الدكتور محمود المراغى عن رأيه في الحالة ، وفي دفاع الانجليز ؟ فقال : ان الانجليز ينوون الدفاع عن مصر الى آخر رمق وان خطتهم وخطوط دفاعهم هي :

١ ـ مرسى مطروح :

٢ ـ الضبعة ٠
٣ ـ الخطاطبة « فى مديرية البحيرة » ٠
٤ ـ من الاهرام الى الزمالك ٠
٥ ـ قناة السويس ٠

قلت : والاسكندرية ٠٠ والقاهرة ؟ ٠

قال : لم يتخذ بشأنهما بعد أى قرار ٠

قلت على أى حال اذا كانت هذه هى خطة الانجليز فانها تعنى خراب مصر ٠

قالت السيدة حرم محمود عزمى :

ـ نعم ٠٠ الدفاع شبرا شبرا كما فعل الروس فى مدينة سباستبول ٠

وانقل عن مذكراتى بتاريخ ٢٩ يونية ١٩٤٢ :

الحالة تزداد خطورة ، واشاعات مزعجة تملأ البلد ٠

وسمعت اليوم من مصادر مختلفة أن الانجليز استطاعوا أن يردوا قوات المحور عند مرسى مطروح وان يرغموها على التقهقر مسافة عشرة كيلو مترات وان ياخذوا منها خمسة عشر ألف اسير ٠

ثم أعلنت وكالات الانباء فى المساء أن شيئاء من هذا لم يحدث، وان الذى حدث فعلا هو سقوط مرسى مطروح فى أيدى قوات المحور من الالمان ٠

ومررت بجريدة الاهرام ودخلت غرفة رئيس التحرير الاستاذ انطون الجميل ، وكان بين الموجودين الاستاذ توفيق اليازجى « المعروف بميوله المحورية » وكان الحديث بينهم عما عسى ان يفعل الملك فاروق وهل هو يحاول الهرب من مصر خوفا من ان يرغمه الانجليز على الخروج معهم عند انسحابهم ؟

وقلت للحاضرين ما اعرفه وهو ان الانجليز اقاموا حول الملك مراقبة شديدة دقيقة حتى لا يكاد ينتقل من قصر الى قصر الا وعندهم الخبر ٠

وكان الاستاذ توفيق اليازجى يبتسم ابتسامة هادئة ناعمة ٠٠ وقالت سيدة من الموجودين ان الامبراطورية البريطانية قد شاخت ودب الانحلال فى عظامها تماما مثل روما فى آخر

عهدها بالمجد والسلطان ٠٠ فقد كانت روما عندما اشرفت على نهايتها ٠٠ كانت تحارب بأبناء جميع امم الارض الا ابناء روما ٠٠ وكذلك الحال اليوم مع بريطانيا التى تخوض المعـــارك وتحارب بجنود من استراليا ونيوزيلندا والهند وبورما وجنوب افريقيا وفلسـطين ، بل ولبنان « وكان فريق من ابنائه قد التحق بقوات ديجول الحرة » ٠٠ ولكنك تبحث عن جنـــود الانجليز فلا تجدهم ٠

وحـدثت مسـاء اليـوم فى مجلس النواب فضـيحة ، ولا أعنى أن الاسـتثناءات كانت فضـيحة ٠٠ وهى قـد كـانت كذلك ٠٠ ولكنى أقصد أن نظرها والمناقشة فيها فى هـذا اليوم وهذه الظروف بالذات هى التى كانت فضـيحة ٠٠ فبينما الجيـــوش تتطاحن على ابواب مصر ، ودوى المدافع والقنابل يسـمع بوضوح فى الاسـكندريه وطائرات جيوش المحـور تحلق فوق الاراضى المصرية ٠٠ أصر رئيس الوزراء النحاس باشا عند افتتاح جلســة مجلس النواب على نظر الاستجوابات المقدمة عن الاستثناءات وغيرها رغم ان اصحاب هذه الاستجوابات طلبوا تأجيل النظر فيها مراعاة للحـالة وتقديرا منهم لخطورة الموقف ٠

ولكن « رفعة الرئيس » أصر على نظرها ٠

وقامت « خناقة » حامية بينه وبين مكرم عبيد ٠٠ واعلن النحاس باشا فى الجلسة امام النواب ان مكرم لم يعد سكرتيرا للوفد ٠

٣٠ يونيه ١٩٤٢ :

وكان للأقاويل والاشـاعات التى ينشرها فى القـــاهرة المهاجرون القادمون مـن الاســكندرية والبحيرة ، أثرها فى الجمهور ، فقد انتشر الذعر بين سكان القاهرة ٠

وكلمت النحاس باشا بالتليفون وتحدثت اليه عـن جلسة أمس وأبديت رأيى فى الطـريقة التى نشرت بهـا جـريدة « المصرى » ما دار فى الجلسة المذكورة ٠٠

ثم سألته عن الحالة ، فقال : انها مطمئنة وليس فيهـا مـا يدعو للذعر والقلق ٠

وكلمت فؤاد باشا سراج الدين بالتليفون وعرفت منه انه لم يكن فى نية الانجليز ان يدافعوا عن مرسى مطروح وان قرار التخلى عنها والانسحاب منها كان معروفا للوزراء منذ اربعه أيام ·· وان خط دفاع الإنجليز هو عند العلمين « وقد كتبتها فى مذكراتى بالألف « العالمين » لاننى لم أكن قد سمعت بهذا الاسم من قبل ··· »

وعرفت فى المساء من الاستاذ انطون الجميل ان قوات المحور قد اجتازت مرسى مطروح وجاوزت فوكه والضبعة وامست امام العلمين ··

اول يولية عام ١٩٤٢ :

الذعر شديد ·· والاشاعات كثيرة ··

والجمهور يحاصر محال البقالة ومواد التموين لكي يشترى منها حاجته ويخزنها للطوارىء ·· واضطر محل بقالة «لاباس» فى شارع قصر النيل ان يغلق ابوابه بسبب شدة الزحام ··

ونفدت فى يومين اثنين جميع الدراجات والبسكليتات من محال بيعها فى القاهرة فقد اقبل الجمهور على شرائها بسبب اشاعة تقول ان الانجليز سوف يحرقون مستودعات البنزين قبل انسحابهم حتى لا تقع فى ايدى الالمان ·· ومعنى هذا انه سوف يستحيل استعمال السيارات فى الانتقال ··

ومن اشاعات اليوم ان الانجليز طلبوا من الملك الانتقال الى فلسطين ·· بل الى اسيوط ·· بل الى السودان ومعه الوزارة ·· اشاعات كثيرة مختلفة ··

ولكن هناك خبرا اكيدا واحدا وهو ان الانجليز رفضوا أن يعلنوا ان القاهرة مدينة مفتوحة ·· وكنت سمعت هذا الخبر من احدى اذاعات برلين منذ يومين ··

ومعنى هذا انهم سيدافعون عن القاهرة وسيدور القتال فى القاهرة من حى الى حى ، ومن شاع الى شارع بل ومن عمارة الى عمارة ·· وسمعت كذلك ان الانجليز نصبوا اوكار المدافع على طول شارع الهرم ، وبعض أوكار المدافع هذه قد اقيم خلف بعض الدور والفيللات فى الشارع المذكور ··

وكانت النتيجة ان هجرها اصحابها ٠٠ الى مساكن اخرى في القاهرة او في الريف ٠٠

وذاع اليوم ان مسيو كابسيس الوزير المفوض لحكـــومة اليونان الحرة قد غادر مصر هربا من قوات المحور ٠٠

وكذلك مســـيو جاكيه وزير بلجيكا المفوض ٠٠ ثم عدت وسمعت انهما لم يهربا بل اعدا فقط جوازات سفرهما ٠

وذاع في المساء ان قوات الاحتلال قد وصلت الى العامرية والمكس ، وان شركة مصر للطيران قد اوقفت سفر طائراتها الى الاسكندرية ٠٠

وانمستر كازى وزير الدولة في الشرق الاوسط غادرمصر٠

عقد البرلمان بمجلسيه : مجلس الشيوخ ، ومجلس النواب ٠٠ جلسه سرية اعلن فيها النحاس باشا :

١ ـ مصر حصلت على غطاء الذهب ٠٠

٢ ـ في كل بلد مؤونة تكفيها لمدة شهر واحد ٠٠

٣ ـ الانجليز رفضوا الموافقة على جعـــل القاهرة مدينـــة مفتوحة ٠٠ ولكن الوزارة اتخذت كافة الاجـــراءات وقامت بجميع اللازم لتأمين المدنيين وحمايتهم ٠٠

٤ ـ كذب « رفعته » الاشـــاعات الخاصة بانتقال الملك والحكومة ـ الى اى بلد آخر ٠٠

واقف هنا قليلا ـ واترك مذكراتي ـ واروى حديثا قصيرا سمعته من امين عثمان باشا بعد ذلك بعام او نحو ذلك ٠٠ أى في عام ١٩٤٣ ٠٠

وكان المرض قد اشتد على رفعة النحاس باشا في عام ١٩٤٣ حتى خيف على حياته وزارني ذات يوم صديق لى كان يومئـذ مديرا لمكتب امين عثمان وزير المالية وقال لى ان امين باشا يهمه ان يعرف رأيي فيمن ســـوف يتولى زعامة الوفد بعد النحاس باشا ٠٠ اذا اصابه مكروه لا سمح الله وان امين باشا يريد ان يزورني ويتحدث الى في هذا الموضوع ٠٠

وزارني فعلا امين عثمان في مكتبي بمجلة « آخر ســاعة » ولكنه لم يعرض في حديثه لموضوع الزعامة ورئاسة الوفد والى من تئول بعد النحاس باشا ٠٠

ولعله كان عرف رأيي مما كنت قلته لصديقي مدير مكتبه ، بل جلس يتحـــدث عن العام الماضي وحوادثه ، وازماته ـ عام ١٩٤٢ ـ وايام العلمين ٠٠ وكان مما قاله ـ وهو يخالف قول النحاس باشا امام مجلس البرلمان ـ ان الانجليز طلبوا فعــلا من النحاس باشا مغادرة مصر ٠٠

قال امين عثمان باشا : ان السفير البريطاني مايلز لامبسون زار النحاس باشـــا ايام اشتداد الخطر وقال له ان الحكـــومة البريطانيه تنصح لحكومة جلالة ملك مصر بالانتقال الى الخرطوم ٠٠ خصوصا ان السودان ارض مصرية « كذا ؟ » فلن يضيرها في شيء امام الشعب ان تنتقل من جزء من مصر الى جزء آخــر من مصر ٠٠

ومضى المرحوم امين عثمان في روايته يقول : ان النحـــاس باشا استطاع ان يتخلص بلباقة من هذا الاحراج اذ قال للسفير انه واعضاء الوزارة رهن مشيئة الملك فاذا قرر جلالته مغادرة مصر الى السودان فانهم سوف ينتقلون معه ٠٠ واذا قرر البقاء في مصر فانهم باقون معه ٠٠

وكان النحاس باشا قد اتفق سرا مع فاروق على البقاء وعدم مغادرة البلاد ٠٠

هذه رواية المرحوم امين عثمان ٠٠ وانا اصدقها ٠٠ بل لعل اتفاق النحاس مع فاروق على البقاء في مصر وعدم الهرب ٠٠ لعله يفسر سر الخطاب العجيب الذى امر النحاس باشا باعداده ٠٠ وارساله الى الماريشـــال روميـــل مؤكدا فيه ان مصر لا ناقه لها في الحرب ولا جمل ٠٠ وانه وزملاءه كانوا مكرهين مرغمين على التعاون مع الانجليز ! ٠٠

واعود الآن الى مذكراتي ٠٠ وانقل منها :

يوم ٢ يونية عام ١٩٤٢ :

خف الذعر قليلا في الصباح ، ثم عاد واشتد في المساء فقد اذاعت محطات الاذاعة في برلين وروما وانقرة « وكانت تركيا يومئذ محورية تشيد بانتصارات هتلر ثم عادت وانقلبت عليه وامست امريكانية بريطانية » ٠٠

اذاعت المحطــات المــذكورة أن قوات المحــور اخترقت استحكامات العلمين وانها تطارد الجيش البريطانى فى انحاء الدلتا ..

ثم نفت شركة روتر الخبر المذكور ..

وعرف اليوم ان السفير البريطانى قابل الملك .. وانه طلب من جلالته مغادرة القاهرة .. ولكن الى اين ؟ ..

ثم قابل السفير النحاس باشا وطالت المقابلة اربع ساعات وانعقد بعدها مجلس الوزراء ودام الاجتماع الى الساعه الواحدة صباحا .. وسمعنا فى المساء أن النحاس باشا هائج ساخط على الانجليز لأنهم لم يفوا بعهودهم ووعودهم له ومنها مثلا عدم تدمير المنشآت ، مثل القناطر الخيرية والكبارى ومســتودعات البترول .. الى آخره ..

وكان « رفعته » أعلن فى الجلسة السرية التى عقدها البرلمان انه اخذ وعدا بذلك من الانجليز ولكن يبدو أن الســفير مايلز لامبسون عاد وراوغ فى الوعود التى كان اعطاها ولهذا السبب هاج النحاس وثار ..

ومررت فى المساء بجريدة الاهرام جريا على عادتى فى الايام الاخيرة .. وبينما نحن نتحدث فى الحالة دخل احمد الالفى عطية وقطع علينا حديثنا لكى يسألنا :

ــ أنا طول عمرى محسوبكم .. ترجمتها ايه باللغة الالمانية؟

وضحكنا .. وقال انه كان كتب خطــابا مفتوحا الى هتلر ونشرته « الاهــرام » .. وكان خطـابا قليل الادب .. وانه نادم الان .. وهل ينفع الندم ؟ ..

كان النحاس باشا دعانى لمقابلته فى الساعة العاشرة مساء فى دار فؤاد سراج الدين بجـــاردن سيتى ولكنى لم اذهب بسبب طول اجتماع الوزراء وقد دامت الجلسة الى الســـاعة الاولى صباحا .

وعرفنا اليوم ان ذهب مصر لايزال فى البنك الاهلى .. مع ان النحاس باشا كان اعلن فى جلسة البرلمان ان ذهب مصر فى أيد مصرية وحراسة مصرية ..

« هذا ما وجدته مسجلا في مذكراتي ولا اذكر اليوم ماذا كنت اقصد بالبنك الاهلي ؟هل البنك الموجود بشارع قصرالنيل بالقاهرة ؟ ٠٠ أم مركز البنك الاهلي القائم في لندن ؟ » ٠٠

وعرفنا كذلك ان الجنود البريطانية هي التي تتولى حراسة القناطر الخيرية ابتداء من اليوم ٠٠ لماذا ؟ لابد ان الغرض هو نسفها وتدميرها عند انسحابهم لكي يغرقوا دلتا النيل او يحيلوها الى بحر من الوحل ٠٠

وأنقل عن مذكراتي بتاريخ ٣ يولية عام ١٩٤٢ :

كنت انوي السفر اليوم الى رأس البر وقد اعددت فعلا حقيبتي ٠٠ ثم كلمت وزير التجارة الاستاذ محمود سليمان غنام بالتليفون وسألته عن الحالة فقال انها « وحشه » وان الانجليز انما تولوا حراسة القناطر الخيرية لكي يدلوا سياراتهم التي تمر هناك على الطريق !

لابد انه يعتقد انني ساذج حتى اصدق مثل هذا التفسير ٠

وكلمت زميله وزير التموين الاستاذ احمد حمزة فقال : « الحالة وحشه » وربنا يلطف ولما سألته عن سبب حراسة الجنود للقناطر الخيرية قال أنهم ينولون حراستها لكي يقاوموا جنود « البارشوت » ـ المظلات ـ الالمان في حالة ما اذا حاول هذا السلاح الاستيلاء على المنشآت المصرية لان جنود الجيش المصري مشغولون الان بحفظ الامن في الاقاليم ٠٠

ومضى الاستاذ احمد حمزة يقول :

ـ هذا من جهة ومن جهة أخرى فانه اذا هبط جنود المظلات وقاومهم الجيش المصري اشتبكت مصر في حرب مع دولتي المحور ٠٠ ولهذا السبب رأى الانجليز ان يتولوا حراسة القناطر الخيرية بأنفسهم ٠٠

انتهى كلام الوزير ٠٠ ومعناه ان الانجليز يشفقون من اشتباك مصر في حرب مع المانيا ويحرصون على تجنيب مصر خطر دخول الحرب ضد المانيا ٠٠

ولكن من الذي يصدق هذا الكلام ؟ وهل قبل وزراؤنا هذا السبب وصدقوه ؟

ثم كلمت فؤاد سراج الدين بالتليفون فطلب منى أن امر عليه ..

ومررت عليه ودار بيننا حديث طويل الخصه فيما يلى :

قلت له : ان الملك يود أن ينحى النحاس باشا عن رياسة الوزارة لكى يتولاها منهو اقدر منه علىالتفاهم معالالمانولكنه يخشى ان ينتقم منه الانجليز لانه نحى « رجلهم » عن الحكم .. فهل فكر النحاسفى تاليف وزارةقومية قادرة علىمواجهة الموقف او فكر فى التنحى من تلقاء نفسه عن الحكم لكى يفسح الطريق امام سواه من الذين ـ كما يقول الملك ـ لم يتورطوا فى تأييد الانجليز ؟

وقال فؤاد سراج الدين ان النحاس باشا يطلع الملك الان اولا باول على تطورات الموقف وكل شىء ولا يخفى عنه شيئا ..

اما الوزارةالقومية فانرفعته لايفكر فيها ولايقبلها ولايوافق عليها مطلقا لأنه يرى أن قبـــوله لها يناقض ما سبق أن قاله ضدها ..

ولقد دار البحث امس فى اجتماع مجلس الوزراء فى دعوة الجبهة الوطنيـــة « وهى الهيئة الممثل فيهـــا زعماء جميـع الاحزاب السياسية فى مصر وجماعة المســـتقلين والتى تولت المفاوضات مع انجلترا فى عام ١٩٣٦ وانتهت الى عقد المعاهدة المعروفة » .. ولكن اعترض على دعوة الجبهة المذكورة بمـــا يأتى :

١ ـ فى دعوة الجبهة انتقاص من قدر ومكانة البرلمانالقائم لان دعوتها تعنى ان هذا البرلمان لا يمثل الامة التمثيل الكافى .

٢ ـ جميع اعضاء الجبهة الوطنية موجـودون فعــلا اما فى مجلس الشيوخ واما فى مجلس النواب ما عدا اربعة او خمسة منهم : اسماعيل صدقى واحمد ماهر والنقراشى . وهـــذان الاخيران لهما ممثلو حزبهـما السعدى فى البرلمان ويستطيعون مناقشة الحكومة فى كل شىء ..

٣ ـ نفرض أن البرلمان قرر امرا ، وقررت الجبهة امـــرا اخر ضده فماذا يكون الحل والراى ؟

مضى فؤدا سراج الدين فى كلامه او فى بيانه فقال :

ـ ان النحاس باشا لن يتنحى من تلقاء نفسه عن الحكم واذا شـــاء الملك فليقله ٠٠ ولو انهم جميعا يتمنون ترك الحكم من كل قلوبهم او على الاقل ان يشترك معهم سواهم فى تحمـــل المسئولية ٠٠ « وبدل ما نبقى ١٤ وزير نبقى حتى ١٤٠ » ٠٠

ولقد قال محمود غنـــام امس فى اجتماع مجلس الوزراء « يا ريت يا اخواننا يريحونا من مسئولية الحكم ٠٠ او حتى يعتقلونا ٠٠ »

واما لماذا يرفض النحاس باشا أن يستقيل ، فذلك لانه ظل ثلاثة اعوام اى منذ قيام الحرب يطالب بالحكم للاغلبية ـ اى له وللوفديين ـ بحجة ان البلد فى ظـروف حرب خطـيرة وان الاغلبية التى يجب ان تتولى الحكم وتمسك بالدفه وتقـــود السفينة الى بر الامان ٠٠ فهل اذا جد الجد وحل الخطر يتنحى الربان ويترك السفينة وسط الانواء ويهرب ؟ ٠٠

واستطرد فؤاد سراج الدين يقول : انه اذا دخل الالمان مصر فان النحاس باشا سوف يقول لهم اننا دولة غير محاربة ٠وانه انما نفـذ المعاهدة التى كان امضـاها منذ ست سنوات مـع الانجليز وانه بذلك حفظ كلمة مصر وشرف امضائهافهو لـم يستطع ان يفعل الا ما يفعله كل سياسى شريف ٠

وسوف يقول لهم كـذلك انه قاوم كثـــيرا من المطـالب الانجليزية وابى عليهم ان يجر مصر الى الحرب مهمـا كانت الظروف بعكس على ماهر الذى كان يريد غداة قيام الحرب ان تعلن مصر الحرب ضد المانيا ٠٠ والذى وعد الانجليز بعد ذلك بدخول مصر الحرب ضد دولتى المحور اذا توغلت قوات المحور فى الاراضى المصرية مبتدئة ٠٠

وهذا الشرط قد تحقق وبناء عليه كانت مصر قد دخلت الحرب الآن ضد دولتى المحور لو كان على ماهر بقى حتى اليوم رئيسا للوزارة ٠

ثم قال انه متعب من العمل وانه لم يستطع امس حضور حفلة قران شقيقته بسبب انهماكه فى العمل وطول جلسـة مجلس الوزراء التى لم تنته الا فى الساعة الثانية صباحا ٠

ولما ذهب بعدها الى « بيت الفرح » وجد ان المصابيح قـد انطفئت وكل شىء قد انتهى ٠٠

وانه ينام الليل والتليفون الى جانبه لان الحالة خطيرة خاص
•• ثم نصحني بأن اسحب اموالى من البنوك ••
وضحكت وقلت ان جيب « جاكتتي » يتسع لأموالى كلها
وهنا قال :
ــ والله الواحد مش عارف يعمل ايه بفلوسه اللى فى البنوك؟
فأشرت عليه بما كنت سمعته في حجرة رئيس تحرير الاهرام
أنطون الجميل وهو انه يحسن بأصحاب الاموال «السائلة» ان
يشتروا بأموالهم هذه اسهم شركات صناعية او اراضى لانه اذا
نجح الانجليز في صد الامان ارتفعت قيمة الاسهم •• واذا دخل
الألمان مصر هبط سعر الجنيه الاسترليني والجنيه المصرى ••
بالتبعية ــ الى الحضيض • وارتفعت اسعار الاسهم بطبيعة
الحال وبنسبة هذا الهبوط •
وهز فؤاد سراج الدين رأسه وبدا عليه انه لم يفهم هذه
النظريه الاقتصادية •• ولا انا •• فهمتها •
ألقى مستر تشرشل فى مجلس العموم خطبة طويلة نقلها
البرق الى مصر •• حوالى منتصف الليل •• وكان مجلس
الوزراء مجتمعا في تلك الساعة ولكن الوزراء لم يطلعوا على
الخطبه ولم يسمعوا بما جاء فيها مع ان فى غرفة سكرتيرية
الدكتور محمد صلاح الدين جهازا خاصا لنقل برقيات
روتر ••
ولو آن تشرشل كان أعلن مثلا عزم بريطانيا على الانسحاب
من مصر لما كان وزراؤنا سمعوا بالنبأ ولظلوا يتناقشون فى
الحالة وهم فى جهل تام بما يدور ••
وجاء فى خطبة تشرشل المذكورة :
١ ــ ان هذه المعركة بدأت فى يوم ٢٦ مايو ••
٢ ــ كان الانجليز على اتم استعداد وكانوا ينوون البدء بالهجوم
ولكن الالمان سبقوهم بأيام معدودة الى الهجوم ••
٣ ــ كانت قوة سلاح الطيران اقوى من قوة سلاح الطيران
الالماني بنسبة ٨ الى ٥ ، وقوة دباباتهم اقوى من دبابات الالمان
بنسبة ٧ الى ٥ ومع ذلك خسروا المعركة وهزموا امام الالمان •
والنتيجة ان الالمان لم ينتصروا بسبب تفوقهم فى السلاح
او فى العدد وانما انتصروا بسبب علو الروح المعنوية عندهم •

وكانت قيادة الجيش البريطاني في يد جنرال ريتشي الذى كان يدير المعركة بالتليفون تارة من القاهرة وتاره من الاسكندرية والى جوارة صديقته المصرية الحسناء ؟

وسمعت من الاستاذ انطون الجميل ان تدهور الروح المعنوية وانعدام النظام في صفوف جنود بريطانيا كانا بدون شك من اسباب الهزيمة وخسارة المعركة ..

وقص على طرائف .. منها :

ـ نقلا عن الاستاذ توفيق دياب ـ وقد اقسم صديقنا الكاتب الكبير على صحة الرواية ـ ان احد الفلاحين في مركز منيا القمح اشترى مدفعا رشاشا من الجنود البريطانيين .

ـ نقلا عن الاستاذ مصطفى أمين ـ ان جنديا هنديا كان يسير في الشارع وهو يدفع امامه فردتي « كاوتش » للسيارة وقد عرضهما على صديقنا بدولارين اثنين ..

ـ نقلا عن الاستاذ حسين ابو الفتح ـ ان بعض الضباط البريطانيين أبدى استعداده لان يورد له اى عدد يشاء من سيارات الجيش البريطاني بسعر مائتي جنيه للسيارة الواحدة .

ـ نقلا عن الاستاذ حفني محمود ـ ان سيارة حربية حضرت مرة من السويس الى القاهرة لكى تشترى ورق ابر و « جلاس وجاتو » من جروبى ..

ـ ان جنود البوليس الحربي البريطاني ـ اثناء طوافهم بالمحال العامه ـ طلبوا من بعض الجنود الذين كانوا يرقصون فى قاعة الرقص « بجروبى » ان ينصرفوا الى ثكناتهم لان الساعة جاوزت التاسعة مساء ولكنهم رفضوا واستمروا فى الرقص .. !

وكلمت حسنين باشا بالتليفون وقلت له اننى انوى السفر الى رأس البر لأستريح فيها بضعة ايام ، ولكنه صرخ فى وقال: انت اتجننت والا ايه ؟ .

ثم نصحنى بعدم السفر الان الى ان ينجلى الموقف وقال :

ـ يظهر ان العلمين كمان سقطت فى ايدى الالمان .. والانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير الشامل التام ومنها نسف الكبارى وقد تقطع خطوط المواصلات فى ساعات معدودة .. فكيف تسافر يابى محمد الى رأس البر ؟

عدلت عن السفر الى رأس البر ..

ولما كان مسكنى فى الزمالك وقد يدمر الانجليز الكبارى وهكذا تقطع المواصلات بين الجزيرة والقاهرة فقد رأيت ان من الخطر العودة الى مسكنى ، ومن ثم ذهبت بحقائبى الى فندق فى المدينة وحجزت لى غرفة فيه ..

مررت على جريدة الاهرام وقابلت مصطفى أمين الذى قال لى ان مستر كيرك وزير امريكا المفوض ورجال المفوضية غادروا القاهرة .. وان اشاعه سفر امين عثمان باشا صحيحة لانه صحب اسرته الى فلسطين ثم عاد اليوم .

وأنه - أى مصطفى امين - قابل جنرال ستون امس وان ستون قال له ان النحاس باشا اعصابه تعبانة ..

فقد اجتمع به امس وكان معهما السفير مايلز لامبسون ومستشار السفارة سمارت . وقد تكلم السفير ربع ساعة ، وتكلم هو - اى ستون خمس دقائق - وتكلم سمارت دقيقتين - أما النحاس باشا فقد تكلم ثلاث ساعات ..

وقال جنرال ستون ان تدمير المنشآت او عدم تدميرها مسألة تبت فيها وزارة الحرب وان القيادة هنا لا تملك حق أتخاذ قرار فيها .. ثم قال انهم اذا كانوا وعدوا النحاس باشا بشيء ما منذ يومين فان الامور تتطور من يوم الى يوم . والوعد الذى يعطى فى ضوء حاله ما فى يوم ما قد يجوز نقضه فى ضوء حالة جديدة .

وقال لى مصطفى امين كذلك : ان سفيرنا فى لندن حسن نشأت باشا أرسل تلغرافا يقول فيه : انه نظرا لاحتمال دخول قوات المحور مصر وانقطاع الاتصال بينه وبين مصر فانه يطالب بارسال خمسين الف جنيه لتغطية نفقات السفارة لمدة عامين .. وقد أرسل اليه المبلغ المطلوب .

وساد الذعر فى الاوساط المالية ، وهرع الناس الى البنوك يسحبون أموالهم المودعة فيها .. ويظهر ان البنك الاهلى تأثر اكثر من سواه وقد لجأ مديره الى وزير المالية ليجد له مخرجا من هذا المأزق ..

وقال لى أحد موظفى وزارة المالية ان وزيرها كامل صدقى باشا أشار على مدير البنك الاهلى - ولكن بصفة غير رسمية - ان يوعز الى بعض موظفى البنك بالانقطاع عن العمل ..

او بالتغيب بسبب المرض ·· او حتى بالاضراب عن العمل ·· لكى يتخذ من غيابهم وقلة عدد الموظفين الموجودين عذرا يبرر به عدم استطاعته صرف جميع المبالغ المطلوب سحبها من البنك ·

وأنقل عن مذكراتى بتاريخ السبت ٤ يولية ١٩٤٣ :

قابلت أحمد الوكيل صباح اليوم فى « جروبى » وقلت له : « قل لى بقى أيه الاخبار اللى ما قالهاش مصطفى باشا للوزراء ؟ ·· »

فقال : الانجليز طلبوا منه ان ينتقل معهم هو والوزارة ولكنه رفض وقال لهم : انه قاعد فى البلد واللى يجرى على البلد يجرى عليه ·· فتضايق الانجليز منه وبدأوا معه سياسة « القريفة » ··

وذهبت الى مكتبى فى مجلة « آخر ساعة » فوجدت انطون الجميل ينتظرنى ورويت له ماسمعته فقال : ان الخبر صحيح وان الوزراء الذين تصدوا لنفى الخبر اما انهم كاذبون وما أنهم لايعرفون الحقيقة لان مصطفى النحاس اخفاها عنهم والحقيقة هى ان السفير البريطانى عرض الامر ـ بلباقة عن الملك فاروق فقال له : ان الخطر محتمل وان الالمان قد يدخلون مصر وفى هذه الحالة ، ربما فكر جلالة الملك فى الانتقال الى مكان آخر ، فاذا استقر رأى جلالته على هذا فانهم ـ اى الانجليز ـ مستعدون لان يقدموا لجلالته جميع التسهيلات ويضعو خدماتهم تحت تصرفه ولجلالته ان يختار المكان الذى يشاء ·· وقد رد فاروق شاكرا ، ولكنه قال : انه لا ينوى مغادرة مصر ··

وفاتح السفير البريطانى النحاس باشا فى نفس الموضوع فقال له النحاس : لا ·· لن تخرج الوزارة من مصر ·· وعلى كل حال فانا تحت امر جلالة الملك وما يريده سوف انفذه

وهو رد بارع من النحاس باشا لأنه أولا اثبت ولاءه واخلاصه للملك ·· وثانيا القى المسئولية على الملك فاروق ·

ثم تحدثنا ـ انطون الجميل وانا ـ عمن عساه يكون «رجل الساعة» الذى يستطيع مواجهة الموقف باخطاره واحتمالاته

وقال انطون بك : انه يعتقد ان اسماعيل صدقى باشا هو القدر الزعماء جميعا على مواجهة الموقف وانه «رجل الساعة»

لأنه اولا معروف بصداقته الطويلة للسياسة الانجليزية ومع الساسة الانجليز ٠

ولكنه لم يتورط معهم اثناء الحرب ٠٠ ولانه ثانيا ابدى نوعا من الميل او الصداقة لألمانيا فى بداية الحرب ٠٠ وهو ماأكسبه ثناء الاذاعة الالمانيه دون ان يفقده حسن ظن الانجليز به ٠

ومضى انطون الجميل يقول : انه لو كان اسماعيل صدقى على رأس الحكومة الآن لاستطاع ان يجلو الموقف من كل الوجوه ولكان ارسل بصفته رئيس الحكومة المصرية رسالة الى روميل يشرح فيها موقف مصر المستقلة من هذه الحرب ومن الوجهة الدولية ، ثم يطلب منه ان يحدد موقفه ونوايا حكومته ـ المانيا ـ تجاه مصر ٠

وكان النحاس باشا قد صرح فى البرلمان وفى مجالسه وامام انصاره اكثر من مرة ان الحالة مطمئنة ، ثم تبين بعد ذلك ان الحالة ليست مرضية ولا هى تدعو الى الاطمئنان ٠ وهذا من وجهة النظر الانجليزيه ٠ وظن كثيرون ان النحاس باشا كذب على الأمة وخدعها وخدع البرلمان ، او على الأقل انه ضحية الانجليز الذين كذبوا عليه وخدعوه ٠ ولكنى بت اعتقد ان الامر ليس كذلك ٠ وان الانجليز لم يكذبوا على النحاس ولم يخدعوه ٠٠ وان الحقيقة هى انهم انفسهم كانوا مخدوعين ٠

وهذه هى الحقيقة كما وضحت من خطبة مستر تشرشل التى قال فيها بصراحة : ان السرعة الخاطفة التى زحف بها جنرال روميل افسدت على القيادة البريطانية خططها فقد كان الانجليز يحسبون انهم بانسحابهم مسافة مائة وخمسين ميلا سوف يكسبون اسبوعين او ثلاثة اسابيع يرتاحون فيها ويجمعون قواهم ويعيدون تنظيم قواتهم ثم يعودون ويكرون على قوات روميل ٠

ولكن روميل دفع قواته وراءهم بسرعة خاطفة ولم يترك لهم يوما واحدا للراحة ٠٠ ثم فوجئوا بوجوده امامهم عند العلمين بعد خمسة ايام فقط من بدء انسحابهم ٠٠ اى انه استطاع ان ينقل جيشه وجميع معداته واسلحته مسافة مائة وخمسين ميلا فى خمسه ايام !

هذا ماأعلنه تشرشل فى خطبته ، ومن هنا نفهم لماذا كان الانجليز متفائلين ومطمئنين الى الحالة . ولكن تطور الموقف بسرعة زحف روميل .. قلب خططهم واطمئنانهم راسا على عقب .. وهنا اضطروا ان يطلعوا النحاس باشا على الحقيقة او على جانب منها وان يصارحوه بأن الحالة ليست مرضية ولا تدعو الى الاطمئنان .. وان الخطر المحتمل هو دخول قوات المحور الاراضى المصرية وكانت نقطة التحول من الاطمئنان الى القلق هى طلبهم من النحاس الخروج معهم هو ووزرائه .

وقد لاحظ كثيرون انه بينما جميع طبقات الشعب حتى اولئك الذين عرفوا بميولهم نحو المحور ـ المانيا وايطاليا ـ فى حالة فزع وقلق من المستقبل المجهول .. ومن الاخطار التى سوف تتعرض لها مصر فى فترة الانتقال من احتلال بريطانى الى احتلال المانى ايطالى . ومن انسحاب جيوش مدحورة ودخول جيوش ظافرة .. فان بعض المواطنين الشرقيين فرحون ولا يخفون سرورهم .. وسر فرحهم ان الفرصة قد حانت اخيرا للتخلص من منافسيهم فى اسواق المال والتجارة والسمسرة فى البورصة .. وهم اليهود .

ولقد استغل هؤلاء الشرقيون حالة الذعر والهلع التى اصبح فيها اليهود واشتروا منهم بضائع كثيرة بأسعار لا تزيد كثيرا على سعر التراب .. وبعد ان كانت أسعار بضائع كثيرة بدأت تهبط بسبب كثرة البضائع التى أخرجها اليهود من مخازنهم وطرحوها فى السوق عادت الاسعار وارتفعت من جديد بعد أن انتقلت هذه البضائع الى أيدى اخواننا الشرقيين هؤلاء .

أما المصريون أبناء البلد فقد أضاعوا الفرصة وأمضوا الوقت فى تبادل الاخبار والاشاعات والنكات على حساب الانجليز تارة وتارة على حساب الالمان .

وفى المساء قابلت مصطفى أمين فى جريدة الأهـــرام ، ودار الحديث عما عسى أن يحدث للوزارة اذا دخل الألمان مصر ؟ .

وقلت ان النحاس باشـــا يرفض ان يســـتقيل لأنه يعد استقالته الآن فرارا من الميدان .. وان الملك لا يريد أن يأخذ على نفسه مسئولية اقالة النحاس باشا لانه يخشى الانجليز فى

حالة ما اذا نجحوا في وقف زحف الالمان ، وردوهم عن مصر .. كذلك لا اظن ان الملك في حالة دخول الالمان سوف يختار من تلقاء نفسه على ماهر باشا رئيسا للوزراة لانه سوف يؤيد بهذا الاختيار صحة ماشاع عنه وهو انه ـ فاروق ـ ضالع مع الايطاليين والالمان .. وقد يحاسبه الانجليز على هذا اذا قدر لهم النصر وعادوا وطردوا الالمان من مصر .. ولهذه الاسباب كلها اصبحت أرى رأى انطون الجميل وهو ان الملك سوف يختار اسماعيل صدقى رئيسا للوزارة بعد دخول الالمان .

ولكن مصطفى أمين لم يوافقنى على هذا الراى ، وقال ـ بل أكد ـ ان على ماهر هو رئيس الوزارة القادمة ، وان الأمر متفق عليه منذ أسابيع وان التصريح المشترك الذى اذاعته سلطات الاذاعة فى برلين وروما وبارى ، وأعلنت فيه ان قوات المحور ـ المانيا وايطاليا ـ التى تدخل مصر سوف تدخل لكى تحرر مصر من استعمار بريطانيا وتعطينا استقلالنا كاملا وانه ليس عند المانيا او ايطاليا اية نية للانتقاص من استقلالنا .

وقال مصطفى أمين ان هذا التصريح الذى اشتركت فى صياغته واعلانه حكومتا المانيا وايطاليا قد تم بفضل مساعى مراد سيد أحمد باشا الصديق الحميم لعلى ماهر باشا والذى يقيم منذ بداية الحرب فى مدينة جنيف فى سويسرا « وكان سعادته وزيرا مفوضا لمصر فى روما عند اعلان الحرب وقد طلبت منه الحكومة ان يعود الى مصر ولكنه رفض العودة وآثر أن يقيم فى أوروبا متنقلا بين ايطاليا وسويسرا والمانيا .. »

ثم قال مصطفى أمين ان على ماهر باشا ثائر هائج فى المعتقل وانه يقول انه عندما يتولى الحكم سوف يشنق مصطفى النحاس وفى هذا يقول : « ولن أحاكمه أمام محكمة عسكرية ، بل سوف أحاكمه أمام محكمة مشكلة من مستشارى النقض والابرام .. وتهمته الخيانة العظمى » ثم يصرخ ـ وكان رفعته مريضا بأسنانه ـ يصرخ : « اسنانى ، اسنانى يا عالم . بس الـ .. حابسنى ليه ؟ »

وكان فريق من الرأى العام يعطف يومئذ على على ماهر باشا

ويعد اعتقاله عملا غير قانونى .. وان النحاس باشا اعتقده تزولا على ارادة الانجليز .

والواقع ان السلطات البريطانية كانت طلبت من كل حكومة مصرية تولت الحكم بعد يونية عام ١٩٤٠ اعتقال على ماهر باشا . بسبب ميوله المحورية ونشاطه ونشاط بعض اصدقائه العدائى ضد الحلفاء . وقد تقدمت بهذا الطلب فى وزارة حسن

صبرى باشا .. وفى وزارة حسين سرى باشا .. ولكن حسن صبرى وحسين سرى رفضا أن يعتقلا على ماهر ، واستطاع الاثنان فى كل مرة أن يسويا الامر وان يقنعا على ماهر باشا بمغادرة القاهرة والاقامة فى قصره الاخضر فى الريف . ولكن رفعته كان يعود دائما الى القاهرة بعد بضعة أيام أو بضعة أسابيع .

أما صديقه اللواء صالح حرب باشا فقد عمل بنصيحة الحكومة وترك القاهرة وأقام فى أسوان .
، زرت حسنين باشا فى داره ، وبدأت الحديث فقلت : أما ان الوزراء يكذبون ، وأما ان النحاس باشا لا يطلعهم على الحقائق وذلك ان اثنين منهم أكدا لى انه ليس صحيحا ان الانجليز طلبوا من النحاس باشا انتقال الوزارة معهم الى بلد آخر ، بينما سمعت من مصدر موثوق بصدق أخباره ان الخبر صحيح فما هى الحقيقة ؟

وقال حسنين باشا : ان الخبر صحيح . وقص على تفاصيل كثيرة ومنها الحديث الذى دار بين الملك فاروق والسفير البريطانى مايلز لامبسون فى هذا الموضوع وكيف أن فاروق رفض ان يغادر الاراضى المصرية .. الخ .
ومضى حسنين يقول :
ـ ولما عرض النحاس باشا الموضوع على الملك قال :

أولا انه رفض طلب الانجليز وانه قال للسفير ان الوزارة لن تغادر مصر وانهم « قاعدين » مهما حدث .. ثم عاد وقال ثانيا: « وعلى كل حال لا أريد ان اؤثر على جلالتكم أقل تأثير فيما اذا رأيتم رأيا آخر » .

وتساءل حسنين ما معنى هـــذا ؟ ثم أليس النحاس باشا رئيس الحكومة وكبير مستشارى الملك ومن واجبـــه أن يقول رأيه صريحا واضحا فى مثل هذه المواقف الخطـــيرة فما معنى تردده وتراجعه ٠٠ مع انه سبق الاتفاق مع « رفعته » على عدم خـــروج الملك والوزارة من مصر ٠٠ اللهم الا أن يكون رفعته يريد جس نبض الملك و « توقيعه » ليرى هل هـــو لايزال مصمما حقيقة على البقاء فى مصر أو هو يفـــكر فى الهرب من الانجليز ومغادرة مصر سرا الى بلد آخر ٠٠ ولمصلحة من هذا المكر من جانب النحاس باشا ؟

وهنـــا قلت لحسنين باشـــا : اننى لم افهم اين هو « مكر » النحاس باشا ؟

وازداد حسنين حدة وانفعالا وقال :

ـ المكر يا سى محمد فى قـــوله للملك انه لا يريد أن يؤثر عليه فى حالة ما اذا كان له رأى آخر ٠٠ يعنى يا جلالة الملك أنا زى أبوك ٠٠ قل لى ولا تخبيش عـــلى ٠٠ اذا كنت عايز تهرب من الانجليز وتخرج من البلد قل لى وأنا أسـاعدك ٠٠ اهو ده « المكر » ياسيدى ٠٠ عاوز يعرف علشـــان يجرى للانجليز ويقـــول لهم : الحقوا الملك فاروق راح يهرب من مصر ٠

وانكرت على حسنين باشا رأيه هذا فى النحاس باشا وقلت له : « مش للدرجة دى يا باشا حرام عليك ٠٠»

وقال : حرام على ؟ يظهر انك عبيط ٠٠ ان النحاس باشـــا اصبح اليوم فى قبضة الانجليز تماما ٠٠ ولقـــد قاوم فى أول الامر شيئا ما ولكنه انتهى بالاستسلام لهم اســـتسلاما تاما والفضل فى ذلك لأمين عثمان باشا ٠٠

ثم قال حسنين :

ـ حدث مرة فى احدى جلسات مجلـــس الوزراء وكانت المعارك الحربية بدأت تتطور من سـيىء الى اســـوأ ، ان قال النحاس باشا للوزراء : « يظهر ان الانجليز ينوون عمـل شىء

خفيف من التدمير » وصرخ الوزراء وصاحوا فى وجهه : « كيف ؟ » وهنا تراجع رفعته وقال : ده اللى فهمه وجايز يكون غلطان . لكن الوزراء قالوا له : « لازم تستدعى بكره السفير والجنرال سنون وتناقشهما وتأخذ منهما وعدا صريحا بعدم تدمير أى شيء . »

واستطرد حسنين يقول :

ـ وكان فى وسع النحاس باشا أن يذهب الى البرلمان ويواجهه بالحقيقة ويطلعه على كل ما يعرفه عن نوايا الانجليز أو على الاقل لا يكمم البرلمان ولا يخدعه ولا يضلله بالأكاذيب بل يتركه يتكلم ويثور ويحتج .. ويتخذ من ثورة البرلمان سندا له يستند اليه فى أحاديثه ومفاوضاته مع السلطات البريطانية فيقول لها مثلا ان البرلمان وهو من انصار الوفديين ـ هائج ثائر ضده ، فكيف يحكم ونفس أنصاره وشيوخه ونوابه ثائرون ضده . وكان فى وسعه أن يطلب منهم ضمانات مطمئنة يواجه بها البرلمان ويهدىء بها من ثورة البرلمان .. ولكن رفعته لم يفعل بل فعل العكس فقد ذهب الى البرلمان وألقى بتصريحات مطمئنة وهو يعلم انها غير صحيحة .. وان الانجليز ينوون تنفيذ خطة التدمير التام .. وعلى أساس هذه التصريحات الكاذبة المطمئنة نال رفعته ثقة البرلمان بينما كانت المصلحة كل المصلحة هى فى أن يخرج من البرلمان مدحورا لكى يستطيع ان يوقف الانجليز عند حدهم .. ولكن يظهر ان أمين عثمان سحر النحاس وخدره تماما وأصبح يفعل به ما يشاء .

ثم قال حسنين ان بين ما ينوى الانجليز عمله ـ عند انسحابهم ـ اطلاق الماء المالح فى ترعة المحمودية لكى تغرق جميع الاراضى الزراعية الواقعة على ضفتها . وهذه العملية اذا أريد اصلاح الضرر الناشىء عنها تكلف مصر أربعين مليونا من الجنيهات .

ووصف حسنين باشا مقابلة له مع النحاس وروى الحديث الذى دار بينهما ، قال :

- قال النحاس باشا : ان الانجليز خانوه وكذبوا عليه وحنثوا في عهودهم معه ، وأردت أن استدرجه في الحديث ، فقلت له : انني أستبعد يا رفعة الباشا صحة هذه الاشاعات ، وان في نية الانجليز تدمير كذا وكيت .. ولكنه صاح في وجهي : « بل هي الحقيقة يا حسنين باشا .. التدمير التام والخراب التام . »

فقلت له : سوف نسجل احتجاجنا .

ثم سألته : وبعدين ؟ .

قال : وبعدين يفعل الله بنا ما يشاء .

واتهم حسنين باشا وزير الاشغال عثمان محرم بأنه أمر رجاله سرا بمساعدة الانجليز في تنفيذ خططهم .

ثم قال حسنين : انه لم يأت يوم على مصر كانت فيه محتلة احتلالا تاما كما هي الآن . فقد كان الانجليز يحاولون منذ شهور الحصول على نصيب في حق حراسة بعض الطرق والمنشآت ولكن طلباتهم في هذا الشأن كانت ترفض دائما .. ولكنهم الآن وبموافقة النحاس باشا قد تغلغلوا في صميم الريف وأصبح كل شيء في مصر في قبضة يدهم فاذا أزفت الساعة التي يتبينون فيها انهم خسروا المعركة فانهم سوف يدمرون كل شيء .. وكل شيء الآن تحت أيديهم وفي حراستهم وليس لمصر يومئذ ان تعترض لأنهم سوف يقولون ان ما تم قد تم بالاتفاق مع رئيس الحكومة .

وقال حسنين : انه تحدث مع بعض اصدقائه من الانجليز في هذا الموضوع فقال لهم : « ثقوا اذا دمرتم كل هذا فسوف أكون أنا أول من يهب لقتالكم لانكم تكونون قد خربتم بلدي خرابا تاما . واذا دخل الالمان مصر فسوف يهرع كل مصري لاستقبالهم . وليطلب منهم أن يسمحوا له بالقتال في صفوفهم ضدكم أنتم الذين دمرتم بلده .. واذا قدر لكم أن تعودوا الى مصر فسوف يهب المصريون لصدكم وقتالكم » .

ومضى حسنين يقول : انه اذا نفذ الانجليز خططهم فان

النتيجة هى خراب الدلتا أى الوجه البحرى . ولقد قال لهم قائد من خيرة قواد الجيش الفرنسى وهو الجنرال كاترو : ان كل ما يهمهم فى مصر هو قناة السويس .. وان خط الدفاع عن قناة السويس ليس فى الصحراء . بل على ضفاف النيل وفى الدلتا .. ذلك لأن الدلتا تعد من الوجهة الحربية هبة لا تقدر للقائد الذى يدافع عنها اذ انها بعشرات القنوات والمصارف التى تشقها وتخترقها طولا وعرضا .. وبأرضها الهشة الطرية وبقناطرها التى يمكن تدميرها عند الحاجة .. تعطل وتعوق سير الجيش الذى يهاجم ويحاول التقدم .. وهكذا تصبح الدلتا ميدانا للمعارك .. ويحل الخراب وويلات الحرب من كر وفر بكل بلدة .. وكل قرية فيها .

وهنا قلت لحسنين باشا :

ـ اذن ليس هناك أمل الا فى ثورة تنفجر فى البرلمان ويقوم معها الشعب فيضطر النحاس باشا والانجليز أن يتمهلوا ويراجعوا موقفهم ويترددوا فى هذه الخطة .

قال : ربما كان هذا ممكنا منذ عشرة أيام قبل ان يضع الانجليز ايديهم على كل شيء .. كان هناك أمل فى أن يتمهل الانجليز وان يحجموا عن التدمير او لو ان الجيش المصرى كان هو الذى تولى حراسة المنشآت .. لأن الانجليز كانوا يفكرون ساعتها طويلا قبل تدمير هذه المنشآت والمجازفة بوقوع تصادم بينهم وبين الجيش المصرى . اما الآن فقد ضاعت الفرصة ولم يبق هناك ما يخشاه الانجليز لأنهم هم الذين يحرسون ويتحكمون فى جميع المنشآت .

وقال حسنين :

ـ لقد قال لى النحاس باشا أثناء حديثى معه :

« تصور يا حسنين باشا ان الانجليز عاوزين يدافعوا عن القاهرة .. من النوافذ والبلكونات والسطوح ، بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية ، وانا قلت لهم : وفايدة ده ايه ؟ »

وتنهد حسنين وهو يقول :

ـ اذا قدر لك أن تكتب يوما عن هذه الايام فاكتب وقل ان شيوخ البلد ونوابها قيل لهم ان هنـــاك خطرا يهدد بيوتهم بالحرق ، ويهدد أراضيهم بالغرق ويهدد ريف مصر وقرى مصر بالدمار .. ولكنهم سكتوا خوفا على الاربعين جنيها التى تصرف لهم من البرلمان .

ووقفت أتهيأ للخروج ، وهنا سألنى حسنين باشا وهـــو يسير معى الى الباب :

ـ هل تظن ان هناك خطرا على الملك ، أن يأخذه الانجليز معهم رغم أنفه ؟

قلت : لا أظن ان الغبــاوة تصــل الى هـــذا الحـــد بهم ، ثم ما الفائدة التى تعود عليهم ؟ .

قال : ليس الخطر فى أنه ملك ، ولكن الخطـــر فى ان مصر وملكها لهما مكانة فى العالم العربى والعالم الاسلامى وقد يخشى الانجليز من أن يستغل الالمان هذه المكانة ويبنوا عليها دعاية واسعة فى مصلحتهم وضد الانجليز . ولهذا قد يفكر الانجليز فى أن يأخذوا الملك معهم .. ولو بالقوة لا ليفيدوا منه ، ولكن لكى يحرموا الالمان منه .. ومن استغلاله فى دعايتهم .

وأنقل من مذكراتى بتاريخ ٦ يولية عام ١٩٤٢ :

عقد مجلس النواب جلسة سرية ، وبعد انفضاضها اجتمع الوفد وأصدر قرارا بفصل مكرم باشا وراغب حنـــا بك من الوفد ومن الهيئة الوفدية .

وقال لى فؤاد سراج الدين انه قرار حكيم وعادل وان الرأى العام يؤيده بل كان يطالب به ، وان المعارضة نفسها استهجنت موقف مكرم عبيد باشا ، فبينما الحرب على أبواب مصر والحالة تزداد خطورة ساعة بعد ساعة .. والمعـــارضة نفسها تنسى خلافها مع الوزارة وتؤيدها فى موقفها فى الدفاع عن البـــلاد يقف مكرم باشــــا فى مجلس النواب يطلب المناقشـــة فى الاستثناءات وفى سوء استعمال ســـيارات الحكومة ويقول ان

اسبوع البر » مشروع زينب هانم الوكيل » ضريبة من غير قانون ‥ ثم يتهم الوزارة بالتفريط فى حقوق البلاد ٠

***

عن مذكراتى بتاريخ الثلاثاء ٧ يولية عام ١٩٤٢ :

قابلنى فى جريدة الاهرام الاستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشئون الاجتماعية ‥ وعند انصرافنا دعانى للركوب معه فى سيارته لأنه يريد أن يحدثنى فى أمر ما ٠

ولقد تحدث عن حيرته وأى موقف ينبغى له أن يتخذ بين صديقه القديم مكرم عبيد وبين زعيمه ورئيسه مصطفى النحاس؟

وافاض طويلا فى الحديث عن صداقته القوية لمكرم عبيد وكيف ان ضميره غير مستريح وقال ان كثيرين كانوا ينتظرون منه ان يقف بجانب مكرم عبيد باشا وأن يؤيده ضد النحاس ولكنه اختار موقف الحياد بين الاثنين ‥ ودلل على حياده بانه منذ خروج مكرم من الوزارة لم يزر النحاس باشا فى داره أو فى مكتبه وانه اعتذر عن عدم حضور جميع الحفلات التى أقامها الشيوخ والنواب للنحاس باشا وذلك لكيلا يسمع طعنا أو سبابا فى صديقه مكرم عبيد ٠

وانه انقطع كذلك عن زيارة مكرم باشا حتى لا يسمع اى طعن أو سباب فى مصطفى النحاس ٠

وانه منصرف الآن الى تادية عمله كوزير ليس الا ولا شأن له بالخلاف وأسباب الخلاف بين النحاس ومكرم ٠

ثم سالنى : هل انصح له بالاستقالة من الوزارة ؟

قلت : كلا ٠

ثم سالته : اية فائدة بل أى معنى يكون لاستقالتك ؟

هل تريد ان تستقيل تضامنا مع مكرم باشا لأنه خرج من الوزارة ومن الوفد ؟ ‥ ولكنك قبلت ان تدخل الوزارة بعد ان خرج منها مكرم عبيد ‥ ثم انت دخلت الوزارة وأنت

تدرك تماما خطورة الخلاف بين النحاس ومكرم ٠٠وان الانفجار لابد ان يقع ٠٠ ومع ذلك قبلت المنصب ودخلت الوزارة لكى تحصل على لقب «وزير سابق» ثم تخرج منها فى اول فرصة ٠٠ وهذا ما لايرضاه أصدقاؤك ، ونصيحتى ان تبقى فى الوزارة تؤدى ـ كما قلت ـ عملك كوزير ليس الا ٠٠ ثم ان للنحاس باشا حقا عليك فقد وثق بك واختارك وزيرا معه وانت قبلت فلا « تخلو » به هكذا ٠

قال : انت غلطان ، فالنحاس باشا لا يحبنى ٠٠ وهو ادخلنى الوزارة لكى يبعدنى عن مكرم ٠

سألته : ولماذا قبلت المنصب اذن مادام هذا رأيك ؟

قال بعد تردد ، وبابتسامة باهتة فيها استحياء :

ـ الحقيقة اننى لم أكن أريد دخول الوزارة ولكن بعض من يهمنى أمرهم من أقرب الناس الى ألحوا على بقبول المنصب لأنهم يريدون أن يرونى وزيرا ٠

وقال الاستاذ عبد الحميد عبد الحق أنه لا يستطيع كسب ثقة أو حب النحاس باشا لأن النحاس باشا يحب التملق وهو ـ عبد الحميد ـ يكره أن يتملق أحدا ٠٠ ثم قال : ان صبرى ابو علم ، ومحمود غنام ، يزوران النحاس باشا دائما ويتملقانه ومن هنا استطاعا ان يكسبا ثقته وحبه ٠

ثم قال ان صبرى ابو علم لايجيد الخطابة كما يجيدها هو ، وان فؤاد سراج الدين لا يعرف كيف يتكلم ، ومثله محمود غنام ٠٠ اما هو ـ عبد الحميد عبد الحق ـ فانه برلمانى متمرن كما اثبت فى مجلس النواب أيام كان زعيما للمعارضة « ما بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٤٢ » وان فى امكانه أن يعرض فى البرلمان وجهات نظر الوزارة على افضل وجه ولكنه مضرب عن هذا اكراما لخاطر مكرم باشا ٠٠ كما انه تغيب عمدا عن حضور جلسات البرلمان التى كان يتوقع فيها اصطداما بين النحاس ومكرم ٠

واوصلنى بسيارته الى مسكنى وقال وأنا اغادر السيارة :

ـ فكر كمان ، وابقى قل لى أعمل ايه ؟ .

ويظهر ان النحاس باشا أصبح يخاف أو يغار على رجاله من الملك فاروق ، فقد قابلت « رفعته » اليوم فى مكتبه برياسة مجلس الوزراء لكى أشكو اليه من عنت الرقابة .. وقبل ان أدخل عليه جلس معى الاستاذ ابراهيم فرج وتحدثت اليه فى موضوع الرقابة وكيف ان بين الاخبار التى منعت الرقابة نشرها خبرا عن « عطف جلالة الملك على وزير التجارة الاستاذ محمود غنام » .

وهنا ابتسم ابراهيم فرج وقال : ان النحاس باشا نفسه هو الذى أمر بمنع نشر الخبر المذكور .

وأبديت دهشتى .. وسألته : لماذا ؟!

وتردد طويلا ، ثم قال كلاما ملفوفا غامضا ولكنى فهمت منه ان النحاس باشا غير راض تماما عن محمود غنام ، والححت على ابراهيم فرج ان يطلعنى على السبب ..

واخيرا قال : انه لما ذهب محمود غنام وقابل الملك فاروق ليرفع اليه فروض الشكر على تعيينه وكيلا لوزارة الداخلية استبقاه الملك فى حضرته ثلاثة ارباع الساعة .. وذكرت الصحف ان الاستاذ غنام كان موضع عطف المليك .

وسكت ..

قلت : وماذا فى هذا ؟ ..

قال : ان مصطفى النحاس اصبح يشكك فى كل شىء ويتوجس شرا من كل شىء بعد خلافه مع مكرم باشا .. وما قيل وما نشر يومئذ عن عطفه على مكرم باشا ، ثم ما حدث بعد ذلك وكيف كتب مكرم باشا فى الاهرام مقالا رفع فيه الملك الى السماء ..

ولهذا السبب اصبح مصطفى باشا يخاف من تأثير هذا العطف الملكى على رجاله .. وهو لا يريد ان يخسر محمود غنام كما خسر من قبله مكرم عبيد ..

وضحك الاستاذ ابراهيم فرج ·· وضحكت معه ··

ولكن النحاس باشا عادبعد ذلك وعين محمود غنام وزيرا للتجارة ·· لا حبا ولا ثقة فيه ·· ولكن لكى يبعده عن مكرم عبيد ··

تماما كما فعل مع عبد الحميد عبد الحق ··

***

قابلنى فى ميدان سليمان باشا مستر بابير الملحق بادارة النشر والصحافه بالسفارة البريطانية وبعد تبادل التحية

انطلق يتكلم ضد النحاس باشا وزينب هانم بنفس اللهجة التى يتكلم بها واحد من خصوم الوفد ·· وافاض فى الحديث عن فضائح اقارب النحاس وأصهاره ، واستغلالهم لنفوذه فى الحصول على امتيازات وعقد صفقات ·· ثم قال :
ـ لماذا لا يشلح الوفديون النحاس باشا من زعامة الوفد ؟ ولماذا لا يعود احمد ماهر وأصحابه الى الوفد وينتخبون احمد

ماهر رئيسا للوفد ؟

ثم قال انه يسلم بأن مكرم عبيد لا يستطيع ان يجمع حوله كلمة الامة ولكن احمد ماهر يستطيع وان النحاس باشا أخذ يفقد نفوذه ··

وسألته . هل هذا هو رأيه الشخصى او رأى السفارة ؟

ونظر الى طويلا ، ثم هز كتفيه ·· وسار فى طريقه ، واثناء حديثه معى كانت رائحة الخمر تفوح من فمه ·

***

كلمت فؤاد سراج الدين بالتليفون وقلت له اننى أسافر اليوم الى رأس البر ورجوته اذا تطور الموقف الى أسوأ وأصبحت الحالة خطيرة حقيقة أو خيف من تدمير المواصلات أن يكلمنى بالتليفون فى رأس البر ·

ولكنه قال : لا ·· بلاش الكلام فى التليفون وسوف أرسل

لك فى هذه الحالة تلغرافا بامضاء جميل أقـــول لك فيه : « أحضر حالا بسبب القضية » وانت تفهم ٠

وسافرت بالسيارة الى رأس البر ٠

***

« نقلا عن مذكراتى بتاريخ الاثنين ٢٠ يولية » :

كنت كلمت حسنين باشـــا بالتليفون من رأس البر لكى اسأله عن تطورات الموقف وسألنى هو متى أعود الى القاهرة ، وفهمت من لهجته ان عنده شيئا يريد أن يقوله لى ، وعـــدت أمس من رأس البر ، وكلمته بالتليفون صباح اليوم ، فدعانى لمقابلته فورا ٠

وقابلته فى داره وبقيت معه نحو ساعة ٠

بدأ حديثه معى بالانجليزية بسبب وجود أحد الخدم معنا فى حجرة الاستقبال ، فقال ما معنـــاه : ان الانجليز قد لعبوا أوراقهم بمهارة ٠٠ وعرفوا كيف يلعبونها ٠

ثم مضى يقول انهم لم يكونوا يســتطيعون ان يحصلوا من أى رئيس وزارة مهما كان ضالعا معهم على أكثر مما حصـــلوا عليه من مصطفى النحاس ٠٠ وتبدو مهارتهم فى انهم حصلوا من النحاس باشا عـلى كل مايريدون وفى نفس الوقت جعلوه يعتقد انه هو الذى « دحلبهم » ومكر بهم وحصل منهم عـــلى ما يريد ٠٠ أو على الاقل لم يعطهم شيئا ٠

واستطرد حسنين يقول :

ـ وهكذا اذا قدر لهم أن ينتصروا على الألمان ، فانهم سوف يمكنهم أن يقسموا للنحاس بالطلاق « كذا » على انهم لم يفكروا أبدا فى القيام بأى تدمير بوادى النيل ٠٠ اما اذا قدرت عليهم الهزيمة فانهم سوف يكونون فى حل من تدمير كل مايريدون بحجة الضرورات العسكرية ، وذلك بحجة انهم قد اتفقوا على ذلك مع رئيس الحكومة مصطفى النحاس ٠٠ أو عـــلى الاقل

بحجة أنهم لم يعدوه بشيء مخالف أى لم يتفقوا معه على عدم التدمير ٠

ويومها سوف يقول النحاس ان الانجليز قد خانوا كلمتهم معه وحنثوا بوعدهم له ٠٠ ولكن ما الفائدة ؟ ٠

ثم مضى يقول :

ـ ولقد كان المفهوم ان دفاعهم ينتهى عند العلمين أى عند الحدود ، ولكنهم استطاعوا أن « يجرجروا » النحاس الى الحديث فى الدفاع عن الاسكندرية والقاهرة والدلتا وقناة السويس ٠٠ وهذا هو الخطر وهنا بدت مهارتهم ٠

ثم قال :

ـ ولم يفاتحوا الملك مرة أخرى فى أمر مغادرة البلاد ، ولكن مادام فى نيتهم الدفاع عن القاهرة ورفض الموافقة على اعلانها مدينة مفتوحة فانه سوف يكفى أن تسقط قنبلة المـانية فى ميدان عابدين او على مقربة من قصر القبة لـكى يقولوا يومئذ للملك ـ ومعهم حق ـ ان هناك خطرا على « حيـاته الغالية » فيجب أن يبتعد عن موطن الخطر ٠ أى عن القاهرة ، وسوف يشتركون معه فى اختيار المكان الامين الـذى يحسن به أن يلجأ اليه ٠

ثم قال حسنين وهو يضحك :

ـ وفى يوم ٢ يولية كانت العلمين على وشك السقوط فى ايدى الالمان ٠٠ بل لقد ذاع الالمان يومها أنهم اخترقوا الخطوط وانهم يطاردون الانجليز فى اتجاه دلتا النيل ٠٠ ويومها كاد النحاس يوشك أن يغمى عليه ولكن الله سلم « وعبارة يغمى عليه من عندى أنا ، أما العبارة المـدونة فى مذكراتى والتى استعملها المرحوم حسنين باشا فى حديثه فان الحياء يحول دون نشرها »

واستمر حسنين يقول وهو لايزال يضحك :

ـ ست سـاعات فقط وكان النحاس « اغمى عليه » ولكن

الله سلم فقد قال له الانجليز في المساء ان الحـــالة خطرة جدا ولكنه تجلد طول الليل وتماسك ٠٠ فلما أصبح الصـــــباح قالوا له : ان الحالة أقل خطورة نوعا ما ، فاطمـــأن ولم « يغم عليه » ٠٠ ولكنه أطلق لسانه يومها في الانجليز ، فقال انهم كذبوا عليه وأخفوا حقيقة الحالة وظل لسانه ملفوتا ضدهم الى ان عاد أمين عثمان من فلسطين وكان سافر اليها مع زوجته التي تركها هناك ٠٠ وبعودة أمين عثمان عاد نفوذ الانجليز من جديد على رفعة النحاس باشا ٠ الذي عاد واطمأن واستكان الى الانجليز ٠

ثم قال حسنين ان تصرفات الانجليز لاتبعث على الاطمئنان والا لو كانوا واثقين من قـــوة مراكزهم وخطوط دفاعهم في العلمين فلماذا طلبوا اخلاء الاسكندرية ؟ ٠٠ واخلاؤها سوف يتم قريبا ٠

ثم قال .

ـ لقد سمعت من احد كبار ضباطهم وكان صديقا وزميـــلا لي أيام الدراسة فياكسفورد ان عندهم أوامر سرية تقضي بترحيل جميع البريطانيين المدنيين وخروجهم فورا من الاســـــكندرية والقاهرة متى وصل الالمان الى نقطة معينة لم يذكرها لي طبعــا صديقي الضابط المذكور ٠

ثم قال :

وقد قابلني هذا الضابط منذ ثلاثة أيام وقال لي :

ـ وأنا اترجم هنـــــا عن الانجليزية « راقب الموقف بدقة وامعان اثناء العشرة أو الخمسة عشر يوما القادمة ٠ فقد يحدث شيء ما فجاة ويجب أن تكون مستعدا » ٠

ومضى حسنين يقول :

ـ ان الانجليز تلقوا امدادات من الطائرات ومن الاســلحة الاخرى بقدر كاف لابأس به ٠٠ ما عدا الدبابات وهذا هـــو السبب في عجزهم عن القيام بأي هجوم وكان احد ضـــباطهم

قال لى يوم اشتداد الخطر على العلمين « فى ٢ يولية » انه اذا استطاع الجيش الثامن البريطانى ان يصمد أسبوعا واحدا فانهم سوف يكرون بعد ذلك ، ويشنون هجوما على الألمان ٠٠ ولقد مر أسبوع وأسبوعان ودخلنا فى الاسبوع الثالث ولم يهجموا فما السبب الا انهم غير مستعدين !

***

وبعد ٠٠٠

هذه الايام الخطيرة المليئة بالاحداث والاحتمالات التى مرت بمصر فى صيف عام ١٩٤٢ ، واحسب اننى وفيتها حقها من الوصف وأعطيت صورة صادقة لحالة الفوضى والذعر التى تخبطت فيها الوزارة القائمة بالحكم يومئذ ٠

ولقد تمت المعجزة واستطاع الجيش الثامن ان يصمد أمام الالمان خلال بقية الصيف ٠٠ ثم شن مونتجمرى هجوما فى الخريف « أكتوبر ـ نوفمبر » وحصل الحلفاء على أول انتصار لهم ذى قيمة فى الحرب العالمية الاخيرة ٠

ويومئذ ـ ولأول مرة ـ أمر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية بأن تقرع كنائس انجلترا وسكوتلانده اجراسها احتفالا بهذا النصر العظيم ٠

ويعد المؤرخون معركة العلمين نقطة التحول فى الحرب الاخيرة ٠٠ تحول النصر والحظ من الالمان الى الانجليز وحلفائهم الروس والامريكان ٠

حرب الدعاية

انتهت الحرب فى اوروبا فى ٨ مايو ١٩٤٥ ، وكنت يومئذ فى انقره «تركيا» ،وعدت الى مصر ثم غادرتها فى يوم ٣نوفمبر ١٩٤٦ الى اوربا وزرت فرنسا وايطاليا وسويسرا والنمسا

والمانيا . طالت رحلتى هذه نحو تسعة شهور ، وفى باريس فى شهر نوفمبر عام ١٩٤٦ تناولت العشاء مع صديقة قديمة وهى طبيبه فرنسية من اصل برازيلى وزوجها الموسيقار وهو فرنسى الجنسيه اسبانى الاصل .

وقد تناولت العشاء فى مطعم اسبانى كان افتتح حديثا فى شارع فيكتورهيجو «باريس» .. واسم المطعم «ايبريا» وهو فى حجم بطاقة البريد .. واما بار المطعم ففى حجم طابع البريد .. وفى المطعم المذكور نحو عشر موائد ليس الا .. وفى صدره منصة مرتفعة بضعة أقدام وهى المسرح ومساحته مع المبالغة متران فى متر .

ومن هنا كان مطعم «ايبريا» لايتسع الا لعدد محدود جدا من الزبائن هواة الطعام الاسبانى والرقص الاسبانى .

ومن هنا كذلك كانت اسعار الطعام فيه تبلغ ثلاثة اضعاف أمثالها فى اى مطعم آخر فى باريس واصحاب المطعم فريق من نجوم أسبانيا فى الرقص والغناء .

وتناولنا طعامنا وكان من لحم الدجاج المخلوط بالأرز والطماطم والجبن والشطه والفلفل الاحمر وبهارات اخرى ! هذا بينما كان يتوالى على المسرح ألوان من الرقص والغناء ، وكان فى هذا الغناء مايشبه الى حد كبير أغانى الصعيد وحزنها الدفين العميق .

وقال صاحبى الموسيقار الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية .. قال مازحا :

ـ انظروا أيها العرب .. ماذا فعلتم بأوروبا ؟ مشيرا الى الرقص والغناء وكلاهما لايزال يحمل الطابع العربى الأصيل ..

قلت : ماذا فعلنا ؟ لقد اعطينا اسبانيا فنا جميلا رفيعا . . عاش وما زال يعيش حتى اليوم بعد اثنى عشر قرنا . .

قال : كذلك أثينا وروما ؟

قلت : واين هو اثر الفن الاغريقى او فن روما . . هل تجد لهما اثرا اليوم على مسارح لندن وباريس أو واشنطون ؟ولكن هذا الرقص والغناء العربى الاسبانى تلقاه فى عواصم العالم ويعجب به الناس فى كل مكان . . اما فنك الاغريقى او الرومانى فلم يبق له اثر الا فى المتاحف وقاعات المحاضرات . .

وجرنا الحديث الى الغناء فى مصر . . والى أم كلثوم وعبد الوهاب . . وكان صديقى الموسيقار المذكور قد زار مصر اثناء الحرب مع جنود الجنرال ديجول ، وكان يعمل فى أقلام المخابرات .

وقص على هذه الحكاية التى سمعتها يومئذ لأول مرة قال - ومعلوماته التى يرويها هنا مستقاة كما قال من زملائه فى اقلام المخابرات البريطانية - قال : انه عندما لاح شبح الحرب فى صيف عام ١٩٣٩ ، لاحظ رجال المخابرات البريطانيه فى الشرق الأوسط ان وكلاء المحور - المانيا وايطاليا - راحوا يجمعون من الأسواق فى القاهرة وتل ابيب ويافا والقدس وبيروت ودمشق وحلب الخ . . جميع الاسطوانات العربية وخصوصا اسطوانات عبد الوهاب وام كلثوم .

وهنا فطن رجال المخابرات البريطانية الى ان المحور يستعد لحرب الدعاية . . ونشطوا هم كذلك الى شراء هذه الاسطوانات . . وكان سباقا حارا بين الفريقين . .

ومضى صديقى الموسيقار الاسبانى الاصل الفرنسى الجنسية . . مضى يقول :

- وسر هذه الدعاية هو ان الدعاية الالمانية او البريطانيا سوف تضمن استماع البلدان العربية لها اذا هى بدأت باغنية لعبد الوهاب . . ثم قال :

- وأقبل عام ١٩٤٢ وبدأ روميل هجومه فى يناير ،

واستخلص مدينة بنغازى من البريطانيين .. ثم توالت هجماته وتتابعت هزائم البريطانيين .. وسقطت طبرق .. وانطلق روميل والفيلق الافريقى صوب دلتا النيل .. ولعلك ـ وانت صحفى مصرى ـ ادرى منى بالاجراءات التى كانت السلطات البريطانية تنوى اتخاذها وتنفيذها فى حاله اضطرارها الى الانسحاب من مصر الى فلسطين والسودان .. ولكن هناك اجراء واحدا لم يذع سره حتى اليوم .

وسكت لحظة وهو يبتسم لكى يرى وقع كلامه فى نفسى ..

قلت : ارغام الحكومة المصرية على الخروج مع البريطانيين من مصر لكى تقوم فى الخارج « حكومة مصر الحرة ؟ »

قال : كلا .. فان البريطانيين لم يلحوا كثيرا فى هذا الشأن .. ولكن وزارة الاستعلامات البريطانية الحت فى أمر واحد وأمرت رجالها فى مصر باتخاذ هذا التدبير مهما كان الثمن ومهما كانت العقبات .

وسكت مرة اخرى ، ثم قال : خروج ام كلثوم وعبدالوهاب من مصر بالرضا او بالاكراه .

وبدت الدهشة على وجهى ثم ضحكت .. وفهم هو من ضحكتى اننى اشك فى روايته فقال بلهجة كلها جد :

ـ صدقنى هى الحقيقة مااقول .. لقد كان فى نية السلطات البريطانية اذا مااضطرت الى الانسحاب من مصر ان تأخذهما ـ طوعا او كرها ـ عبد الوهاب وام كلثوم لانها كانت تخشى ان تستغلهما الدعاية الالمانية الى ابعد حدود الاستغلال . ولقد كان يكفى ان يعلن راديو القاهرة التى يحتلها الالمان .. ان ام كلثوم او عبد الوهاب سوف يغنى هذا المساء لكى ينصت العالم العربى كله الى اذاعة راديو القاهرة الذى يسيطر عليه الالمان . وهذا هو الخطر فى حرب الدعاية .

قلت : ولكن من كان يضمن ان ام كلثوم وعبد الوهاب سوف يوافقان على الغناء ؟ .

ابتسم صديقي الفرنسي وقال :

ـ محال ان تكون جادا في سؤالك هذا .. والا فانت لا تعرف النازيين .. لقد كان امرا ممكنا جدا ان يجلس عبد الوهاب وأمامه ميكروفون الاذاعة ، ووراءه يقف جندي الماني «ينخزه» بطرف السونكي اذا توقف عن الغناء .

***

ومن فرنسا ذهبت الى ايطاليا وزرت ميلانو وفلورنسا وروما ..

ولم يكن من السهل ان احمل القوم في ايطاليا على ان يتحدثوا الي ـ الصحفي المصري ـ بصراحة عما كان سيحدث لمصر لو نجحت جيوش المحور في دخول مصر في صيف عام ١٩٤٢ ..

ولكن كان من السهل ان يتحدثوا بمنتهى الصراحة، وبكثير من مرارة خيبة الأمل عن سير الحرب وتطورها لو كان غزو مصر قد نجح وتمكنت جيوش المحور من اختراق استحكامات العلمين في يولية او سبتمبر عام ١٩٤٢ ، وكان روميل قام بهجومه الاول في اول يولية ، ثم شن هجومه الثاني والاخير في شهر سبتمبر ، وبعدها فقد القائد الالماني عامل المباداة .. الى ان فاجاه القائد البريطاني مونتجمري بالهجوم بعد شهر واحد .. اى في اكتوبر من نفس العام .

قال القوم في روما : لو ان روميل كان نجح في الوصول الى الاسكندريه ودلتا النيل والقاهرة لكانت الحرب قد انتهت بانتصار دول المحور بعد عام واحد ، اى في عام ١٩٤٣ . ذلك انه كان مقررا طبقا للخطة العامة التي وضعتها اركان الحرب المشتركة من الايطاليين والالمان ان ينفصل قسم من الجيوش المحورية ويذهب جنوبا الى صعيد مصر والسودان والحبشة . ويسترد اريتريا والصومال .. الخ وهدفه الاخير الوصول الى جنوب افريقيا وتطهير «القارة السوداء» ـ اى افريقيا من البريطانيين وانشاء قواعد للغواصات الالمانيه والايطالية في موانىء افريقيا الجنوبية والشرقية .. والعمل على قطع طريق بحار الجنوب اى طريق رأس الرجاء الصالح الى الهند واستراليا

وهذا طبعا بعد أن يكون طريق قنال السويس قد أقفل هو ايضا فى وجه الأسطول البريطانى ٠

ومعنى هذا خنق مواصلات بريطانيا مع استراليا والشرق الاقصى والهند وبورما اللتين كانتا يومئذ تحت التاج البريطانى ٠٠

كانت هذه مهمة الجيش الذى ينفصل عن جسم جيوش المحور الرئيسية ٠ وبقيت مهمة الجيش الرئيسى ٠٠ كانت مهمة هذا الجيش اولا القضاء على مقاومة البريطانيين فى دلتا النيل ٠٠ وكانوا يقدرون صعوبة هذه المهمة بسبب اضطرارهم للهجوم أثناء فيضان النيل وتعدد قنوات شبك الرى فى الدلتا واستفادة الانجليز منها فى دفاعهم و «تعويق» زحف المحور ٠٠ ولكنهم كانوا واثقين من طرد البريطانيين تماما من الدلتا وقناة السويس مع حلول الخريف ٠

وبعدها كانت مهمة هذا الجيش الرئيسى ان ينطلق عبر قناة السويس الى فلسطين ـ التى كما يؤكدون كانت ستسقط فى لمحة عين ـ ومن بعدها سوريا ولبنان والعراق ٠

وكان المحور يعتمد الى حد كبير على «صداقة العرب» وعلى انتفاضهم وقيامهم بثورات فى مؤخرة البريطانيين ، تعرقل حركاتهم وتعوق انسحابهم ٠

ولا اريد ان اسهب هنا فى وصف خطة المحور ولا فى الاحاطة بتطورات الحرب وسيرها لو كان روميل قد نجح فى غزو مصر ٠٠

واكتفى بان اذكر فى عبارات وجيزة بعض التطورات الحاسمة فى سير الحرب التى كان مقدرا أن تقع :

١ ـ الوصول الى ايران وقطع خط امداد وتموين روسيا بالذخائر والمهمات وهو الخط الذى انشأه الامريكيون والبريطانيون من خليج العجم الى القوقاز ٠

٢ ـ انضمام تركيا الى ألمانيا وايطاليا ضد الحلفاء ٠ وهذا أمر كان مقطوعا به ٠ فقد ابدت تركيا منذ اليوم الاول للحرب

.. أبدت صداقتها لألمانيا.. وراحت تنتظر «الوقت المناسب» لكي تدخل الحــرب الى جانب ألمانيا . وقد فسر فون بابن سفير ألمانيا يومئذ في انقرة عبارة «الوقت المناسب» هـذه في أحـد تقاريره السرية فقـال : ان الاتراك مازالوا ـ حتى عام ١٩٤٢ ـ غير واثقين من انتصار ألمانيا ، وانهـم يفضلون أن يتريثوا قبل ان ينحازوا الى جانبها خوفا من سوء المصير ومن أن يصيبهم ما اصابهم في الحرب السابقة «بعد هزيمة ألمانيا في عام ١٩١٨» .. ولكن نجاح جيوش المحـور في دخـول مصر وطرد البريطانيين منها ومن فلسطين وسوريا ولبنان والعراق

.. ثم الوصول الى ايران .. كل هذا كان كفيلا باقناع الاتراك بان «الوقت المناسب» قد حان .. وكان دخول تركيا الحرب بعد قطع خط تموين روسيا من الجنوب ـ كان كفيـلا بقلب ميزان المعركة في الجبهة الشرقية ضد روسيا .. ولقـد كانت الجيوش الروسية تعاني يومئذ من الشدائد في القوقاز .. وفي محاصرة ستالينجراد وموسكو ولينينجراد ..

٣ ـ القيام بحركة كماشة من الجنوب الشرقي والغرب ضد الجيوش الحمراء .. الى آخره .

لهذا لم يكن كثيرا أن يؤمل المحور في النصر النهائي ووضع حد للحرب في عام ١٩٤٣ .

***

كان موسوليني يطمع في دخول الاسـكندرية والقاهرة في موكب يرد التاريخ القهقرى الى عصر أمجاد روما ومواكب قوادها الغزاة وعودتهم من ميادين القتـال معقودة حـول رءوسـهم أكاليل الغار .

وهنا عكف «الدوتشي» على وضع نظام وترتيب «موكب النصر» الذى سوف يسير على رأسه .. في شوارع الاسكندرية والقاهرة .

وأصدر اوامره ان يرسل جواده الاصـيل الابيض اللون الى بني غازى . ومنها الى العلمين .. لكي يمتطيه الدوتشي في اليوم الموعود . ووقفت طيارة حربية خاصة على قدم الاستعداد

فى مطار روما لكى تحمل موسولينى -عند الساعة المرتقبة - الى ابواب الاسكندرية .. حيث ينتظره موكب النصر وجواده الابيض الاصيل .

حتى قائمه الطعام ، الذى سيقدم فى المأدبة الكبرى اعدها النوتشى بنفسه !

وكان فى نيته ان يقيم مأدبة عشاء وحفلة ساهرة فى الاسكندرية .. ومأدبة أخرى وحفلة ساهرة فى القاهره .

وقد تم الاتفاق بينه وبين السلطات الالمانية على ان يكون فندق مينا هاوس هو مقر القيادة الايطالية فى القاهرة ..

وكانت قائمة الطعام الذى سيقدم فى ميناهاوس فى اول يوم يصل فيه موسولينى وقواده الغزاة كما يلى :

حساء سمك النيل .

دجاج الفيوم .
حمل مشوى على الطريقه اليدوية .
وحلوى ألف ليلة ..

وفاكهه الموسم «بطيخ - وعنب - ومانجو »

قهوة شرقية .
وإلى هذا الحد كانت الآمال كبيرة والثقة فى النصر لا ريب فيها .

النهــاية

وانتقل الآن الى الفصـــل الاخير من حياة احمد محمــد حسنين ..

كان حسنين باشا يعد حادث ٤ فبراير عــام ١٩٤٢ ، لطمة أصابته هو بالذات.. لطمه لكرامته ولسياسته ولطمة لواجبه نحو العرش ونحو مصر .

وأقسم حسنين يومها على ان يثأر لنفسه وللبلاد من رجلين عدهما مسئولين عن هذه اللطمه ، وهما : مايلزلامبسون سفير بريطانيا ، ومصطفى النحاس رئيس الوفد .. ورئيس الوزراء

ولقد حاول حسنين باشا فى عام ١٩٤٣ ، ان يقيل مصطفى النحاس ووزارته ، ولكن الانجليــز لم يمكنوه .. فقــد بادر يومئذ السفير البــريطانى فى مصر وانذر فاروق ان الحــكومة البريطانية تعلنه ان لاتغيير فى الوزارة No change ولا الأوضاع القائمة فعلا .

وكانت حجة الانجليز يومئذ انهم وحلفاءهم قادمون عــلى فتح جبهة جديدة فى جنوب أوروبا ـ أو بطن اوروبا السفلى ـ حسب تعبير ونستون تشرشل .

جبهه جديدة ينفذون منها الى قلعة هتلر فى وسط اوروبا. ومن هنا فانهم ـ اى الانجليز ـ لايسمحون بأى تغيير فى مصر مخافة وقوع رد فعــل او قلقلة خلف خطــوطهم .. اى فى مصر .

واستكان حسنين وتظاهر بالرضا والتسليم .

ولكنه لم يسكت .. بل اخذ يراقب سير الحوادث ويتحين الفرص . وانتهت معركة افريقيا باندحار الجيوش الالمانيــة وأسر مئات الألوف منها فى تونس والجــزائر ومراكش .. ولا أدخل فى التفاصيل .

ونقل الحلفاء ـ بريطانيا وأمريكا ـ جيوشهم من افريقيا الى جزيرة صقلية .. ومن هذه الى ايطاليا .

واستسلمت ايطاليا في سبتمبر من نفس العام ١٩٤٣ وفي يونية ١٩٤٤ انزل الحلفاء جنودهم في نورماندى بشمال فرنسا ..

وبدا تحرير القارة .. ودك قلعه هتلر من الجنوب والشرق والغرب ، وادخل الحلفاء باريس في أغسطس .

وكانت الجيوش الروسية قد حررت دول البلطيق وجزءا من بولنده وزحفت نحو النمسا الى آخره .. الى آخره .

وكما قلت : ليس في نيتي ان ادخل في التفاصيل .. ولكن بدا يومئذ واضحا كل الوضوح ان نصر الحلفاء أمر مؤكد .. وان الحرب قد دخلت في دورها الاخير وان الحلفاء يمسكون بزمام الموقف .. وان البريطانيين لم يعد امامهم - او وراءهم في مصر - مايخشون منه على سير الحرب .

وانتهز حسنين الفرصة وواتاه الحظ ان مايلز لامبسون سافر في اجازة قصيرة الى جنوب افريقيا ..

وضرب حسنين ضربته المفاجئة وكانت مسرحيه مثيرة ومن فصولها :

تعليمات سرية الى الدكتور احمد ماهر بالا يغادر داره في يوم الاحد ٨ اكتوبر بل يبقى فيها ينتظر رسالة من جلالة الملك فاروق ، واوامر سريه الى حكمدار بوليس القاهرة ومدير ادارة الأمن العام بأن تكون قوات الامن على استعداد لحفظ النظام وقمع أية حركة تقوم للاخلال بالأمن والنظام .

وكانت هذه الاوامر السرية صادرة مباشرة من السراى لان السراي كانت مصدر جميع السلطات .

جرى كل هذا والوزراء ورئيسهم - وكانوا في رمل الاسكندرية - لايعرفون شيئا .. ثلاثة او اربعة فقط من الصحفيين من خصوم الوفد هم الذين كانوا على علم بما يعده أحمد محمد حسنين رئيس الديوان .

وفي صباح يوم الاحد ٨ اكتوبر عام ٩٤٤ استقل حسن

يوسف بك وكيل الديوان الملكي قطار الصباح من الاسكندرية الى القاهرة ·

ودخل عربة البولمان فوجد امامه محرم باشا وزير الاشغال فابتسم وحياه ولكنه جلس الى مائدة بعيدة عن المائده التي كان يجلس اليها وزير الاشغال ·

ولعله - حسن يوسف بك - خشي ان يقرأ عثمان محرم باشا شيئا ما في وجهه ·· شيئا ما يكشف سر سفره في الصباح الباكر الى القاهرة ·· ذلك ان وكيل الديوان كان يحمل في جيبه أمرا ملكيا صادرا الى الدكتور أحمد ماهر بتشكيل الوزارة · وأمرا ملكيا آخر الى مصطفى النحاس باشا باقالة الوزارة ·· ووصل حسن يوسف الى القاهره وانهى مهمته فيها ثم عاد بالسيارة الى الاسكندرية ·

وفي الساعة الخامسه بعد ظهر نفس اليوم الأحد ٨ أكتوبر ·· وحسب التعليمات والاوامر ·· وطبقا للخطة المسرحية التي وضعها حسنين باشا ·

غادر الدكتور احمد ماهر داره ، الى دار رياسه مجلس الوزراء وامر السعاه والحجاب أن يفتحوا امامه الأبواب ·· وأعلنهم أنه رئيس الوزراء الجديد ·

وفي نفس اللحظة - وطبقا للأوامر والتعليمات - فتح المعتقل أبوابه وخرج منه مكرم عبيد ·

خرج من المعتقل وذهب مباشرة الى وزارة المالية التي عين وزيرا لها في الوزارة الجديدة ·

وفي نفس الساعة - الساعه الخامسة - كان حسين يوسف يصعد الى الطابق الثاني بفندق سيسيل بالاسكندرية حيث كان يقيم مصطفى النحاس ·· ويسلم رفعته خطاب الاقالة ، وكان

امين عثمان قد اقبل على فندق سيسيل لزيارة مصطفى النحاس فقيل له ان الوزارة أقيلت وكانت في يده سلسلة ذهبية يعبث بها ويلفها على اصابعه ثم يعود ويفردها ·· وتوقف في

طريفه وسقطت السلسلةمن يده ·· ولكنه خرج وارسل برقية الى احمد حسنين يقول له فيها ـ باللغة الانجيزيه ـ «اهنئك لقد ربحت الجولة الاخيرة» ·

ذلك لأنها كانت حربا أو مباراة بين الرجلين : رجل الأنجليز أمين عثمان ، ورجل القصر أحمد حسنين ·

وكانت المباراة حول مصطفى النحاس هل يبقى رئيسا للوزارة كما يريد الانجليز ؟ أو يخرج كما يريد القصر ؟ وقد انتصر رجل القصر احمد حسنين ·

***

وامشى سريعا بين الحوادث الى ان اصل الى عام ١٩٤٦ وكانت الوزارة البريطانية يومئذ من حزب العمال، وكان وزير الخارجية ارنست بيفن ··

وعرف حسنين كيف يوجه صديقه عبد الفتاح عمرو سفير مصر فى لندن الى استغلال صداقته مع مستر بيفن وكان ان استدعت وزارة الخارجيه البريطانية سفيرها مايلزلامبسون من مصر ··

وهكذا بر حسنين بوعده أو بقسمه وثأر لنفسه من الرجلين مايلز لامبسون ، ومصطفى النحاس ··

ثم لقى منيته بعد ذلك بأسبوعين اثنين ، وكان موته ـ رحمه الله ـ مفاجأة مثيرة كما كانت حياته سلسلة من المفاجآت المثيرة ·

***

وكان أمضى سهرة يوم الاحد ١٧ فبراير عام ١٩٤٦ فى مسكنى مع بعض الاصدقاء ومنهم أم كلثوم ·· وغنت ام كلثوم : «سلوا قلبى» وحمل حسنين مقعدا صغيرا جلس فيه بين يدى ام كلثوم وكان ينصت لها بكل جوارحه وامتدت السهرة حتى مطلع الفجر ·· يوم الاثنين وشيعته الى باب المصعد وكانت هذه آخر مرة اراه فيها ·

وفى يوم الثلاثاء ١٩ فبراير كان حسنين مدعـوا لتناول الغداء عند أسرة صديقة فى المطرية ·· ولكن تراكم الاعمال ابقاه فى مكتبه بقصر عابدين الى الساعة الثالثه بعـد الظهر وراى ـ رحمه الله ـ انه تأخر كثيرا عن الموعد فاعتذر لأصحاب الدعوة بالتليفون ·

واستقل سيارته عائدا الى داره بالدقى وكانت السماء تمطر، وبينما كانت سيارته تجتاز كوبرى قصر النيل فى طريقها الى الدقى اقبلت سيارة لورى بريطانية من الجهة المضـــادة ·· وانزلقت عجلات السيارة البريطانية بفعل المطـر ·· ولفت اللوري نصف لفة على الكوبرى وصدمت سيارة حسنين من الخلف صدمة شديدة ·

وسمع سائق السيارة صوت حسنين باشا خلفه وهو يقول: « ياساتر ·· ياساتر يارب ·· »

والتفت السائق خلفه فراى الدم يســيل من فم حســنين باشا ·· واوقف السـائق السـيارة ، ونزل منها يصـيح ويطلب المساعدة ·· ومرت مصادفة فى نفس اللحظة سيارة وزير الزراعه احمد عبد الغفار باشا صديق حسنين وزميله ايام الدراسة فى اكسفورد ·

واسرع احمد عبد الغفار وحمل صديقه الى مستشفى الانجلو امريكان القريب من مكان الحادث ·

ولكن حسنين كان اسلم الروح ·· فنقلوه الى داره ·

***

وطار الخبر الى القصر ·· واسرع فاروق ـ وكان يرتدى بيجامة وفوقها «روب دىشامبر » وفى قدميه شبشب ـ اسرع بملابسه هذه واستقل احدى سـياراته الى دار حسنين فى الدقى ··

ووقف فاروق لحظة أمام جثمان حسنين ، رائده واسـتاذه ومربيه ثم رئيس ديوانه ··

ثم قال : «مسكين ياحسنين» ، سأل بعدها عن مفاتيح مكتب

حسنين .. وتناولها ودخل غرفة المكتب واغلق وراءه الباب وكان فاروق يبحث عن اية مذكرات يكون حسنين قد كتبها . وعن عقد زواجه بأمه الملكة نازلى .. وعن اية اوراق هامه اخرى قد يكون تركها وراءه .

***

وبعد وفاة حسنين بأسبوعين او ثلاثة اسابيع ذهب فاروق يزور امه نازلى فى قصرها الذى ورثته عن ابيها فى الدقى .. ودخل عليها فى قاعه القصر الكبرى .. وتسمرت قدماه عند الباب ..

فقد رأى امامه فى صدر القاعة صورة لأحمد محمد حسنين بالحجم الطبيعى وقد جللت بالسواد .

وامام الصورة - وعلى الارض - جلست امه «الملكة» نازلى وحولها سيدات حاشيتها وخادمات القصر ، وجميعهن متشحات بالسواد ..

وعلى جانبى القاعة الكبيرة جلس نحو عشرين شيخا يتلون الأوراد ويدعون بالرحمة للراحل الكريم .

توقف فاروق لحظة عند باب القاعة .. وقد عقدت الدهشة لسانه ، ثم مشى الى حيث كانت تجلس امه وقال لها وهو يشير بيده الى الصورة والى السيدات ، والمشايخ .

قال : ايه ده كله ؟ وعلشان ايه ده كله ؟ مات .. خلاص مات .. فلزوم ده ايه ؟

وانتفضت نازلى واقفة على قدميها وانفجرت فى ابنها تصيح : ده ؟ - اللى عملك راجل .. ده اللى حافظ لك على عرشك .. بكره راح تشوف يجرى لك ايه ؟.. بعد موت حسنين .. الى آخره .. الى آخره .

وهز فاروق كتفيه ساخرا وانصرف

***

وان هى الا أسابيع معـدودة حتى غادرت نازلى مصر الى اوروبا للعلاج والراحة كما زعمت ..

ولكنها غادرت مصر وفى نيتهـا الا تعود .. وكان منهـا مايذكره القراء .. وكان كذلك ماكان من فاروق .. وكيف استهتر الى ابعد حدود الاستهتار وطغى وبغى .. ثم كانت الثورة التى طوحت به وحطمت عرشه .

ولعله تذكر يومئذ وهو يوقع وثيقـة تنازله عن العـرش قول أمه : « بكره تشـوف راح يجرى لك ايه بعـد موت حسنين ؟» ..

تمت

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٩١ / ١٩٧٢

مؤسسة روزاليوسف
الكتاب الذهبي

رئيس مجلس الإدارة
عبد الرحمن الشرقاوي

رئيسا التحرير
مصطفى محمود
جمال كامل

لجنة الكتاب
جمال كامل
لويس جريس

الاعلانات والاشتراكات
يتفق عليها مع الادارة
٨٩ (أ) شارع القصر العينى
تليفون ٢٠٨٨٨ ـ ٢٠٨٨٧
تلغرافيا روز اليوسف ٠ ج ٠ م ٠ ع



• الثمن ٢٠ قرشا •